تراثنا

مخطوطة كاتب الشونة

في

تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية

جمعها وكتبها

أحمد بن الحاج أبو علي

كاتب الشونة

تحقيق

الشاطر بصيلي عبد الجليل

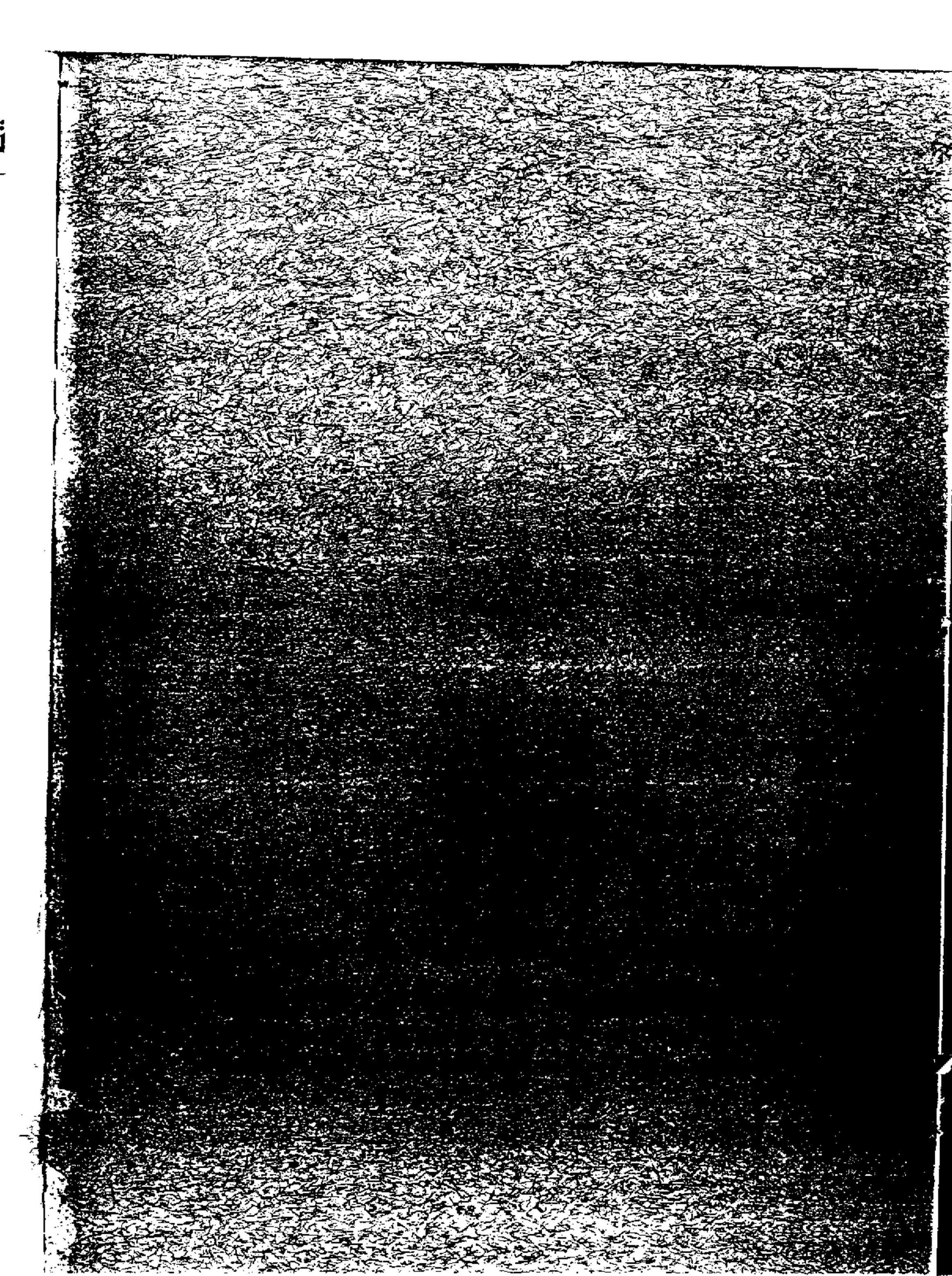
مراجعة

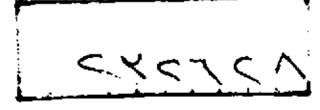
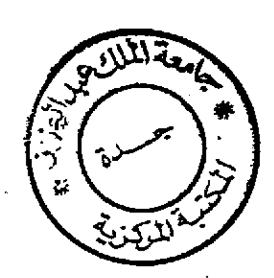
الدكتور محمد مصطفى زيادة

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الإدارة العامة للثقافة



دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادى بدأت فى السودان حركة علمية طيبة لكتابة تراجم العلماء ورجال الدين من أهل البلاد ، وبخاصة أولئك الذين سكنوا إقليم الجزيرة والمنطقة الشمالية القريبة من الخرطوم ، وافتتح هذه النهضة العلمية المباركة الفقيه محمد النور ود ضيف الله بن محمد بن ضيف الله الجعلى الفضلى بتأليف كتابه الذى عنوانه « الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان » وهو المشهور الآن باسم طبقات ضيف الله[1] . ثم تلاه الشيخ / أحمد بن الحاج أبو على المعروف بكاتب الشونة بتأليف كتاب عن تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية حتى عام ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) ، وهو الكتاب الذى عهد له كاتب هذه السطور بهذه المقدمة القصيرة ، وكان كاتب الشونة موظفا بالديوان بالخرطوم حتى عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) وأنهى كتابه بعد ذلك التاريخ بأربع سنوات .

وظل هـذا الكتاب مخطوطة مدفونة فى ظلمات المحفوظات مدة طويلة وتوجد منه نسخة فى دار الكتب المصرية ونسخة ثانية فى استامبول ، ومن النسخة الثانية توجد نسخة فوتوغرافية محفوظة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، وهنالك نسخ أخرى ترتكز أساسا على مخطوطة كاتب الشونة

(١) نشر هذا الكتاب فى طبعتين فى عام ١٩٣٣ م ، قام بنشر الأولى منها السيد / سليمان داود منديل ، والثانية الشيخ / إبراهيم صدّيق أحمد القاضى الشرعى سابقا بإدارة السودان وهاتان الطبعتان مأخوذتان مباشرة أو عن طريق غير مباشر من نسخة قديمة كتبها الشيخ الفقيه محمد النور وضيف الله وما زالت هـذه النسخة القديمة بعيدة عن متناول الباحثين وهذه النسخة ضرورية لتحقيق ما جاء فى هاتين الطبعتين .

وأدخلت عليها تعديلات من إضافة أو حذف ، ومنهـا نسخة مخطوطة باليد فى المكتبة الأهلية بباريس ، ونسخة فى المتحف البريطانى .

وهنالك نسخة فى مكتبة فينا الأهلية وهى صورة من مخطوطة كاتب الشونة مع بعض تعديلات قليلة وتنتهى هذه المخطوطة بنهاية السلطنة السنارية ، وقد قام الدكتور أجناس كنوبلخر (Ignaz Knoblecher) المبعوث البـابوى فى السودان ، فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى بكتابة هذه المخطوطة — كتبها له فقيه فى الخرطوم .

وتعتبر نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة أقدم مخطوطة نقلت عن الأصل المنسوب إلى كاتب الشونة ، وهى تحتوى على حقائق خاصة بشخصية هذا الكاتب فى ثنايا المتن ، ولذا جعل الناشر هذه النسخة القاهرية أصلا للمتن المنشور هنا بعد تحقيقه ومقارنته بمتون النسخ الأخرى .

ويلاحظ أن هذه النسخة القاهرية كتبت بلغة عامية دارجة ، أما ما عداها فيتضح منها أن أصحابها كتبوها فى أسلوب أقرب إلى العربية الفصحى ، على أن موضع الأهمية هنا هو أن النسخة القاهرية هى النسخة التى اتخذها الناشر أصلا معتمدا للنشر ، ولذا رمز إليها بحرف ق ، كما رمز إلى نسخة استامبول بحرف أ ، ونسخة باريس بحرف ب ، ونسخة فينا بحرف ف ، ونسخة لندن بحرف ل .

وتختلف نسخة ب عن جميع النسخ بإضافات أوردها كاتب هـذه النسخة البارىسية من مراجع مختلفة وأهمها اقتباسات من خطط المقريزى ، منقولة فى الأصل من ابن سليم الأسوانى ، ورأى الناشر أن يجعل هذه الإضافات فى ملاحق خاصة فى آخر الكتاب .

ويقال إن كاتب هذه النسخة البارىسية هو الشيخ الزبير ود عبد القادر ود الزين المشهور باسم الزبير ود ضوه (١٨٢٦ — ١٨٨٢ م) ويقال أيضا إن الشيخ إبراهيم عبد الدافع (١٨٠٠ / ١٨٨٢ م) قام بتنقيح هى النسخة من ناحية الصياغة ، وأضاف إليها وغيَّر وبدل ، ومن ذلك التغيير والتبديل أو كلاهما حذف ما يشير إلى

اسم المؤلف الأصلى وهو كاتب الشونة وجرى على هذا الحذف بالذات جميع الناسخين للنسخ المذكورة هنا ؛ ومعنى هذا أن جميع النسخ المخطوطة المعروفة من هذا الكتاب ينبغى أن تعتبر ناقصة من حيث العنوان واسم المؤلف باستثناء النسخة القاهرية ونسختى استامبول وفينا .

وقام الأستاذ مكى شبيكة بنشر إحدى هذه النسخ الناقصة وهى نسخة لندن (ل) دون أن يجعل من النسخ الأخرى وسيلة مساعدة له فى عمله ، مع العلم بأنه سد بمجهوده هذا فراغا حفزنى بدورى إلى الحصول على جميع النسخ المعروفة من هذا الكتاب لاستخدامها فى نشره فى صورة نهـائية مقارنة محققة . وبفضل حصولى على هذه النسخ المعروفة استطعت أن أجعل نسخة (ق) أصلا لا فرعا فى النشر كما أنى استطعت أن أشرح المتن بحواشى تاريخيـة وجغرافية ولغوية .

ويهمنا أن نقول هنا إن هذا الكتاب يتعرض إلى أصل الأسرة السنارية وبخاصة ما جاء فى مخطوطة فينا بصـدد انتقالها إلى سنار ولذا رأيت أن ألفت انتباه القارئ إلى أصل هـذه الأسرة فى كلمة موجزة نقلا عن كتاب تاريخ وحضارات السلطنات والإمارات الإسـلامية فى السودان فى العصور الوسطى تأليف كاتب هذه السطور (تحت الطبع) .

«ينقسم تاريخ الأسرة الفنجية إلى ثلاث مراحل تاريخية واضحة المعـالم ، أولها مرحلة البداية التى تشمل هجرة هذه الأسرة من موطنها الأصلى فى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية — منطقة عمان — إلى شرق أفريقية وتنتهى هذه الرحلة بانتقال هذه الأسرة شمالا عن طريق البر عبر المنطقة الساحلية أو عبر الأراضى الأثيوبية أو عبر طريق البحر الأحمر .

ونجد تاريخ المرحلة الأولى فيما جاء فى مخطوطة الزنوج التى نشرها تشيرولى فى كتابه « صوماليا » حيث يقول إن جماعات جاءت إلى منطقـة بر الزنج — جزيرة لامو (أمام الساحل الأفريقى الشرقى) — من الشام بأمر الخليفة

الأموى عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ـ ٧٠٥ م) وأنشأت هذه الجماعة محطات تجارية فى هذه الجزيرة لاستغلال معدن النحاس والمواد العطرية والتوابل وغيرها وجاءت بعد ذلك هجرات من شبه الجزيرة العربيــة وبينها مجموعة من قبيلة فنج (بفتح الفاء والنون والجيم) .

وتشير مخطوطة الزنوج إلى خروج هؤلاء الفَنَج إلى النزو فى بلاد الصومال وفى المنطقة الواقعة بين بربرة وسواكن كما تشير إلى خراب هذه المنطقة بسبب تلك الغزوات وما تخللها من أمراض وبائية وهجوم القبائل الافريقية .

والمعروف أن الصوماليين تحركوا جنـوبا إلى حوض نهر الشبيلى فى المدة الواقعة بين القرن الثانى عشر إلى القرن الخامس عشر للميلاد ، وفى هــذه دلالة على أن الحركة القبلية الصومالية هى التى فيما يبدو السبب الرئيسى الذى اضطرت معه الفنج إلى الهجرة شمالا » .

ويوجد أكثر من إشارة إلى موضع اسمه « لامول » أو « لول » أو « لم » وأول هذه الإشارات نقش على شارة سلطان من الفنج اسمه عجيب ، ولذلك لا يبعد أن يكون اسم هذا الموضع مشتقا من لفظ « لامو » ، الجزيرة الواقعة على الساحل الافريقى الشرقى .

ويلاحظ أن المتن المنشور هنا يكتب بإشارة موجزة إلى موت إسماعيل كامل قائد الحملة المصرية إلى السودان ، وهو الذى مات حرقا فى شندى فى ليـلة السابع عشر من صفر سنة ١٢٣٨ هـ (٣ نوفمبر سنة ١٨٢٢ م) وأشار مؤلف المخطوطة إلى هــذه الحادثة بقوله « ثم توجه المشار إليه (الباشا) إلى شندى فى شهر صفر (١٢٣٨هـ) فلما وصل بها أحضر المكوك وطلب منهم مالاً يعجز عن حمله فاستأذنوه وطلبوا منه المهلة إلى صبيحة ذلك اليوم ، فخرجوا منه وتشاوروا فى قتله ، فخامرهم الشيطان وغلب عليهم السطر فى الأزل وذلك فى ليلة ١٧ صفر سنة ١٢٣٨ هـ فطلع من البحر ، وأنزلوه ببيت وهجموا عليه ليلا فمنعوهم (فمنعهم) من معه (حرس الباشا الخاص) من الدخول إليه ، فعلوا

على سقف البيت وأوقدوا عليه النار فنفذ القدر ، وهــذه العبارة متناقضة ، فلم يكن فى شندى سوى الملك نمر ، وربما كان هنالك الملك المساعد ملك الغرب من شندى والعلاقات بين نمر والمساعد لم تكن على ما يرام ، وتقع مسئولية هــذه الجريمة على عاتق جماعة من المماليك الذين هربوا من شندى إلى منطقة الدويم على النيل الأبيض وذلك عند اقتراب الحملة المصرية إلى شندى . وقد عاد هذا النفر إلى شندى بعـد دخول الحملة إلى أرض الجزيرة وكان معها الملك نمر فى صحبة قائدها كمستشار له فى الشئون المحلية . ونزل هؤلاء المماليك عند صديقهم الملك المساعد ، ولم تكن للملك نمر مصلحة فى اغتيـال إسماعيل كامل ؛ لأن ما قيل عن طلبه مالا كثيرا من المكوك لا يزيد عن كونه خرافة وقد كانت هذه الحادثة المنكرة ، النواة الأولى فى تطور العلاقات السودانية المصرية ، ولما جاء محمد بك الدفتردار من كردفان إلى شندى بسبب هــذا الحادث فوجئ بواحد من المفتونين يرميه برمح لم يصبه فكانت لهذه الرمية فى هــذا الجو المشحون بالمفاجآت أن عمد جنود الدفتردار إلى أعمـال انتقامية ، ذهب ضحيتها نفر غير قليل من السكان الآمنين كما هرب عدد كبير من الأهالى إلى البادية والجبال .

وكان هرب نمر بسبب أنه شعر ، بوصفه حاكم الإقليم ، بأن المسئولية الجنائية تقع عليه شخصيا بحكم العادات والتقاليد القبلية المحلية ولم يكن يستطيع أن يتعقب المجرمين ويسلمهم للعدالة ، لكنه آثر ترك موطنه ، وكان هذا الاختيار هو الذى ألصق به تهمة تدبير القتل وهذا قطعا غير صحيح[1] لأن خروجه من بلده كان تقليدا اقتضته العادات المحلية .

***

ننتقل الآن إلى عرض للمخطوطات التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث .

أولا ـ مخطوطة تاريخ مدينة سنار ـ يرمز لها بحرف ق ـ وهى محفوظة بدار الكتب المصرية فى القاهرة تحت رقم ١٨م تاريخ (مكتبة فاضل باشا) وهى أقدم

(١) انظر « معالم تاريخ سودان وادى النيل ص ١٣٠ / ١٣٦ للمؤلف » .

المخطوطات التي وصلت إلينا عن تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية للسودان، وتحتوى على ثمان وسبعين صفحة ، فى كل صفحة حوالى الواحد والعشرين سطرا، ومعدل كلمات كل سطر عشرون كلمة ، وهى مكتوبة بخط واضح ، ومنقولة عن الأصل الذى لم يعثر عليه . وتنتهى هـذه المخطوطة إلى شهر ربيع أول سنة ١٢٥٤ هـ (مايو/يونيه سنة ١٨٣٨ م) .

كتب هذه المخطوطة الشيخ / أحمد بن الحاج أبو على الذى ولد فى قوز المسلمية الواقعة بالقرب من بلدة المسلمية (بين ود مدنى والحصيحيصا) وكان ذلك فى عام ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ / ١٧٨٥ م) كما جاء فى صفحة ٩٠ حيث يقول « . . . . وذلك فى سنة ١١٩٩ هـ وهو العام الذى ولدت فيه » ويذكر أيضا أن والده قد سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فى عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٩ م) ويذكر أن والده قد توفى فى عام ١٢١٦ هـ ، فيقول فى صفحة ١٢ ب « فى عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ / ١٨٠٢ م) توفى والدنا بعـد أن قضى حجه ورجع رحمة الله عليه » ، وقد توفيت والدته فى عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٦/١٨١٧ م) ويضيف فى صفحتى ٣٦ أ ، ب فى ذكر حوادث عام ١٢٥٠ هـ « ورفعنا فى تلك السنة من خدمة الديوان فى شهر القعدة الحرام (مارس ١٨٣٤ م) وكان دخولنا الخرطوم واستخدامنا فى الديوان فى عام ١٢٤٠ هـ لليلتين خلتا من شهر صفر الخير (٢٦ سبتمبر سنة ١٨٢٤ م) صحبة الشيخ شنبول ، وقيدنا بالديوان فى شهر ربيع بالسنة المذكورة إلى سنة خمسين (١٢٥٠ هـ) ، وعاشرنا أهل البلاد أحلى معاشرة وعاصرناهم أعلى معاصرة ، فما من أحـد إلا وكان لنا صديقا ، ومالت لبعضها الطبايع وجبلت النفوس على حساب المنافع ، ولما تـكدر صفو العيش تبين الصدق من الغش ، فما من صديق إلا وظهر منه تعويق، فمنهم من بارز بالقبايح ومنهم من وجد كالسراب اللايح ، ومنهم من تربص بنا الدوابر ، وكان لفتنتنا مناظر ، فأسبل الله ستره العميم ، وغطى به عبـده اللئيم فلله مزيد الحمد والشكر والتـكريم » .

ثانيا ـ مخطوطة استامبول ـ توجد بصفحة العنوان فى هذه المخطوطة عبارة « تاريخ بلود سودان ـ مرحوم عارف حكمت بك أفنديك ـ (يرمز لها بحرف أ) وهى محفوظة تحت رقم (١٣٨/١٣١ / ٣٤٢٩ ت) وتوجد منها صورة مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ـ وعدد صفحاتها ست ومائة وكل صفحة بها حوالى ثلاثة وعشرين سطرا وكل سطر حوالى الاثنى عشر كلمة وهى صورة طبق الأصل لمخطوطة القاهرة ـ ق . وهى مكتوبة بخط واضح .

ويحتمل أن تـكون هـذه المخطوطة قد نسخت عن مخطوطة ق . أو عن نسخة أخرى .

ثالثا ـ مخطوطة ڤينا ـ (يرمز لها بحرف ف) وهى محفوظة فى المـكتبة الأهلية بڤينا بالنمسا وقد نقلها إليهـا القس الدكتور أجناس كنوبلخر الذى وصل إلى الخرطوم فى عام ١٨٤٨ م وعاد إلى أوروبا فى ١٨٥٠ م وعاد ثانية فى عام ١٨٥٢ م وسافر إلى أعالى النيـل ، حيث أسس مراكز تبشيرية منها واحد فى غندكرو وذلك فى عام ١٨٥٢ م وثان فى مكان اختاره بين شامبى وبور ، وأطلق عليه اسم « الصليب المقـدس » وهذه المحطة النيلية تعرف اليوم باسم « الـكنيسة » وعاد إلى أوروبا فى عام ١٨٥٧ م وتوفى بعد وصوله إلى مدينة نابولى الإيطالية .

وقد قام بنسخ هذه المخطوطة فقيه فى الخرطوم كما هو موضح على صفحة العنوان التى جاء فيها الاسم كالآتى . « تاريخ مملـكة سنار والأسرة الفنجية » وتنتهى هـذه المخطوطة فى عام ١١٩٠ هـ (١٧٧٦/١٧٧٧ م) وليس كما ذكر الناسخ فى نهاية المخطوطة ... « توفى مع الشيخ أبلـكيلك (أبو الـكيلك) فى سنة ١٢٩٠هـ» (صحتها ١١٩٠هـ) .

وتشمل هذه المخطوطة بعض المادة التاريخية الهامة ، وفى مقدمتها ماجاء فى الصفحتين ٣ ب و ٤ أ ، ب و ٥ ب ، وهى التى يقول فيها عن نسب الفنج « قيل إنهم من بنى أمية لما انتزع منهم الملك وهربتهم (هربهـم) البنى الباس

(بنو العباس) جد (جاء) منهم رجلان إلى هذا المحل استولدوا النساء وأن الفنج من سالهم (سلالتهم) وقيل إنهم بنى هلاله والشايع أن كبارهم كانوا يجتمعون عند كبيرهم ويأتون بالطعام فأكل من سبق ... حتى قدم رجل من السافل فنزل بينهم ، ونظر إلى أحوالهم فشار[١] عليهم ، وصار كلما جاء الطعام يجبسه ، حتى يجتمعوا[٢] فيقوم ويفرقه[٣] عليهم ، فكانوا يأكلون ويفضل الباقى ، فقالوا (إنه) رجل مبارك لم يفارقنا ، فزوجوه بنت ملكهم ، ولدت له ولدا فلما نشأ وكبر مات جده فاتفق رأيهم[٤] أن يجعلوه محل جده ويتبعوه الشكل فعملوا ذلك ولذلك سموا بالأونساب[٥] ، وأقاموا بمجلسهم المعروف ، ولما أرادوا الانتقال منه عملوا لملكهم عنقريبا من سرطان (خشب السرتى) ولزوجته كذلك[٦] وحملوه حتى نزلوا بهم جبل مويه ، وكانوا شدادا طوالا غلاظا يحمل الواحد منهم زاده وماءه على كتفه ، وساح وسافر ولما صار لهم الملك صار لهم عنقريب السرطان عادة ، فحين يملكون لهم ملكا جديدا يزوجوه من نسل تلك المرأة ويسمونها بنت عين الشمس ، ويحملونهما على تلك الحالة المتقدمة إلى حوش الجندى ويحبسوه به سبعة أيام ثم يخرجوا به إلى محل معروف لهم فيه عوايد تخرج لهم من الأرض يتفاولون بها بخروجها ويتشاءمون بعدمها ، وهى باقية فيهم حتى انتهى ملكهم والله أعلم[٧] » .

ويجد القارىء فى هذه المخطوطة أخطاء متعددة الأشكال والصور ، منها ماهو لغوى حيث يضيف تاء التأنيث للفعل الذى يشير إلى مذكر ، ومنها أخــذه

(١) فشار: صحتها فأشار .
(٢) وردت فى المخطوطة « يجتمع » والصحيح ما هو موضح بعاليه .
(٣) وردت فى المخطوطة « ويعرفه » والصحيح يفرقه .
(٤) وردت فى المخطوطة « وأيهم » والصحيح رأيهم .
(٥) هذا تفسير خاطىء للفظ الأونساب . فهو يرجع إلى انسبا وهو رافد فى الارتيريا .
(٦) وردت فى المخطوطة « لذلك » والصحيح كذلك .
(٧) بنصه من المخطوطة .

بطريقة رسم الألفاظ دون الأخذ بعين الاعتبار إلى معناها ، وهذان يدلان على أن الفقيه الذى قام بالنسخ لم تكن لغته الأصيلة العربية ولا شك فى أعجميته ، وهنالك بعض أخطاء فى نقل التواريخ ، كما أنه أسقط عددا من الصفحات فبين نهاية صفحة (١٢أ وبداءة ٢١ ب سقطت الصفحات ١٢ ب إلى ١٩ ب وذلك من صفحات مخطوطة « ق » وهنالك أيضا بعض ألفاظ تكررت كتابتها .

رابعا ـ مخطوطة باريس ـ يرمز لها بحرف ب ـ وعنوانها « مخطوطة تاريخ ملوك الفونج وأقاليمه إلى حكم سعيد باشا ، ومنها نسخة مصورة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٣٧ ورقمها فى المكتبة الأصلية فى باريس ٥٠٦٩ عربى وتتكون هذه المخطوطة من ثلاث وثمانين صفحة وخطها نسخ جميل . وهى بطبيعة الحال منقولة عن أصل لم يعثر عليه بعد .

ويبدو أن مؤلف هذه المخطوطة كان أوسع اطلاعا من كاتب الشونة فقد أضاف لمخطوطته وصفا لمدينة علوة « سوبه » نقله عن ابن سليم الأسوانى . ورد على قول كاتب الشونة بشأن عدم شهرة مدرسة علم ولا قرآن فى السنوات الأولى وأوضح أنها كانت موجودة ، وذكر أيضا نبذة عن تاريخ بلاد النوبة وما صار فيها من الصلح والحروب من دخول عمرو بن العاص لمصر إلى عام ٨١٥هـ ، العام الذى فيه كما يقول « ثم زحفت هوارة فى محرم سنة خمسة عشر وثمانمائة إلى أسوان وحاربت أولاد أكنز » . وتنتهى هذه النسخة فى يوم الجمعة المبارك ثامن جمادى الآخرة سنة ثمانين (١٢٨٠هـ ١٨٦٣م) .

ويقول الدكتور مكى شبيكة إن هــذه المخطوطة قد ألفها الزبير ابن عبد القادر ود الزين ونقحها الشيخ إبراهيم عبد الدافع .

خامسا ـ مخطوطة لندن ـ يرمز لها بحرف ل، تنتهى هذه المخطوطة فى عام ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) ونقل منها غوردون باشا حكمدار السودان نسخة « كان الفراغ من نسخة هــذه التواريخ عصر الجمعة المبارك غرة رمضان الشريف المبارك

سنة ١٢٩٥ من الهجرة النبوية (٣٠ أغسطس سنة ١٨٧٨م) على صاحبها أزكى التحية[1] » وقد أرسلت هـذه النسخة إلى المعية بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٩٥هـ (٢ سبتمبر سنة ١٨٧٨م) وقد فقدت هذه المخطوطة ، ونقل غوردون نسخة أخرى أودعها فى المتحف البريطانى وهى محفوظة تحت رقم ٢٣٤٥ عربى وكان ذلك فى عام ١٨٨١م . وقد استخدمت هذه المخطوطة على أوسع نطاق ، فأخذ عنها الـكولونيل استيوارت المعلومات التاريخية التى ضمها لتقريره الذى كتب فى الخرطوم فى فبراير سنة ١٨٨٣[2] ، كما استخدمها (السير) وأليس بدج ونعوم بك شقيره واستخدم جكسن فى كتابه « سن النار » نسخة غير هـذه فى مؤلفه وذكر فى مقدمته أنه يعلم بوجود ثمان مخطوطات من تاريخ السلطنة السنارية[3] .

وذكر مكميكل أنه قد حصل على نسخة كانت فى حوزة الملك عدلان فى سنجه . وهو من البيت السنارى ، ووجـد نسخة أخرى عند الفقيه محمد عبد الماجد فى أم درمان ويقول إن النسخة الأخيرة قد كتبها أحد تلاميذه أيام المهدية من نسخة احتفظ بها الفقيه هجو اليعقوبابى .

وتنتهى هذه المخطوطة ، كما سبق أن أوضحنا ، فى عام ١٨٧١ م فى حكم ممتاز باشا ، وتضيف هذه النسخة حوادث ثمان سنوات على ماجاء فى النسخة ب التى تنتهى فى عام ١٨٦٣ م ، وجاء فى خاتمة هـذه المخطوطة « ثم كان دخول هذا البدل (أحمد ممتاز باشا) الذى غَير وبَدل فى اثنين من رمضان من هذا العام (١٢٨٨ هـ) ، وقد أرهب الناس من يوم دخوله بظلمه العام ، الذى لم يسبق بمثله خاص ولا عام من كان من مضى قبله من الحـكام بما ذكره يسوّد وجه الدفاتر ، ويبكى من كان قلبه رقيقا لإحياء الستار فلذلك أمسكنا

(١) توجد نسخة من هذه المخطوطة فى مكتبة طلعت باشا بدار الـكتب المصرية .
(٢) مكميكل : «تاريخ العرب فى السودان» جزء ٢ ص ٣٥٤ .
(٣) جكسن : «سن النار» (١٩١٢ م) بالإنكليزية .

العنان عن التفصيل ورأينا أن الإجمالى فى حقه أولى من التطويل سترا لقبيح أفعاله ، ومداراة على سيء خصاله والحاصل أن من أراد الاطلاع على سيرة كل من هـذين الضدين ومعرفة هذين الشخصين الحاكمين المتقابلين[1] ، وتواريخ وقائعهما وسفرها وإقامتهما فليـكشف من الدفاتر الميرية فإنها بجميع ذلك كافلة حرية[2] » .

ويقول الدكتور مكى شبيكه « وجدت كما تقدم فى مخطوطة واحدة أن ما جمع عن عهد جعفر مظهر باشا وممتاز (باشا) كان من الشيخ الأمين الضرير مميز علماء السودان ، والحقيقة أن الأسلوب يختلف ويدخل فيه السجع . . . وطبيعى الا يسر مميز العلماء من ممتاز لأنه انصرف بكل جهوده نحو الزراعة والقطن والمحالج والمـكابس وغيرها ورأى أيضا أن يقطع بعض المرتبات التى كانت تعطى لبعض العلماء ويستبدلها بأراض يزرعونها ، ورجل مثل ممتاز نزعته عملية لا يميل بطبعه لمجالس علم أو أدب فلاغرو إذا نقم عليه مميز العلماء هذا المسلك وخاصة إذا خلف صديقه الحميم جعفر مظهر باشا » .

وفى هـذه العبارة الموجزة التى أوردها الدكتور شبيكة أولا بشأن الشيخ الأمين الضرير مميز العلماء وثانيا بشأن أحمـد ممتاز ، ما يتطلب المزيد من البحث والتحقيق ، فالمعروف أن الشكاوى التى قدمت ضد أحمد ممتاز لوالى مصر وما كتب عنه فى هذه المخطوطة التى نشرها الدكتور شبيكة قد كتبها موظف معـين شغل منصب نائب مدير مديرية فى خطة لتحطيم نشاط ممتـاز وإفساد علاقاته مع الوالى .

وفى الختام أرجو أن أكون قد خدمت تاريخ السودان بنشر أحد مراجعه الأصلية ، ومن المعروف أن مراجع أخرى كثيرة خاصة بتاريخ السودان لاتزال

(١) يشير إلى جعفر باشا مظهر حكمدار السودان الذى استدعى فى عام ١٨٧١م وعين مكانه أحمد ممتاز باشا وتسلم الأخير عمله فى نوفبر سنة ١٨٧١ م .
(٢) كل هذا خرافة لا يستند إلى دليل .

تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية

مخطوطات بعيدة عن متناول الباحثين وأتمنى أن أرى كثيرا منها منشورا مطبوعا على أيدى أبناء الجيل الناهض الجديد فى جمهورية سودان وادى النيل .

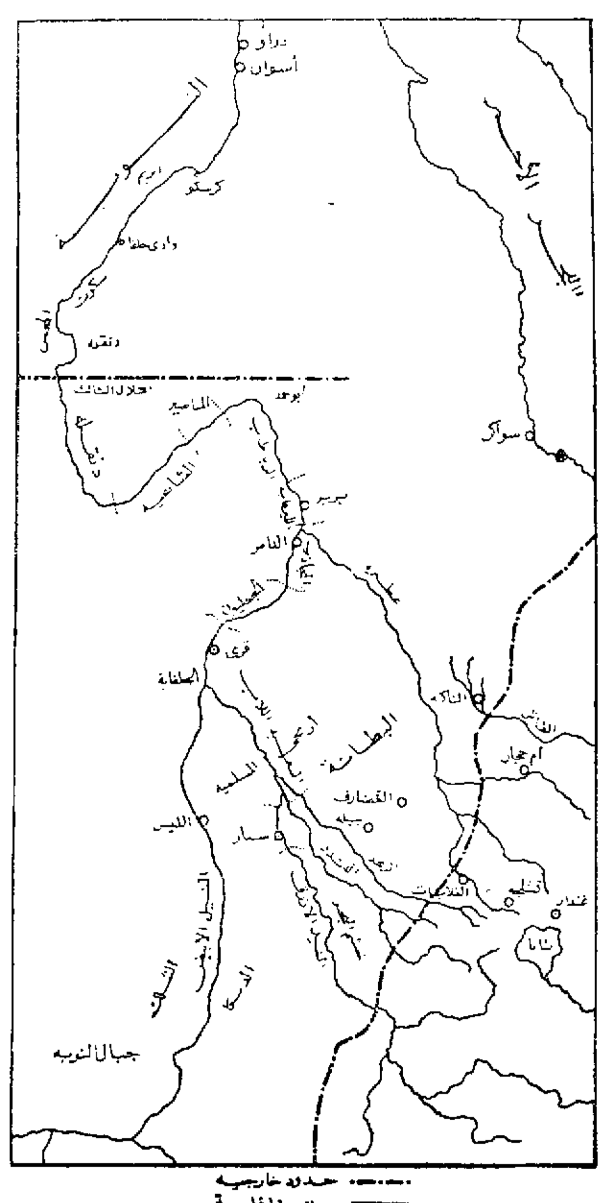
ويسرنى أن أتقدم بالشكر إلى وزارة الثقافة والإرشاد وإدارة الثقافة العامة للاهتمام بنشر هذه المخطوطة ، كما يسرنى أن أتقدم بالشكر إلى السيد الإستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة رئيس قسم التاريخ بجامعة القاهرة سابقا لتوجيهاته ومراجعاته التى كان لها الأثر فى إخراج هذا الكتاب على الصورة التى بين يدى القارئ ، وأقدم الشكر إلى السيد الأستاذ الدكتور حسن عثمان لتشجيعه البحوث السودانية وتوجيهه ، كما أتقدم بالشكر إلى السيد الأستاذ أحمد مختار لاهتمامه بإخراج هذه المخطوطة ، وأقدم الشكر كذلك إلى السادة الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ومحمد رشاد عبد المطلب الأمين بذلك المعهد ، وعبد الرحمن محمود عبد التواب كبير مفتشى الآثار الإسلامية والقبطية وذلك لصدق معاونتهم فى مراحل عملى فى هذا الكتاب والله الموفق .

منشية البكرى القاهرة
فى ٧ يناير سنة ١٩٦١

الشاطر بصيلى عبد الجليل

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لله مبدي خلق ومعيدها ومفني ملوك ومبيدها القاهر بعز سلطانه [illegible]
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة [illegible] من الاهوال ووعيدها واشهد ان سيدنا
ومولانا محمدا عبده ورسوله وحبيبه المبعوث الى الثقلين [illegible] صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين [illegible] قبة الاسلام وارسوا قواعدها [illegible] صلاة [illegible]
على ممر الايام وجديدها اما بعد فاني رايت تواريخ [illegible]
[illegible]



خريطة رقم ١

الديار القبلية التي تكون منها الحلف السناري

بسم الله الرحمن الرحيم

[٢ـ ا] الحمد لله مبدئ الخلائق(١) ومعيدها ، ومفنى الملوك ومبيدها ، القاهر بعزيز سلطانه جبارَها وعنيدَها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تنجى قائلها(٢) من الأهوال ووعيدها ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وحبيبه المبعوث إلى الثقلين أحرارها وعبيدها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين بنوا ببركته قبة الإسلام وأرسوا قواعدها وعلوا مشيدها ، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين على ممر الأيام [سالفها](٣) وجديدها .

أما بعد ، فإنى رأيت تواريخ للأقدمين فى عدد سنى(٤) الملوك السابقين ، واحببت أن أجمع إلى ذلك شيئاً من ابتداء(٥) عمارة سنار المحروسة المحمية ، أجلها الله خالق البرية ، واذكر ما كان فيها ، ومن ملوكها وسيرهم المحمودة المرضية على ما سمعته الأذن وشوهد فى آخر ملكهم بالأعين .

وسنذكر ذلك إن شاء الله تفصيلا وإجمالا ، على حسب ما عرض على

---

(١) فى جميع النسخ « الخلق » ، والتعديل يقتضيه السياق .

(٢) فى الأصل قايلها وكذا فى جميع النسخ ، وسوف يحافظ الناشر على همز الياء فى مثل هذا الأسلوب ، وكذا على مدها فى أواخر الكلمات ، بدون تعديل أو تعليق بعد هذه الحاشية .

(٣) موضع هذا اللفظ بياض فى « ق » وما بين الحاصرتين من نسخة ب .

(٤) فى « ق » السنين وأداة التعريف مشطوبة فى الأصل ، والتعديل هنا بحذف النون للاضافة .

(٥) فى « ق » ابتدى ، حيث كتب الناسخ حرف الألف المقصور بصيغة الياء وما هنا أقرب للفهم . انظر حاشية رقم ٢ أعلاه .

السامع ، من غير ترتيب ، لأنى لم أره مرتّبا بل حكايات واردة ولم تخل من التقديم والتأخير والتبديل والتغيير ، ولذا قال العراقى رحمه الله فى سيرته :

«وليعلم الطالب أن السير تجمع ما صح وما قد أنكر» .

ولنبدأ فى ذكر ذلك فنقول [1] : إن الفنج ملكت بلاد النوبة [2] ، وتغلبت فيها فى أول القرن العاشر بعد التسعمائة ، وخطت مدينة سنار ، خطها ألملك عمارة دونقس [3] ، وهو أولهم ، وخُطّت مدينة أربجى [4] قبلها بثلاثين سنة خطها حجازى بن معين ، وعلى هذا [يتضح] أن عمارة أربجى

(١) يلى هذا اللفظ فى نسخة ق إشارة إلى هامش نصه : «ما جاء فى ذكر نسب الفنج قيل إنهم من بنى أمية لما انتزع منهم الملك وهرّبتهم (كذا) بنو العباس جاء منهم رجلان إلى هذا المحل واستولدوا النساء وأن الفنج من نسلهم وقيل غير ذلك . وفى نسخة ف عبارة استطرادية تضيف كثيراً من الحقائق إلى المثبت هنا ونصها : « ولنبدأ فى ذلك بما فى طبقات الولى الصالح الكامل العالم العلامة الفاضل النبيه الفقيه محمد بن العلامة الولى الشيخ ضيف الله ، ونذكر بعضا من الأولياء الذين ظهرت ولايتهم بعده فى تلك المدة وقد تكلم على كراماتهم فى طبقاته ، ونحن نذكر أسماءهم رحمهم الله جميعا ، ونفعنا بهم آمين» ، إن الفنج ملكت أرض النوبة وتغلبت فيها الخ وهكذا تعود نسخة ف فتصبح متفقة مع ق .

(٢) تضيف ب تاريخا لدخول العرب إلى السودان . انظر الملحق رقم ٢ .

(٣) ورد الاسم فى بعض المصادر عميرة ، ودونقس لقب اتخذه السلطان عميرة ومعناه — « النجاشى العظيم » ، فلفظ « دو » معناه عظيم ونقس معناه نجاشى « Djan Negus » .

(٤) انظر ملخص تاريخ أربجى فى كتاب معالم تاريخ سودان وادى النيل للناشر ص٢٥٦ — ٢٦٠ وهى منقولة عن مخطوط بيت شنبول وبالإضافة إلى ذلك نقول: إن تاريخ إنشاء هذه البلدة موضع شك فقد جاء فى ترجمة الشيخ تاج الدين البهارى فى طبقات ود ضيف الله ص ٤٤ « . . . وسلك خمسة رجال منهم الشيخ الهميم والشيخ بان النقا الضرير وحجازى ابن معين بانى أربجى ومسجدها » وقد بدأ الشيخ تاج الدين رسالته الدينية فى حوالى ٩٨٠ هجرية (١٥٧٢ / ١٥٧٣ م) أى نحو مائة عام بعد تاريخ إنشائها عن يد حجازى بن معين .

فى مدة الفنج [1] ، ولم تشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن ، ويقال إن الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهارها بدون عدة ، إلى أن قدم الشيخ محمود العركى من مصر ، وعلّم الناس العدّة [2] [فى الطلاق] وسكن [على ساحل النيل] الأبيض [3] ، وبنى له قصرا يعرف به الآن .

وفى أول النصف الثانى ، من القرن العاشر ولى السلطان عمارة أبوسكيكين الشيخ عجيب المَانجُلُك ، ففى أول ملكه قدم الشيخ إبراهيم البولاد من مصر إلى دار الشايقية ، ودرس فيها الفقه ، وانتشر علم الفقه فى الجزيرة .

ثم بعد يسير قدم الشيخ تاج الدين البهارى [4] من بغداد وأدخل طريق الصوفية فى دار الفنج .

ثم قدم الشيخ التلمسانى المغربى إلى الشيخ محمد ولد عيسى سوار الذهب [5] وسلكه طريق القوم ، وعلمه علم الكلام وعلوم القرآن من روايات [6] وتجويد ونحوه .

وانتشر علم التوحيد والتجويد فى الجزيرة ، لأنه أخذ عليه القرآن عبد الله

(١) فى « ق » الفنج وهو خطأ ، صحته ما أثبت بالمتن هنا لأن الفنج (البيت الحاكم) لم يظهروا فى سنار إلا بعد التسعمائة هجرية ، أما أصل لفظ الفنج أو كما ورد فى مخطوطة قلاوون « الأنج » فغير معروف ، ما عدا أن هذا اللفظ كان يطلق على سكان النوبة على حوض النيل وفى كردفان قبل سلطنة الفنج فى سنار — انظر ما يلى فى ص ٧ .

(٢) انظر الملحق الأول حيث يعترض كاتب المخطوطة ب على هذا القول ويبدى رأيه .

(٣) عرف محمود العركى بأنه راجل القصير (رجل القصير : تصغير قصر) والمكان على شاطىء النيل الأبيض بين الحسانية والليس انظر طبقات ود ضيف الله ص ٥ و ١٦٣ .

(٤) انظر ترجمة حياته فى طبقات ود ضيف الله (نشر صديق) ص ٤٤ ، ويبدو أن الشيخ تاج الدين جاء من البهرة بالهند الإسلامية .

(٥) انظر ترجمة الشيخ محمد ولد عيسى فى طبقات ود ضيف الله ص ١٦٥ ، اما الشيخ التلمسانى فلم نعثر له على ترجمة : وقيل إن اسمه محمد التلمسانى وهنالك عدد كبير من الفقهاء من سمى بمحمد .

(٦) صحتها روايات .

الأغبش[١] ونصر [٢-ب] والد الفقيه أبي سنينه[٢] بأربجى ثم ظهرت ولاية الشيخ إدريس[٣] من غير شيخ قدم عليه ، وقيل إنه أخذ من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقيل قدم عليه رجل من المغرب بالخطوة اسمه عبد الكافى [ووجد فى جيبه بعد وفاته أنه قال « شيخى فى الطريق عبدالكافى المغربى مجذوب فى الحقيقة ، وشيخى القطب الشيخ على الخواص مشرق بلاد الهندى »][٤] .

وبعد يسير ظهرت ولاية الشيخ حسن ولد حسونه[٥] بعدد من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قدم الشيخ محمد بن قرم[٦] دار بربر ، وأدخل فيها مذهب الشافعى وانتشر مذهبه فى الجزيرة .

ولنرجع إلى ذكر الملوك ، وتبيين ما لكل واحد[٧] منهم من السنين وانتهاء ملكه ، وما حصل فى مدته من وقائع وحوادث على حسب الإمكان .

فأول ملكهم مما تداول فى ألسنة الخلق أن ابتداء أمر الفنج كانوا بمحل يعرف بلُولُو بتفخيم اللامين ، فكانوا بها على قدر ما أراد الله إقامتهم به[٨]

(١) انظر ترجمة حياته فى طبقات ود ضيف الله ص ١٢٨ .

(٢) انظر ترجمة حياته فى طبقات ود ضيف الله ص ٢٦ .

(٣) انظر ترجمة حياته فى طبقات ود ضيف الله ص ٧ .

(٤) أضيف مابين الحاصرتين من ف ويبدو أن ناسخ ق اختصر هذه العبارة فى نسخته .

(٥) انظر ترجمة حياته فى طبقات ود ضيف الله ص ٤٧ .

(٦) ورد هذا الاسم فى طبقات ود ضيف الله ص ١٦٩ كالآتى « محمد بن على بن قرم الكيمانى المصرى الشافعى .

(٧) فى الأصل (أحد) .

(٨) يلى هذا فى نسخة «ف» عبارة طويلة نصها « فصل فى نسب الفنج » قيل إنهم من بنى أمية لما انتزع منهم الملك وهربتهم بنو العباس، جاء منهم رجلان إلى هذا المحل ، واستولدوا النساء ، وإن الفنج من نسلهم ، وقيل انهم بلى هلاله ، والشايع أن كبارهم كانوا يجتمعون عند كبيرهم ، ويأتون بالطعام فأكل من سبق الأكل ، ويقيمون ... حتى قدم رجل من السافل فنزل بينهم ونظر فى أحوالهم فشار عليهم وصار كلما جاء طعام يحبسه حتى يجتمعوا فيقوم ويفرقه عليهم، فكانوا يأكلون ويفضل الباقى ، فقالوا رجل مبارك لم يفارقنا فزوجوه بنت ملكهم [التى] ولدت له ولدا فلما نشأ وكبر مات

ثم انتقلوا إلى جبل مويه[١] ، وهو جبل معروف ، وأقاموا به .

فلما أراد الله إظهار أمره وتسليطهم على خلقه ، وكان لهم بقر وفيها ثور فحل ، فجمل الثور يسرى بالليل إلى غابة سنار ، ولم يكن بها عمارة ، غير أنه يذكر أن بها جارية تسمى سنار مقيمة على جرف ، وبها سميت المدينة حين عمارتها .

ثم إن ذلك الثور يتدلى يرعى فى تلك الغابة ليلا ، ويأتى فى ليلته ، فتبعوه فى بعض الأيام فرأوا دارها ونهرها ، فنزلوا من موية وقطع اشجارها الملك[٢] عمارة دونقس ، وهو أولهم وصار ملكهم بها بعد أن قاتل العنج مع عبد الله القريناتى القاسمى أبى عجيب الكافوته ورجع إليها ، وبقى ملكه فيها ، وشيخ عبد الله المذكور فى قرى[٣] ، وصار الملك له ولذريته المذكورين بعده إلى نول ، وملكه أربعون سنة[٤] فغاية ملكه إلى سنة أربعين بعد التسعمائة .

ثم ملك بعده ابنه عبد القادر لغاية تسعمايه وخمسين فمدته عشر سنين ثم ملك بعده أخوه نايل إلى غاية تسعمائة واثنتين وستين فمدته اثنى عشر سنة .

جده ، فاتفقوا رأيهم أن يجعلوه محل جده ويتبعوه الكل ، ففعلوا ذلك ، ولذلك سموا بالأنساب ، وأقاموا بمحلهم المعروف ، ولما أرادوا الانتقال منه عملوا لملكهم عنقريبا (سريرا) من سرطان (خشب السرتى) ولزوجته كذلك ، وحملوه حتى نزلوا بهم جبل مويه ، وكانوا شدادا طوالا غلاظا يحمل الواحد منهم زاده وماوه على كتفه ، وساح وسافر ، ولما صار لهم الملك صار لهم عنقريب السرطان عادة ، فحين يملكون ملكا جديداً يزوجوه من نسل تلك المرأة ، ويسمونها بنت عين الشمس ويحملونها على تلك الحالة المتقدمة إلى حوش الجندى ، ويحبسوه به سبعة أيام ، ثم يخرجوا به إلى محل معروف لهم فيه عوايد يخرج لهم من الأرض ، يتفاولون بها بخروجها ويتشاومون بعدمها وهى باقية فيهم حتى انتهى ملكهم والله أعلم .

(١) يقع جبل مويه بالقرب من سنار والجبل نفسه على خط عرض ١٣ر٢٨° وطول ٣٣ر٢٢° .

(٢) كذا فى المتن وهو لفظ معروف للقب الملك فى بلاد السودان حتى اليوم ، وسيحافظ الناشر على هذه الصيغة السودانية المحلية فيما يلى بدون تعليل بعد ذلك .

(٣) قرى فى شمال الخرطوم .

(٤) فى الأصل أربعين .

ثم ملك بعده عمارة [أبو سكيكين][١] لغاية تسمائة وسبعين سنة[٢] ، فمدته ثمانية سنين ، [وفى أيامه توفى عبد الله جماع إلى رحمة الله ، والملك عمارة المذكور ولى عوضه ابنه الشيخ عجيب الكافوته على مشيخة قرى][٣] .

ثم ملك بعده دكين بن نايل لغاية تسمائة خمسه وثمانين سنة[٤] فمدته خمسة عشر سنة .

ثم ملك بعده أخوه دَوْرَه[٥] لغاية تسعمائة ثلاثة وتسعين ، فملكه ثمانى سنين .

ثم ملك بعده الملك طبل لغاية سنة ٩٩٧[٦] ، فمدته أربع سنين .

ثم ملك بعده أونسا [ولد ناصر][٧] لغاية سنة ١٠٠٩[٨] ، فملكه اثنا عشر سنة .

ثم ملك بعده عبد القادر وذلك لغاية ١٠١٣[٩] فمدة ملكه أربع سنين .

ثم ملك بعده الملك عدلان وَلَدْ آيا ، وهو صاحب قتال كركوج ، وهو الذى قتل الشيخ عجيب الكافوته لما عصاه وخرج عن طاعته ، سار إليه من سنار ويقال إنه نزل بألتى[١٠] ، وأرسل إليه الجيش فتلقاهم الشيخ عجيب المذكور ومن معه بمحل يقال له ولد أبى عمارة معروف بجوار كركوج[١١] ،

(١) مابين الحاصرتين من ب .
(٢) عام ٩٨٠ هـ = ١٥٦٢/١٥٦٣ م .
(٣) مابين الحاصرتين من مخطوطة ب .
(٤) عام ٩٨٥ هـ = ١٥٧٧ م .
(٥) لم يذكر فى مخطوطة ب . وجاء اسمه « دوكه » فى مخطوطة ف .
(٦) عام ٩٩٣ هـ = ١٥٨٥ م .
(٧) اضيف مابين الحاصرتين من ف .
(٨) عام ١٠٠٩ هـ = ١٦٠٠/١٦٠١ م .
(٩) عام ١٠١٣ هـ = ١٦٠٤/١٦٠٥ م .
(١٠) تقع ألتى على خط ١٦ر١٥ عرضا ٥٨ر٣٢ طولا وهى أقرب إلى الخرطوم .
(١١) تقع كركوج على خط ٣٠ر١٥ عرضا ٢٦ر٣٢ طولا وهى أقرب إلى الخرطوم .

فاقتتلوا هناك [٣ـا] وقتل الشيخ عجيب المذكور ، وانتصرت حربة الملك ، وهرب[١] أولاد الشيخ عجيب إلى دنقله .

ثم أرسل إليهم الملك الشيخ إدريس ولد الأرباب ، وهو أول مرتبة ظهرت عند الفنج ، وأعطاهم الأمان فجاءوا معه وشيَّخ أحدهم وهو [الشيخ][٢] العجيل ومدة ملكه لغاية سنة ١٠١٦[٣] فمدة ملكه ثلاث سنين .

ثم ملك بعده الملك باديه سيد القوم ، ومدة ملكه لغاية سنة ١٠٢٣[٤] ، ومدته سبع سنين .

ثم ملك بعده أرباط وملكه لغاية سنة ١٠٥٢[٥] ، فمدته ٢٩ سنة .

ثم ملك بعده ابنه بادى أبو دقن المشهور بالشجاعة والكرم ، ويقال إنه كان عرض صدره ثلاثة أشبار ، وهو الذى قاتل شلك[٦] ، وهزّبهم وأسرهم .

ثم سار إلى تقلى من بعد ظفره بهم ، وسبب قدومه إلى تقلى ، قيل إن ملكها أخذ من صاحب الملك باديه المذكور مالا ، فقالوا له هـذا صاحب الملك ، فقال لا يقطع الملك باجة أمْ لاع[٧] ، فلما قدم ذلك الرجل وأعلمه أجمع على السفر ، وأخبر صاحبه أنه إذا دخل باجة أم لاع يخبره بها ، فلما دخلوها وعرفوه نزل عن راحلته ، ونزلت عساكره ومشوا على أقدامهم ، حتى قال بعض العساكر لذلك الرجل من شدة التعب قل للملك قطعتها ، فركب وركبت عساكره وصار يحاصر الجبال ، ويقتل [منهم][٨] ويسبي حتى وصل إلى ملك

(١) فى الأصل : وهربت .
(٢) وردت فى الأصل العجيل وأضيفت (الشيخ) من نسخة ب .
(٣) عام ١٠١٦ هـ = ١٦٠٧ م .
(٤) عام ١٠٢٣ هـ = ١٦١٤ م .
(٥) عام ١٠٥٢ هـ = ١٦٤٢ م .
(٦) يشير المؤلف هنا إلى قبيلة الشلك التى تسكن على شاطئ النيل الأبيض الأيسر فى منطقة ملكال .
(٧) تقع جنوب غربى الدويم .
(٨) مابين الحاصرتين من ف .

تقلى ، فحاصره فتحصَّن منه بحصونه ، وكان يقاتلهم بالنهار ويرسل لهم الضيافة بالليل ، فصالحه لأجل ذلك ولِما رأى من مكارم أخلاقه ، وجعل عليه خراجاً معلوما ورجع إلى سنار ، وجعل النوبة الأسورين مع بعض أهالى تقلى ، بعضهم بالشرق وبعضهم بالغرب ، وبنوا حِلّالًا دائرة بالإحاطة على سنار كأنها سور عليها ، وكان جَلْدًا كريما معظِّما لأهل العلم والدين ، وكان يرسل الهدايا مع خبرائه إلى العلماء بمصر وغيرها ، وهو الذى مدحه الشيخ عمر المغربى مفتى الجامع الأزهر وغيره من العلماء[1] ، لـما وصلهم بمطاياه الجزيلة مع خبيره أحمد ولد علوان، جد يعقوب ولد أبو بكر ، وهو الذى بنى[2] المسجد بعد تأسيس أبيه ، وجعل له الشباك الذى جاء به الحاج سيد صاحب العيدى[3]] وكذلك بنى قصر الحكومة وجعله خمس طبقات فوق بعضها ، وبنى أماكن عديدة لوضع مهمات الحكومة من أسلحة وغيرها خلاف بيوت الحريم وخلاف ديوان جلوسه ، وله ديوانان اثنان ، أحدهما خارج عن القصر الكبير وأحدها داخل حائط القصر ، وجعل على الجميع حائطا كبيرا محيطا بذلك ، وجعل فى الحائط المذكور تسعة أبواب ، وعين لكل واحد من كبراء دولته بابا يدخل منه ويخرج ، وكذلك جعل لكل واحد من كبراء دولته ديوانا مختصا به يجلس فيه للنظر فيما يتعلق به ، فإذا أراد هذا الكبير الدخول إلى ديوان الملك يدخل وحده وليس معه أحد من أتباعه ، وأما الباب التاسع فلا يدخل منه أحد ولا يخرج إلا الملك نفسه أو ولد عجيب ، وهذه الأبواب كلها تفتح فى حائط واحد

(١) فى الأصل (العلما) .

(٢) فى الأصل (بنا) وقد التزم الناسخ هذا الرسم فى الكتاب .

(٣) العيدى بلدة على الشاطئ الأيمن للنيل الأزرق شرق الكاملين انظر تقويم الأماكن والبلدان السودانية (طبع ١٩٣٢) وكتاب الطبقات لود ضيف الله ص ٤٤ وتعرف كل منطقة الشاطئ الشرق للنيل الأزرق بالعاديك .

مستقيم ، وأمام هـذه الأبواب سقيفة بمِمدان ، وفيها دكة عاليه ، تعرف بدكة من ناداك][1] .

وكانت مكارمه كثيرة ومحاسنه شهيرة ، ويكفى فى ذلك مدح علماء الأزهر له بالقصائد العجيبة والبلاغة الغريبة ، منها قصيدة الشيخ عمر [المغربى] المذكور ، ومدة ملكه لغاية سـنة ١٠٨٨[2] ، فمدته ستة وثلاثين سنة ، رحمه الله ، وهذه القصائد المشار إليها[3] :

أيا راكبا يسرى على متن ضامر   إلى الغرب يهدى نحوه طيب الذكر
ويطوى إليه شقة البعد والنوى   ويقتحم الأوعار فى المهمه القفر
وينهض من «مصر» وشاطىء «نيلها»   و«أزهرها» المعمور[4] بالعلم والذكر
لك الخير أن وافيت «سنار» قف بها   وقوف محب وانتهز فرصة الدهر
[٣ـب] وألق عصا التسيار فى سوح أنسها   تجد كل ما تهوى النفوس من الأمر
وأهد سلاما عطَّرَ الكونَ نشرُه   ألذ من المـاء الزلال أو القطر
وأحلى وأهنا من وصال بلا جفا   وأغلا وأعلا من عقود من الدر
إلى حضرة السلطان والملك الذى   حمى بيضة الإسلام بالبيض والسُّمر
هو الملك المنصور « بادى » الذى له   مناقب قد جلت عن العد والحصر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا   وأصبح صدرا للعلا حائز الصدر

(١) مابين الحاصرتين من ب ؛ دكة من « ناداك » دكة من ينادى لسماع شكواه . أى المكان المخصص لسماع الشكاوى .

(٢) سنة ١٠٨٨ هـ = ١٦٧٧ م .

(٣) هذه القصيدة واردة فى كتاب الدر المنظوم فى مناقب السلطان بايزيد ملك الروم ، نقلت عن كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام لمؤلفه قطب الدين محمد بن أحمد النهرولى ص ٢٦١/٢٦٢ (ليبزج ١٨٥٧) والقصيدة فى الأصل فى مدح السلطان بايزيد الذى حكم بلاده من ١٤٨١ إلى ١٥١٢ م وعاش مؤلف كتاب الإعلام من ١٥١٤ إلى ١٥٨٢ م ؛ ويتضح من ذلك أن القصيدة منقولة منه مباشرة أو بطريق غير مباشر مع كثير من التحريف اللفظى والحذف والإضافة لتصبح القصيدة مناسبة لسنار وملكها السلطان بادى أبو دقن ومن المحتمل أن تكون هذه القصيدة قد أدخلت على الشيخ عمر المغربى

(٤) الأصل : « المعمور » بالغين المعجمة .

وجرد للإسلام والملك صارما   أبادَ به جمع الطواغيت والـكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده   وفاز بأنواع المثوبة والأجر
وهدّم أركانَ المظالم عدله   فما كان زيد النحو يسطو على عمرو
وعم الرعايا بالرعاية لطفه   وأسعفهم بالجاه منه وبالجبر
فأضحوا جميعا شاكرين صنيعه   لعزته يدعون في السرّ والجهر
ويرجون من رب العباد بقاءه   عليهم مليكا نافذ النهي والأمر
وما هو إلا مفرد في صفاته   وأكرم به عند الملمات من ذخر
بدولته « سنار » قد زاد أنسها   وتاهت وباهت بالمسرات والبشر
وأصبح أهلوها بخير ونعمة   يقابل كلٌّ نعمةَ الله بالشكر
وما هو إلا رحمة الله أرسلت   عليها يحق والإله[1] بذا يدري
له في صميم الملك مجد مؤثل   تلقاه عن أسلافه السادة الغر
ملوك تسامَوْا للعـلا وخلائق   أولو العزم في أزمانهم وأولو الأمر
هم العقد من أغلا اللآلى منظما   مناقبهم كالمسك طيبة النشر
وشرف مولانا مليك زماننا   وساحِبُ ذيل العز والمجد والفخر
عصورا وأياما به قد تشرفت   ولاح عليها طالع السعد والنصر
[٤-أ] هو البر والبحر المحيط حقيقة   فناهيك من برٍّ وناهيك من بحر
عماد يلوذُ المسلمون بظله   وسَدٌّ منيع للأنام من الغدر
له هيبة ملء الصدور وصولة   مقسمة بين المخافة والذعر
سليل ملوك «الفنج» والسادة الأولى   علا مجدهم فوق السماكين والنسر
محا أثر الفجار بالسيف فاغتدت   بهم حوزة الإسلام سامية القدر
وهـذا مليك العصر وارث مجدهم   وحاز أصناف المحامد والشكر
مليكٌ عظيم الشأن ثاقبُ رأيه   يجهز في آنٍ جيوشا من الفكر

(١) وردت في الأصل « الالاه » وصححتها بما هو مثبت هنا .

يقوم بأعباء الخـلافة[1] قومة   لها هيبة تسمو على منكب النسر
أيادٍ له بالبأس كاسرة العدا   ولكنها بالجود جابرة الكسر
به طمّن الله البـلاد جميعها   وألبسها ثوب السيادة واليسر
وأضحت به «سنار» في الأنس والصفا   وتاهت على البلدان حتى على «مصر»
صفا وقتها واخضر عيش لأهلها   وقد لبست تاجا بأيامه الخضر
وأضحى على الدنيا جمالا وبهجة   ووفى جميعَ الخلق ما كان من نذر
على حبه كل القلوب تألفت   وتدعو له والله في السر والجهر
تبارك من أنشاه للخلق رحمة   وزان به الأزمان كالعقد في النحر
وصير أمري في يديه فإن يشا   أزال برغم الدهر مابي من الضر
فإني فقير والفضائل حرفتي   وفي «مصر» أرباب الفضائل في قهر
وقد جاءني منكم كتاب معظم   وفي سلكه نظم الجواهر والدر
بديع المعاني قد زها ببيانه   ومنظره الباسى[2] كعقد من الدر
فقبلته ألفا وحقا جملته   على الرأس إجلالا وأودعته صدري
تسلمت عبدا واحدا من صِلاتكم   ونلت به فخرا وناهيك من فخر
[٤-ب] فلا زلت في أوج السعادة رافلا   وراجيك يروى عن عطا وعن شكر
ولا برحت أيام عزك في هنا   وعز وإقبال يدوم مدى الدهر
بجاه رسول الله أكرم مرسل   محمد الممدوح في محكم الذكر
عليه صلاة الله ثم سلامه   وأصحابه والآل ماصدح القمري
فيأيها السلطان يانعمة الورى   ويامن له مجـد أثيل بلا نكر
ويامن له في العالمين مناقب   تؤدّي إلى حمد وتعرب عن شكر
رحابك كنز للعُفاة ومطلب   وإن أمَّها ذو العسر يظفر باليسر

(١) هنا إشارة واضحة إلى أن هذه القصيدة مكتوبة أصلا للسلطان بايزيد الثاني العثماني .
(٢) هكذا في الأصل ولعلها « البادي » .

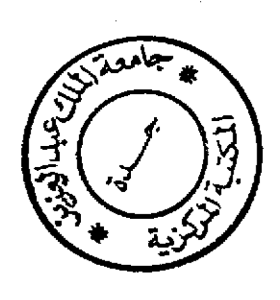
تطيب لمحتاج بنيل مراده   تعلمهم فى مدحها أفصح الشعر
وإنى لصوّان لدر قلائدى   عن المدح إلا فيك يامالك العصر
وإن نحن أثنينا عليك بمدحة   فهيهات نُحْصى الرمل أوعدد القطر
ولـكننا نأتى بما نستطيعة   ومن بذل المجهود قد جاء بالعذر
عليك سلام الله مالاح بارق   وما حن مشتاق إلى الأهل والوكر
ولا زلت محروس الجناب مؤيدا   من الله بالتوفيق والعز والنّصر
مدى الدهر ماغنى الحمام بأيكة   وجاءت علامات المسرة والبشر
وخـذها من العبد الفقير قصيدة   منظمة كالدر فى خالص التبر
هو المغربى المالـكى وإنه   سمىّ ابن خطاب وقلبكم يدرى
فنوا عليـه بالقبول وأنعموا   عليه بما ينجيه من غصص الدهر
فلا زلتمُ فى عزة ومسرّة   وعافية مثل المـــدى للعدا تَفْرِى
وصلى إله العرش ربى مسلما   على المصطفى المدوح فى محكم الذكر
وآل وأصحاب كرام أعزة   أولو العزم فى أزمانهم وأولو الأمر

* * *

[(١)أيارا كبا قد جد فى السير قاصدا   مواطن أحباب هناك أعـــزة
ويقتحم الأوعار بالجـد فى السير   إليها بأقـدام وأقـوى عزيـمة
وينهض من (مصر) وشاطى نيلها   كنهضة مشتاق للقيـا الأحبة
ويثنى عنان العزم نحو رحابهـا   بجـــد وحزم واهتمام وسرعة
ويطوى إليهـا شقة البعد قاصـدا   ديارا بهـا أحبـاب قلبى وبغيتى
لك الخير ، أن وافيت (سنار) قف بها   وقوف محب ذى وفاء وذمة
وألق عصا التسيار فى سوح أرضها   تجـد راحـة فيهـا وأوفرَ حرمة
وصابح رعاك الله طيبَ نسيمها   ومنظرها الباهى بأجمل هيئة

(١) يلى هذا قصيدة أخرى ، وهى غير واردة فى نسخة ق ، ولـكنها توجد فى نسخة ب فقط ، وهى كذلك فيما يبدو منقولة من مرجع لاعلاقة له بتاريخ سنار ، ولـكنها استعيرت للاشارة بمملـكة سنار وملـكها السلطان بادى ـ انظر ماسبق ص١١ حاشية ٣ ، وأدخل عليها تعديل بوضع الهمزة بدلا عن الباء.

رحطّ رحالَ العزم عند رحابهـا   وشاهدْ محيَّاها بعين قريرة
وحيّي دياراً جادهـا وابلُ الحيا   وأعشبَ واديها بزرع وخضرة
وما هى إلّا بلدةٌ زاد أنسهـا   وأشرقَ فيها النورُ مِن كلّ وجهةِ
تزايدَ فيها الحظُّ والأنسُ والصَّفا   وأصبحَ أهلوهـا بخيرٍ ونعمةِ
وعرِّج على قصرِ العزيز مليكـها   جميلِ المُحَيّا زينِ كل قبيلةِ
وعوِّلْ عليه فى أمورك كلّها   بوُدّ وإخلاص وصدقِ طويّةِ
تجدْ عزةً عظمى وتظفرَ بالمنـا   وتصبحَ فى عزّ منيع ورفعةِ
هو الماجدُ السلطانُ(بادِى) أخوالعُلا   وحازَ أوصافِ الخصالِ الحميدةِ
هو الفارسُ المِقدامُ فى حَوْمةِ الوغىَ   ومُرْدى العِدا منه بطَعْنِ الأسنَّةِ
هوَ الأسدُ الضِّرغامُ عينُ زمانهِ   ومَنْ مَدْحُه قد شاع فى كلِّ بلدةِ
هوَ البَرُّ والبحرُ المحيط حقيقةً   وعنهُ حديثُ الجُوديُرْوَى بصحة
هو البدرُ إشراقاً وحسناً ومنظراً   هو الشمسُ فى أسنى كمالٍ وبهجة
وما هوَ إلاَّ ماجـدٌ وَابنُ ماجـدٍ   مدائحهُ فى الكونِ غيرُ خفيَّةِ
لهُ فى صميمِ المُلكِ مجدٌ مؤثَّلٌ   وأصلٌ عريقٌ من عُصورٍ قديمةِ
وقد وَرِثَ العَلْياءَ لا عن كَلالَةٍ   وحازَ مقامَ السَّبْقِ فى كل حَلْبَةِ
شجاعٌ يَرُدُّ الخيلَ عند اصطِدامِها   إذا اصطدم الفرسانُ فى وقتِ شدّةِ
مدائحهُ شاعَتْ بِشرقٍ ومَغْرِب   وفى «طيبَةٍ» أيضاً وَبطحاءِ «مكة»
وجَـلاَّبةُ التجار يَدْعونَ كلُّهم   لحضرتهِ بالنصرِ فى كل مرّةِ
به أصبحت(سنارُ) فى الأُنس والصفا   وساكنها فى صفوِ عَيْشٍ ورغدةِ
أقامَ مَنارَ العدلِ فيها وأصبحت   بدولتهِ تزهو على كلّ بلدةِ
وَيأوِى إليها الآنَ كلُّ مسافرٍ   يجىءُ إليها من بلاد بعيدةِ
فَيَلْقى بهـا أَمْناً ويُمنا وراحـةً   وحظّاً عظيماً دافعاً للمشقةِ
وباقاهُ فيهـا بالقَبول وبالرِّضى   وبالـبِشر والبُشْرَى وكلِّ المسرَّةِ
على حُبِّهِ كلُّ القـلوبِ تألَّفتْ   وتدعو لهُ فى كلِّ آنٍ ولحظةِ



وعَمَّ الرَّعايا بالرِّعاية لطفُهُ   فأضحَوْا بهِ فى(١) بهجةٍ ومسرَّةِ
وعاملَ أربابَ الفضائل والتُّقى   بإنعامهِ الوَافى وأعظمِ نجدَةِ
فأضحَوْا جميعاً شاكرينَ صنيعهُ   لحضرتهِ يدعونَ مِنْ غير فترةِ
ويرجـونَ من ربِّ العبادِ بقاءَهُ   عليهمْ مليكاً ذا وَقارٍ وهيبةِ
تباركَ من أنشاهُ للخلقِ رحمةً   وزانَ بهِ الدُّنيا بأكملِ زينـةِ
عليه مدَى الأيَّامِ منى تحيـةٌ   وأوفى سلامٍ فائقٍ طيبَ نفحةِ
ويا ذا الَّذى قدْ سارَ(٢) من مصرَ راكباً   وساعَدَهُ الإقبالُ فى كلِّ لحظةِ
إذا ما دهاكَ الخطبُ يوماً فلُذْ به   وعرِّجْ عليـهِ فهو حامى الحقيقةِ
وحُطَّ رحالَ العزمِ عندَ رحابهِ   رحابٌ بها الآمالُ تأتى بسرعةِ
وقلْ يا صبيحَ الوجهِ يا نعمةَ الوَرَى   ويا مَنْ لهُ فى المجدِ أعلى مزيةِ
حنانيكَ يا فخرَ السَّلاطين إننى   بمصرَ غريبٌ والفضائلُ حرفتى
ولى سندٌ عالٍ بساحاتِ (أزهرٍ)   ومشتهرٌ فيهِ بعـلمٍ وحكمةِ
وإنى لقاضٍ فى رباها وسُوحها   بغايةِ إتقانٍ وأكملِ عفـــةِ
وفتوايَ قدْ شاعتْ بشرقٍ ومغربٍ   على النمطِ المعروفِ عنـدَ الأئمةِ
وإنى على بسطِ الدعاء محافظٌ   لحضرتكَ العلياءِ يا ذا الفتوَّةِ
فلا زلتَ يا فخرَ السلاطينِ فى علَا   وعزٍّ وتأييـدٍ وأعظمِ نُصرةِ
مدَى الدَّهرِ والأيامِ ما لاحَ بارقٌ   وما شاعَ فى (سنارَ) مدحُ قصيدتى
وأبقاكَ مَنْ رقَّاكَ للخلق رحمةً   وللدِّينِ سيفاً قاطعاً كلَّ بدْعَةِ
ولا زلتَ فى أوْجِ السَّعادةِ رافلًا   تجرُّ ذيولَ السَّعدِ فى كلِّ وجهةِ
وهاكَ رعاكَ اللهُ منى قصيدَةً   منظمةً كالدُّرِّ أو كسَبيكةٍ
وإنى أنا العبدُ الفقيـرُ محبُّكمْ   سَمِىُّ ابنِ خَطَّابٍ جليلِ الأئمةِ
فقابلْ رعاكَ اللهُ نظمى بمدحهِ   وعظمهُ يا فخرَ الملوكِ الأعزَّةِ
ودمْ وابقَ وأسلمْ(٣) دائماً فى مسرَّةٍ   وأنتَ عظيمُ الجاهِ فى كلِّ مدةِ
وصلَّى إلهُ العرشِ ربى مسلماً   على خيرِ مبعوثٍ إلى خيـرِ أمةِ

(١) جاء فى الأصل لفظ «كل» بين فى وبهجة وحذف .
(٢) فى الأصل «صار» .
(٣) فى الأصل «ودم واسلم وابق» .

محمـدٍ المختارِ من آلِ هاشمٍ   وسيدِنا الممدوحِ فى كلِّ سورَةِ
معَ الآلِ والأصحاب أنصارِ دينهِ   ومَنْ حبُّهمْ واللهِ دينى وبُغيتى](١)

ويكفى فى فضل هذا الملك فضل مادحيه ، وما أثنوا به عليه ، رحمة الله تعالى علينا وعليهم أجمعين .

ثم ملك بعده أبن [٥ ـ ا] أخيه أونسا ولد ناصر وهو الذى فى ملكه ظهرت سنة أم لحم ، وهى سنة مغلية ، ومعها داء الجدرى ، وقيل من شدة الغلاء أكل الناس ، الكلاب ومما بلغنى من الثقات أن سليمان ولد مصوّط وافى(٢) تلك السنة وعنده من العيش خمسماية رحل [من الذرة](٣) وجوهر مولى الخواجه عبد الرحمن ولد قرم وصباحى الشجرابى فكل واحد منهما عنده قدر المذكور فأرسل إليهما وقال لهما إن الجنة جاءت مجلوبة يعنى تباع ، أما صباحى المذكور فحكوا عنه أنه رد عليه وقال له أنت سفيه ، وأما هو فبذل جهده وكامل ما عنده فى الإنفاق ، حتى قيل إنه ذات ليلة بعد أن هجعت العيون قدمت له زوجته دجاجة مطبوخة حشوة ، فلما وضع يده فيها وإذا بإمرأة تنادى ياولد مصوّط أنا نفساء وجائعة(٤) ، فقام بها إليا [إليها](٥) فأمسكته زوجته وقالت له يعطيها غيرها ، فقال لها أنت طالق ، فخلت سبيله وهو مشهور ، وأما جوهر مولى الخواجه فانتصب للبيع ، ويقال إن بلال المصيقيع جاء من الصعيد ومعه الرقيق ، فطلب منه بيع العيش(٦) ، فامتنع أن لا يكتب له مال العيش ، لأن خطه معروف ومراده يحاسب به الخواجه ، فصار يكتب له من أول النهار إلى آخره بثمن العيش ، ثم هو ينصرف وهو حامل قيمة الأوقية عيش على ظهره ، ولكن الله لم يبارك له ولسيده فيــه ، وكان سيده غائبا فى تجارة ، فلما وصل بالشرق مقابلة اربجى مات مولاه جوهر المذكور .

(١) هذه القصيدة ، بين الحاصرتين ، من ب .
(٢) فى الأصل : وافا .
(٣) مابين الحاصرتين من ب .
(٤) فى الأصل نفسا وجيعانه .
(٥) اليا صحتها اليها كما وردت فى ف الموضحة بين الحاصرتين .
(٦) العيش معناها الأذرة .

ثم دخل هو أربجى بعد دفنه ، ففتش على ثمن الميش الذى باعه فى الغلاء المذكور فلم يجده ، والغالب كما قال العلماء : إنّ ثمن عيش الغلاء لا ينتفع به ، قال عليه الصلاة والسلام من تمنى على أمتى الغلاء حبط عمله أربعين يوما أو سنة ، كما فى رواية وفى أخرى تبرأ منه صلى الله عليه وسلم ، والمحتكر ملمون[١] كما فى الحديث المشهور ، ومدته لغاية سنة ١١٠٠[٢] ألف ومائة ، فملكه اثنا عشر سنة .

ثم ملك بعده ابنه بادى الأحمر ، وهو الذى خرج عليه الأمين أرداب وأهله الفنج ، ومعهم الشيخ ولد عجيب ، وحاربوه وملكوا عليهم ملكا اسمه أوكل ، وأرادوا عزله وجاءوا واجيما لقتاله نحو ألف فارس ، وهو وما معه إلا خمسة وأربعين فارسا ، فقاتلهم وهزمهم وطردهم إلى خور العطشان[٣] ، وقتل الأمين أرداب أمين الفنج ، ورجع سالما وكان شجاعا مهابا .

وهو الذى ظهرت فى زمنه كرامات الولى الصالح الشيخ حمد ولد الترابى ، قيل إنه بمكة المشرفة أرسل تلميذه ميرف ، وقال له قل : المهدى نزل ؛ فجاء فى مدة الملك المذكور وفعل ما أمره به شيخه ، فقبضه الملك وقتله ، فأنزل الله تعالى عليهم مطرا [شديدا][٤] من غير أوانه ، وجرت السيول وانهدمت البيوت ، وظهر من أثر المطر خور أم خنيجر[٥] المعروف الآن ، لأنهم جروا [٥ـب] فيه [جنازة][٦] ميرف وأرادوا به مثلته ، فأرسل الله تلك الأمطار فحالت بينهم وبينه ، ومنها كرامته المشهورة مع ولد التمامى والقاديم ومن معهم من

(١) فى ق « معلون » ويبدو أنه من خطأ الناسخ ، وما هنا من ا .

(٢) سنة ١١٠٠ هـ = ١٦٨٨/١٦٨٩ م .

(٣) خور العطشان المشار إليها أقرب إلى القرية التى تقع على خط عرض ١٧ر١٣ وطول ١٨ر٣٤ .

(٤) مابين الحاصرتين من ف .

(٥) يبدو أن هذا الخور [مجرى المياه المطرية] هو فى منطقة سنار أو قريبا منها .

(٦) مابين الحاصرتين من ف .

الحراب ، فظهرت فيهم خوارق العادات حتى إن الملك المذكور أرسل إليهم وحبسهم أن لا يدخلوا سنار إلا بعد أن يأخذ الشيخ منهم حقه ، فمنهم من مات فى البلادات[١] من البرد[٢] ، ومنهم من حاض كالنساء ، وأما ولد التمامى فمات ولم يوجد له رأس .

ثم أرسل الشيخ إلى الملك وقال له قل لولد أودية عصرتنى حتى وضعت السر فى شراريب المريسة ، والله إن لم ترجع لأكسرن رأساك بسر الله[٣] وملك المذكور لغاية سنة ١١٢٧[٤] ، فمدته ٢٧ سنة .

ثم ملك بعده أونسا ابنه ، وكان صاحب لهو ولعب وهوى[٥] مع الرجال والنساء ، حتى ظنوه بأمر قبيح وفاحشة عظيمة ، فلما بلغ أهله الفنج ذلك أرادوا عزله هم وجنود[٦] لُولُو ، وهم الذين يعزلوه ويولوا قبل ملك الهمج عليهم ، وانتزاع الملك من بين أيديهم ، ولكنهم يعزلوا من غير قتل ، فحاربوه وجاءوا من الصميد ، فلما وصلوا بالكبوش[٧] عينوا للملك الملك نول ، فأرسلوا له بحيلة وقالوا له أقتل وزيرك الشيخ ضياب [دياب] ونقرك على ملكك ، فتوقف أولاً من قتله ثم قتله ، وأرسل إليهم فأبوا إلا عزله وأرسلوا له بذلك ، فأرسل إليهم الخطيب عبد اللطيف[٨] وأعيان البلد والعلماء وغيرهم وطلب منهم الصلح ، وأن

(١) مفردها بلاد ، والبلادات تطلق على السهول الزراعية الواسعة .

(٢) تضيف ق بعد لفظ البرد « كونه » الوقت غاية الصيف وهو حر شديد ، هذا البرد من جهنم » .

(٣) تضيف « ق » بعد لفظ الجلالة (العبارة التالية) انتهى باختصار من كلام الشيخ محمد ضيف الله .

(٤) سنة ١١٢٧ هـ = ١٧١٥ م .

(٥) فى الأصل (وهواء) .

(٦) وردت هذه الكلمة فى صور مختلفة وهى فى ذلك قد تأثرت باللهجات المختلفة ـ انظر المقدمة .

(٧) تقع الكبوش فى الجزيرة (فى المنطقة غربى سنار) .

(٨) انظر ترجمة حياته فى طبقات ود ضيف الله ص ١٤٠/١٤١ ، يشير ود ضيف الله إلى أن عبد اللطيف قد قتله الملك بادى صبرابو شاية عليه من بعض بنى عمه .

يقروه على ملكه ، فأبوا وأساءوا عليهم ، وأغلظوا القول حتى حصلت لهم الخشية ، فقدموه وجاءوا للملك وذكروا له قولهم واغلاظهم عليهم ، وامتناعهم من الصلح وعن إقرارهم له على الملك ، فأيس وأرسل إليهم بالأمان على نفسه وولده وأهله بعد عزله ، فأعطوه الأمان وعزلوه ، فخرج هو وأولاده وجميع من[1] معه من الأهل ومدة ملكه لغاية سنة ١١٣٠[2] وثلث سنة [مدة حكمه أربع سنين]

ثم ملك بعده نُول ، وكان المذكور سيد قوم الشمس[3] ، وله نسبة فى الأونساب[4] من جهة الرحم وليس من سلسلة المتقدمين بل سلسلتهم انقطعت من أونسا المذكور آنفا ، فولوا نول المذكور عليهم ، وهو رجل عاقل مسن عادل قيل وكانوا يسمونه « نوم » من شدة عدله وملكه لغاية سنة ١١٣٥[5] فمدته أربع سنين وثمان شهور .

ثم ملك بعده ابنه الملك بادى أبو شلوخ ، وهو آخر الملوك أصحاب الشوكة ومنه انتهى الملك الصحيح وصار عادة ، وبقى الحل والعقد للهمج من بعد المذكور ، وسنذكر [ذلك][6] إن شاء الله [تعالى][7] فى دولتهم وتغلبهم على الفنج ، وأما الملك المذكور فإنه تدول فى الملك وتعمر إلا أنه فى آخر عمره اتبع هواه وظلم ، وكان فى أول ملكه صغيرا متوليه وزيره دوكة ، وكان وكان رجلا عاملا عادلا ، فلما مات دوكة اشتغل هو بالملك ، وقتل بقية

---

(١) فى الأصل (وما) .

(٢) سنة ١١٣٠ هـ = ١٧١٨ م .

(٣) يبدو من هذه التسمية أن العبارات المصرية كانت ولاتزال باقية ، وتتضح العلاقة بربط الموضوع مع التقاليد التى تراعى فى ولاية الملك وشخصية الملك المقدسة .

(٤) يبدو أن نسب الأونساب يرجع إلى منطقة رافد الأنسبا ANSEBA الذى كانت تسكنه هذه المجموعة القبلية

(٥) عام ١١٣٥ هـ = ١٧٢٣/١٧٢٤ م .

(٦) مابين الحاصرتين من ف .

(٧) ما بين الحاصرتين من ف .

الأونساب وأخذ من أهل الأصول أصولهم من الديار ، وتمضد بالأنواب[1] وأعطاهم ديار أهل الأصول (٦ ـ ١) وكذلك شيَّخ فورناس[2] الشيخ [خميس][3] ولد جنقل وتمضد بهم على الفنج وعائلة[4] الملك القديمين ، وهو الذى جاءت الحبشة فى زمانه والذى جاءه السلطان أياسو وحده بلا وزرائه البعيدين ، جاء فى نحو ثلاثين ألفا ، وقد رأيت فى رقعة مقطوعة أنه خرج إلى سنار فى مائة ألف وقيل إنه قبل ما يتوجه أعلم القاضى ، قاضى الجبرت وهو القاضى محمد ، وشاوره وقال له سل[5] أهل الصلاح من المسلمين أهلك الجبرت ، هل أتوجه إلى سنار أم لا ، فسأل القاضى المذكور رجلا من الجبرت مشهوراً بالصلاح والكشف ، يقال له الشيخ محمد قنبط ، فقال [إن][6] لا يتوجه فيهزم ، وعلامة هزيمته إذا قارب عسكره البلد يقتلون رجلا صالحا فى ظل شجرة ، يتعبد ، جالسا على فروة وبيده مسبحة [يَرِد فيها][7] وأيضا رأى شيخ من مقاديم عسكره رؤيا تدل على هزيمتهم ، وهى : رأى كأنهم يقاتلون من قبل السماء ويقتل هُوَ ، فتيقن الهزيمة وقتل ، فأوصى أهله إذا قتل فإن خزنته مدفونة قريبا من عتبة الدار بأذرع معلومة ، فكان الأمر كما قال الرجل الصالح وكما رأى هو ذلك .

ولما توجه السلطان أياسو ، وسار حتى وصل قريبا من البلد حصل ما حصل من قتل عسكره للرجل الصالح ، فى ظل الشجرة فأعلم القاضى محمد السلطان أياسو بذلك ، وقال له : ارجع ، هذه علامة الهزيمة قد حصلت ،

---

(١) الأنواب : النوبة .

(٢) فور ناس : ناس الفور ، أهل دارفور .

(٣) مابين الحاصرتين من ف .

(٤) فى الأصل (وعيلة) .

(٥) فى الأصل (اسل) .

(٦) مابين الحاصرتين من ف .

(٧) مابين الحاصرتين من ف .

فأبى ، وقال أنا متيقنها ، ولـكن بعد ما وصلت إلى هنا لا يمـكن رجوعى فتوجه إلى البلد ، فلما سمع الملك بادى بذلك طلب من جميع المراتب الدعاء[1] ، وأرسل إلى المراتب البعيدين ، واشتد الـكرب على المسلمين ، وأقبلوا إلى الله بالدعوات وتضرعوا إليه بالعبرات ، فأجابهم من يجيب المضطر إذا دعاه ، وأهَّل لنصرتهم ذلك الملك بادى ، فجيش جيشه وأمَّر عليهم الأمين ومعهم مقاديم جماعة وفرسان مشهورون بالفروسية[2] ، فقطعوا البحر إلى الشرق إلى السلطان خميس سلطان فور ، واجتمعوا وساروا فتلاقوا مع السلطان أياسو قرب يمون وعجيب بالدندر ، وبقال بمحـل يقال له الزكيات ، فقاتلوا مع بعض عسـكر أياسو ، وهو جالس فى خيمته ومعه وزيره وخاله ولد اللول ، وهو حـكم السَّطيح راقد على سرير ، فهزم الله تعالى عسكر أياسو[3] وهم يمشون على مهلتهم ولم يطردهم ، وهذا أمر من الله تعالى ، ومعونة منه وتأييد للإسلام ، ولطف بالمسلمين والحمد لله رب العالمين[4] .

وفرح الملك بادى وأهل سنار ، ووفوا بنذورهم وعملوا الموالد ، وذبحوا الولائم ، ونشروا الحرير وزينوا المسجد والسوق سبعة أيام .

وسمع سلطان الروم [الأتراك] بذلك ففرح بنصرة الإسلام والدين ، وتلك الواقعة فى شهر صفر الخير سنة ١١٥٧[5] . ثم بعد مدة عاد المذكور إلى لهوه وظلمه ، واتباع هواه [٦ـب] وأكثر من النساء الحرائر وغيرهن . وفى سنة ٦٠[6] ستين فى مدته شاخ الشيخ محمد أبو الـكيلك ، وسنذكر سيرته

(١) هذا يوضح لنا مدى نفوذ رجال الدين ، انظر كتاب الشيخ محمد ابن المرحوم الوزير الشيخ عدلان إلى الفقيه أحمد إبراهيم القرضى فى كتاب معالم تاريخ سودان وادى النيل ص ٢٦٧/٢٦٨ .

(٢) فى ق « بالفراسة » ، وهو خطأ ، والمثبت هنا من ق .

(٣) ذكر بروس الرحالة الذى زار السودان عن طريق الحبشة فى عام ١٧٧١ م ، الرواية الحبشية عن هذه الحرب .

(٤) فى الأصل (العلمين) .

(٥) صفر الخير ١١٥٧ هـ = مارس إبريل ١٧٤٤ م .

(٦) سنة ١١٦٠ هـ = ١٧٤٧ م .

إن شاء الله قريبا فى محله ، ثم إن المذكور تمادى فى ظلمه ، وفى سنة سبعين بعد المائة والألف قَتَل الخطيب عبد اللطيف ، وأيضاً أولاده الـكبار أفسـدوا فسادا كثيرا ، فلم يقدر يردّهم عماهم فيه ، وما زال يزداد ظلما وطغيانا ، وكان كل من غضب عليه قبضه وأرسله إلى حلته العـكورة[1] ، يحفر مع العبيد فى حفيره ، واجتمعت عليه أهل الخراب من كل النواحى من الشلاتيت وغيرهم ، وأخرج ولد كنته وخدم جميع الحلال ، وما ترك مرتبة ولا غيرها الاخذ منها وأيضا ما ترك عول المقاديم الذين فى الغرب مع الشيخ محمد أبى الـكيلك[2] [الاخـذ منهم] ، و [بلغ مقاديم الفنج الذين مع أبى الـكيلك][3] ، فجاءوا إليه ، وقالوا نحن هـذا الملك أبيناه فما تدبيرك فيه ، فقال لهم أنا قبل هذا قلت لـكم ما يبقى لـكم ملك ، ولا لنا سيد فأبيتم ، وتركتم تدبيرى حتى حصل ما حصل ، فأشيروا بمشورتـكم ، فأشاروا بعزله وتمهم على ذلك الشيخ محمد ، وقام بالأمر بجد واجتهاد ، وتولى الأمر كله ، فتجهز بالجيش كله الفنج وعائلة الملك ، وتوجه من كردفال محاربا للملك المذكور ، ففى سنة ٧٤[4] نزل عند الجمع وقطع إلى اليَّس[5] ، وأرسل إلى ناصر ولد الملك مخادعا له ، وكاتبه بالملك ومن سابق كان بينهما كلام ، فلـما بلغ ناصر ذلك خرج فى خفية ، ولحق بالشيخ محمد فى اليَّس ، وتوجهوا كلهم إلى سنار لعزل الملك المذكور ، فلما وصلوا حاصروه وقالوا له اخرج عليك أمان الله ، فخرج فى ذلة وقلة وقطع الشرق ، ودخلوا هم سنار . هذا ما جرى من أمره وذلك فى سنة ١١٧٥[6] .

(١) العكورة جزيرة وقرية قرب واد مدنى وهى تقع على خط عرض ٣٨ر١٤ وطول ٢٤ر٣٣ .

(٢) مابين الحاصرتين من «ق» .

(٣) مابين الحاصرتين من «ق» .

(٤) عام ١١٧٤ هـ = ١٧٦٠/١٧٦١ م .

(٥) تقع اليس (الليس) على الشاطىء الأيمن للنيل الأبيض قريبا من الـكوة التى تقع على خط عرض ٤٥ر١٣ وطول ٣٠ر٣٢ .

(٦) عام ١١٧٥ هـ = ١٧٦١/١٧٦٢م .

ولنرجع إن شاء الله إلى ذكر ابتداء أمر الشيخ محمد أبي لكيلك ، وسيرتهم وتغلبهم على الفنج ، ومما قيل إن الشيخ محمد أبي لكيلك المذكور ابن بادى بن كتوا ، وكان من عادتهم أنهم يسمون شياخ[1] ، فلما كبر الشيخ محمد ونشأ وكان له فراسة ونجابة ، وكان له سعد لائح ، وهو تابع للشيخ محمد ولد تومه ، من أهالى جند توت ، وزير الملك وكان هو من جملة أتباعه ، فجهز الملك بادى الحربة ، لبعض قتال مسبعات[2] ، وفى رأسها ولد تومه ، وبعث معه من أولاد عجيب الشيخ عبد الله[3] وشمام ، والأمير على الحربة ح[4] ولد تومه ، فاقتتلوا بقحيف ، وقتل ولد تومه والشيخ عبد الله ، وانهزمت حربة الملك ، ووقف الشيخ محمد ومعه بادى ولد رجب وعدلان ولد صباحى ، وسلم حربة الملك من التلاف ، ثم التقيا بمحل يعرف بشقفتا[5] ، فاقتتلوا وقتل شمام ولد عجيب ، وانهزمت الحربة وصبر الشيخ محمد المذكور ، ومنع الطرد من الحربة واشتهر فضله على سائر الحراب ، فأرسل إليهم الملك وتبّع كامل الحراب ، التى كانت مع ولد تومه للشيخ محمد أبي لكيلك ، وقاتل بهم مسبعات ، وأعطاه الله النصر والظفر ، وخرج مسبعات من كردفال ، وانطبعت عليه قلوب العساكر وألفتّه النفوس وخضعت له كل الرءوس[6] ، وكان معه الشيخ عدلان ولد (٧ ـ ا) صباحى ، فلما وجد الفايدة خطه وولاه على ديار خشم البحر[7] ، وكان معه كالأخ الشقيق ، وكان وزير الشيخ محمد الفقيه محمد ولد أبي الحسن

---

(١) شياخ تعنى مشائخ .

(٢) مسبعات : اسم يطلق على بيت من دارفور جده السلطان دالى انظر مكميطل قبائل شمال ووسط كردفان ص ٦ و ٧ و ٥٤ ـ ١٥٦ الخ .

(٣) تضيف ف إلى هذا الاسم عبارة « المشهور براس طير » .

(٤) اختصار لفظ حينئذ .

(٥) فى كردفان ـ فى المنطقة الغربية .

(٦) فى الأصل (الروس) .

(٧) ديار خشم البحر هى الولاية الواقعة جنوبى سنار على النيل الأزرق وتنتهى جنوبا عند ديسا .

الكاهلى ، وكان فقيرا بصحبه ، والشيخ محمد أميا ، لا يعرف القراءة ، وكان المذكور يؤانسه بقصة الجمجمة ، فلما بلغ من الأمر ما بلغ استوزره ، وأعطاه كامل الملك ، وصارت له كلمة نافذة ، حتى إنه كان بينه وبين بادى ولد رجب عداوة [شديدة][1] ، وبادى ولد رجب مشهور المقام عند الشيخ محمد ، وهو بالنرب والشيخ محمد بسنار .

ثم إن ولد أبي الحسن المذكور قدم رجب ولد محمد خشم حوش أبيه بمنزلة الوزير ، وأعطاه النقارة من غير إذن الشيخ محمد ، فعاتبه فى ذلك ، وقيل إنه لما أراد الحج لبيت الله الحرام حج على حصانه ، وأدخله معه فى السفينة حتى خرج به ، وأعطاه لأحد الأشراف .

ولنرجع ، ثم إن الشيخ محمد أبي لكيلك لما أراد دخول سنار ، وكان الملك فى تلك المدة متنظا للفنج وملكهم ، ومما حكوا أنهم طلبوا واحدا من الفلانه علماء الطب ، يطب لهم الملك ويحل ملكه ، فطلب منهم صورة الملك المذكور ، فطلبوا الفقيه حجازى بن أبي زيد ، وكان محبوسا عند الملك فى حلته العكورة[2] ، فطلبوه منه قبل إظهار الفتنة ، وفى طلبهم له أنهم يقتلونه[3] ، ففرح الملك بذلك لأنه خائف[4] من قتله ، ووقوع دعوة الشيخ إدريس فيه ، فأرسله إليهم بالسجن ، فلما قابلهم أكرموه ، وطلبوا منه الصورة المذكورة فصورها لهم ، وألبسوه من لباس الملك ، وعمل فيها الفلاتى ، وأرسلها إليهم ، ثم توجهوا نحو سنار ، فلما قاربوا البلد رموا بها فى الهوى ، فأتتهم البشرى أن الملك بادى قطع إلى الشرق ، وكان صاحب السر معهم الأمين هارون ، فلما قطع الملك ، أتى إلى الفنج ، وأخبرهم أن الملك قطع إلى الشرق وخلّيهم[5] عن

---

(١) مابين الحاصرتين من ف .

(٢) تقع العكورة على خط عرض ١٤٫٣٨ وطول ٣٣٫٢٤ بالقرب من واد مدنى ، وهو اسم يطلق على قرية وعلى جزيرة ، كما يوجد اسم العكورة الحفير فى المنطقة شرق الخرطوم .

(٣) فى الأصل (يقتلوه) .

(٤) فى الأصل (خايف) .

(٥) خليهم : خلاهم : أى تركوا القتال .

القتال ، ورجع كل واحد منهم إلى محله ، فدخل الشيخ محمد سنار من غير قتال.

ثم إن الشيخ محمد مَلّك الملك ناصر بن الملك بادى وذلك سنة ١١٧٥[١] ، فصار من تلك المدة الحل والربط بين الهمج ، وتغلبوا على الفنج ، وقتل الشيخ محمد كبارا منهم ، وولى وعزل فيهم ، وصار التأريخ بعدة مشايخ الهمج ، لا اعتبار للملوك ، ومدة ملك الملك ناصر ثمان سنين .

ثم عزله الشيخ محمد أبى لكيلك ، وخرج إلى حلة البقرة ، بعد الأمان ، ثم خادع بعضا من الفنج ، وعاهدهم بأن يهجموا على الشيخ محمد ويقتلوه ومن معه ، فبلغ ذلك أبا لكيلك ، فبعث إليه بادى ولد رجب وأحمد ولد محمود شيخ القوارية[٢] ، وحربة كثيرة فجاءوا إليه فى حلة البقْرة[٣] ، فدخل إليه الشيخ أحمد ولد محمود ، وكان بينه وبين الملك عداوة زائدة ومصاهرة ، فسأله الملك حين الدخول عليه ، فقال له من أنت ؟ ، فقال له أنا قرن العلج[٤] ، يعنى القماش القطنى ، فشتمه ، وقال له لو عرفت قرن العلج سابقا لشرمطته ، فقال له استتر ، ويقال إنه لما أرادوا قتله وجدوا المصحف عن يمينه والموطأ[٥] عن شماله ، وكان هو كتبيا عارفا بالله ، ذا[٦] خط جميل ، فدخلوا عليه وقتلوه .

ثم ملك بعده الملك إسماعيل وذلك سنة ١١٨٢[٧] ومدته سبع سنين ثم إن الملك انتظم للشيخ محمد أبى لكيلك وأزال جميع المظالم والجور ، وعدل

(١) عام ١١٧٥ هـ = ١٧٦١/١٧٦٢ م .
(٢) فى ق القوارية والصحيح ما أثبت بالمتن ، لان الفور هم سكان دارفور ، انظر مكميكل جزء ٢ ص ٣٦٧ و ٤١٣ .
(٣) البقرة قرية فى منطقة الجزيرة بالسودان .
(٤) كتبها ناسخ مخطوطة ف الفنج والصحيح ماهنا والعلج مأخوذ من لفظ الألاجة ، وهو قماش معروف له خطوط ملونة ، من الحرير والقطن ، وقلبت الألف عينا فصارت عند أهل السودان بالعلاجة أو العلج .
(٥) الموطأ هو كتاب الأمام مالك رضى الله عنه .
(٦) فى الأصل : ذو .
(٧) عام ١١٨٢ هـ = ١٧٦٨/١٧٦٩ م .

فى الرعية ودعوا له بالبركة ، فصارت فى ذريته إلى يومنا هذا[١] ، وأخذ الملك من يد الفنج ، وفى مدته سنة ١١٨٤[٢] وقمت الكبسة ، أعنى الغلاء والمَحْل ، وفى سنة ١١٨٥[٣] زاد النيل الذى عقبها ، وفى سنة ٨٦[٤] سافر الملك سعد إلى الأبيض .

ثم فى سنة ١١٨٧[٥] زاد النيل المسمى بنيل البعوضة ، وملك الشيخ محمد لغاية سنة ١١٩٠[٦] ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، وله من الأولاد رجب وناصر وإدريس وعدلان وحسين وقاسم ونصر وعبد العزيز وإبراهيم وعلى وله من البنات ما لا حاجة لنا بذكر .

ثم شاخ بعده الشيخ بادى ولد رجب سنة ١١٩٠ ، وهو المعروف بالشجاعة المشهور عند العرب والعجم فى بلاده ، وهو ابن أخيه فلما مات الشيخ محمد ، وشاخ ابن أخيه بادى المذكور ، مات فى أيامه الشيخ عدلان ولد صباحى ، وكان بينه وبين الشيخ محمد محبة صادقة ، فتمنى الموت فأجاب الله الدعاء ، فمات .

ثم اجتمعت الفنج على الملك إسماعيل ، أن يأخذ من بادى كامل عدة آلة الملك ، فلما سمع بادى تحاربوا مع الملك مدة شهرين ، ثم عزل الملك إسماعيل ، وأرسلوه إلى سواكن .

ثم ملك ابنه الملك عدلان ، وهو صاحب الوقائع المشهورة مع الهمج ، وسنذكر ذلك إن شاء الله فى محله .

ثم إن بادى لما ملّك عدلان ، واستقام هو فى العدل والإنصاف بين

(١) وردت هذه فى ق و ف و ا . ولم ترد فى ب و ل . ويتضح من هذا أنها نقلت كما جاءت فى مصدرها الأصيل ولم تعدل لتتناسب مع زمن النسخ الذى كان بعد سقوط السلطنة السنارية ووزرائها من الهمج .
(٢) عام ١١٨٤ هـ = ١٧٧٠/١٧٧١ م .
(٣) عام ١١٨٥ هـ = ١٧٧١/١٧٧٢ م .
(٤) عام ١١٨٦ هـ = ١٧٧٢/١٧٧٣ م .
(٥) عام ١١٨٧ هـ = ١٧٧٣/١٧٧٤ م .
(٦) عام ١١٩٠ هـ = ١٧٧٦/١٧٧٧ م .

الرعايا ، حتى قيل من كثرة عدله ذات يوم ، وهو جالس فى ديوانه فرأى العنكبوت ، وتفكر فيها ، وقال لجلسائه : من أين تأكل هذه ؟ ، فقالوا له : من فضل الله ، لحلف أن لا يأكل عبد الملك من فلاح ، ولا يتفرش عنده ، وقهر جميع الظالمين والطغاة ، وفاق على عمه الشيخ محمد أبى لكيلك فى العدل والإنصاف .

وأما شجاعته فقد حكوا أنه قاتل ثمانى عشرة مقتلة ، ما رئى منهزما ووقائعه مشهورة بالعرب ؛ وقيل إنه فى بعض قتالاته أرسل له عامر ملك البلى[1] ، وقال له : أنت فارس وأنا فارس ولكن ليس عندى مثل سيفك ، فلما قامت الصفوف اتخذ له سيفا غير سيفه ، وأرسل سيفه إليه وقال : وحياة رجب ما تركت أفضل منه ، فلما التقيا أعانه الله عليه ، فقتله وجاء بسيفه ، وكان دائما يتمنى حضوره مع الصحابة رضوان الله عليهم ، وهو لا يقاس فى زمنه ماجد من الفرسان ، وفى العدل كذلك ، فلما استقر له الملك وأقام بسنار ، وأرسل للشكرية بالطاعة إليه فخرجوا عن طاعته فقام إلى اربجى ، وقطع بالشرق وأقام ببرنكو[2] أو رفاعة الشرقية ، وحبس عليهم البحر وأرسل [٨ ـ ا] الشيخ عجيب والشيخ قندلاوى وعيساوى ولد محمد إلى الشرق ، وفى إقامته تلك قتل أبا على شيخ الشكرية ومعه جماعته ، ثم إن الحربة لما وصلت الشرق فقاتلوهم الحلنقة[3] ، فقتل الشيخ عجيب وعيساوى ، ورجع قندلاوى فتعرضت لهم شكر [الشكرية] وقتل الشيخ قندلاوى وذلك فى سنة ١١٩٣[4] ؛ وأقام هو (برفاعه) حتى همت العرب بالطاعة ، لكثرة ما أصابهم من المحل .

(١) البلى قبيلة تسكن شرق السودان وفى الأرتيريا ، ويكتب الاسم فى قراءات مختلفة منها البلو .

(٢) « برنكو » كلة نوبية أصلها بَرّنْ كول. ومعناها الجبل المقدس . وهى تقع بالقرب من الخرطوم .

(٣) الحلنقة سكان منطقة كسلا ـ فى شرق السودان والكلمة معناها أصحاب « الكرباج » .

(٤) عام ١١٩٣ هـ = ١٧٧٩/١٧٨٠ م .

وأما سبب موته فإنه لما أقام فى الملك ، وأفرط فى العدل وضرب ناصر ولد محمد ، وقهر وولى وعزل الشيخ الأمين ولد مسمار ، وأرسله إلى القربين[1] ، وولى غيره وعزل الشيخ أحمد [ولد على] ، وشيّخ الشيخ صباحى ولد عدلان ، وغيرهم من صناديد الرجال ، وحقدوا عليه أولاد محمد من ضربة أخيهم ، واحتالوا بمرضه ونزلوا به سنار ، وسعوا فى تدبير الحرابة مع الملك عدلان ، وبقية[2] المدرين ، واجتهدوا فى ذلك بالجد واليقين ، ووافقهم الشيخ أحمد والشيخ الأمين ، واجتمعوا بسنار المحروسة فأخذوا ما كان فيها من الخيل ، من أولاد العرب وغيرهم ، وسعوا طالبين الشيخ شنبول فى الداخلة ، هو والشيخ صباحى ، لأن الشيخ بادى بعثهم لخدمة العرب ، لأنهما كانا من أحبابه وخواصه ، وسمعت[3] من الشيخ بادى ولد عدلان ، إن أولاد محمد لما أخذوا الخيل وقفوا بالفاشر[4] ، لخروج الملك واجتمع الناس هناك عند الجامع ، فقال لى سمعت الشريف عبد العزيز الراكشى أقبل على الشريف محمد ، أو الشريف قاسم ، وقال له بالإثنين شنبول ، بالثلاثاء بادى ، وخرجوا فى طلب شنبول ومن معه ، فاجتمعوا بالداخله بمحل يعرف بالسويدنية ، فتلقاهم شنبول بحزم صحيح ، وأقسم أنه مايضرب أحدا منهم بسيف ، فأخذ عكازا وصبر لهم صبر الكرام ، وقاتلت معه عبيده ، فقتل هو بيوم الإثنين ، وقبض الشيخ صباحى ، واشتدوا بما عندهم من الخيول والسلاح .

وأما الشيخ بادى لما تحقق عنده الخبر قطع[5] من الشرق باربجى ، وبات بها ، فلما تكاملت حربته عليه سمعت ممن حضر مجلسه تلك الساعة فقال إنه أرسل إلى نسائه فأتوه بفنجان خُمْرَة ، وهو طيب مجموع من كل الألوان ،

(١) القربين : حلة فى ارض الجزيرة بالنيل الازرق .

(٢) فى الأصل وبقيت .

(٣) يبدو أن هذه وما بعدها منقولة بحرفيتها عن مصدر سابق .

(٤) الفاشر : هو كل فضاء ويعقد فيه السوق الموسمى ، ويكون موضع هذه الفسحة أو اللقعة على مقربة من قصر الوالى سواء كان سلطانا ، أو أميرا أو مالكا .

(٥) المقصود بهذه العبارة أن الشيخ قطع النيل .

وكان لابسا ح ثوب مِنَّيرى(١) ، نوع القماش معروف ، فأخذ ذلك الفنجان ومشق بها الثوب بين أزياقه ، يعنى الخيوط التى بأطرافه ، ومسح لحيتــه وذراعيه ورأسه ، وتحزم بذلك الثوب وخرج ، وكان له حصان يقال له الزبّاوى فطلبه فعرض له وركب عليه ، وحصلت له زيادة وقشعريرة ، لقد حلف الذى رآه وتكلم أن لحيته كل شعرة منها وقفت على حدة ، وجسده صار طرطور ، يعنى اقشعر وصار له وَرَنا كالدماميل ، وخرج فلم يقم بمحل إلى أن أتى سنار ، ولم يدخلها فتلقاه البعض من أهلها ، وقالوا له تدخل سنار وتعرف الذى معك ممن هو مفارقا لك ، فحلف أنه لا يتعب [٨ ـ ب] السلمين ثلاثة أيام ، إن كان له الملك يرى الناس ما أصنع ، وإن مت لا توسدن الملك ، فكان الأمر كما كان ، فكان أول قتال بين الهمج [بعضهم](٢) فى بعضهم ذلك القتال ، فسار نحوهم فصابحهم يوم الثلاثاء ، ووجد شنبول قتل يومَ الاثنين ، وقد حكى لنا من حضر ذلك القتال ، قال فلما قامت الصفوف قدم كتوا ابنه فى رأس الحربة ، وتأخر هو ليرى منهم ، فلما التقوا انهزم كتوا ومن معه ، فتلقاهم هو فلم يلتفت إليهم ، ولا توقف فى مشيه ، وما معه إلا الانيك أعنى السّايس ، وقال الحاكى سمعت ناس الحربة المعادية له (كلا منهم) يشتم ، ويقول بادى ، فلما رأوا حصانه صاحوا جاء الرجل ، فلما قرب منهـم ناداهم فلان بن فلانة ، فيقول له مانجل ، وما من فارس منهم إلا وضع فوقه سيفه ، فلم يُؤخذ حتى ركبوا وراءه على حصانه . فقتل رحمة الله تعالى عليه وذلك سنة ١١٩٤(٣) ، وله من الأولاد كتوا ورجب تيبار ، وهو على قدم أبيه فى الشجاعة والحزم ، وصباحى وإدريس وموسى ومحمد .

ثم شاخ الشيخ رجب بن الشيخ محمد ، وكان يكنى بالهَضْلَل(٤) فى تلك

(١) نسيج من مصر .
(٢) اضيف مابين الحاصرتين للتوضيح .
(٣) عام ١١٩٤ هـ = ١٧٨٠ م .
(٤) مضبوط هكذا فى ق .

السنة المذكورة ، بعد قتل الشيخ بادى ، والملك عليهم يومئذ الملك عدلان ، واجتمع الكل ببطن سنار ، وكل فى ضميره شىء ، ثم إن الشيخ رجب توجه كردوفال كعادة من كان قبله من آبائه ، واشتغل بمحاصرة الجبال ، وكان شجاعا عادلا ، ومما حكى أنه إذا أراد قتال قوم يحمل زوجته وابنه وسط العدو ، ويقاتل فوقهم حتى يهزم عدوه .

ولنرجع إلى سيرة الملك عدلان ، وذلك أن [الشيخ](١) رجب لما توجه لما هو فيه أوكل إبراهيم أخيه ببطن الحلة(٢) على المنصب ، وجلس المذكور فى أرغد عيش وأهنئه ، حتى إن الملك المذكور اشتد ساعده ، وكثر مساعدوه تفكر ما صنعت الهمج مع جده الملك بادى وعمه الملك ناصر ووالده الملك إسماعيل ، وأظهر لهم مافى الضمير ، وكاتبه الشيخ الأمين ولد مسمار وأولاد نمر وأوعدهم بمملكة الجمليين ، لأن أباهم كان وكيلا على دار جَعَل ، وأما الشيخ الأمين فإنه أتياه ناصر ورجب بالغرب ، وقطعا عليه بالهلالية ، واقتتلوا هناك فانهزم ناصر ورجع ، وشُيِّخ الشيخ بادى ولد مسمار بولد مدنى ، وذلك فى مدة الشيخ رجب سنة ١١٩٨(٣) ، وحصلت فيها حرابة الشكرية(٤) مع جماعة أرجبى ، فلما حصلت شياخة بادى أضمر عليهم الشيخ الأمين بالسوء ، وسمموا به وأيقنوا بالهلاك ، فتفرق(٥) منها أهلها ، وهى قرية كاملة الحسن والبنيان ، مليحة العمارة والتجارة ، أدبية فى الأكل والشرب ، وفيها أناس صالحون ، ومدارس علم وقرآن ، وفيها عجائب يحكيها من حضرها وكان [٩ ـ أ] ابتداء عمارتها قبل سنار بثلاثين سنة ، وهى سنة ٨٧٠ ، [فكانت] مدة عمارتها ٣٢٨ سنة ، فسبحان الحى الذى لا يبقى إلا ملكه .

(١) مابين الحاصرتين للتوضيح .
(٢) المقصود ببطن الحلة أى داخل الحلة .
(٣) عام ١١٩٨ هـ = ١٧٨٣/١٧٨٤ م .
(٤) الشكرية قبيلة تسكن فى منطقة البطانة وتعرف أيضا بـ « يشكر » .
(٥) فى الأصل (فتفرقوا) .

وقيل لما أراد الله خيرا بها كان بها درويش يتلو ويكرر الآية وهى قوله تعالى « ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة [يأتيها[1] رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون] (سورة النحل آية ١١٢)[2] فتفرقت فى أسرع وقت وأوان سبحان علام الغيوب .

وأما ما كان من أمر الشيخ الأمين وأولاد نمر فإنهم عقدوا مع الملك بأنه إذا كان حرب صحيح أقبض إبراهيم ومن معه من الهمج وأقتلهم ، فهجم عليهم المذكور ، وقبض إبراهيم ولد محمد ، والشيخ أحمد ولد على ، والزين ولد هارون الأمين ، وتكتك ولد قندلاوى ، فقتلهم بالقاشر ، وحبس بنات محمـــد سرارى للجمليين وغيرهم ممن معه واشتد الحرب وذلك فى سنة ١١٩٩ وهو العام الذى ولدت فيه[3] ، ولما بلغ ذلك الشيخ رجب تحرك من كردفال طالبا القتال ، فقطع بالخرطوم ومن معه من الحراب ، وساروا حتى نزلوا بحلة شاذلى[4] ، وصحبته الملك سعد مك الجمليين وصحبتهم الحاج محمود الولى الصالح ، وهو ذو كرامات ظاهرة جلية ومقامات غير خفية[5] ، وهم نوع من الصوفية يفعلون القبيح لأجل ما يلامون به ، ويوهموا على الناس رحمه الله ، ونفعنا به ومن كراماته أنى سمعت ممن سمع الشيخ خوجلى أن الحاج محمود روح الشيخ حسن ولد حسونه رضى الله عنه ، وهذا مما ينكره أهل الظاهر ويسمونه بتناسخ الأرواح . .

وأما فى مرتبتهم وهم الصوفية فلا سبيل لنا فيه ، وسمعت ممن هو ثقة ، وله فى هذا البحر مشرب ، أن امرأة تسمى زهرا طابت من الحاج محمود أن

(١) مابين الحاصرتين تكملة للآية القرآنية .

(٢) عام ١١٩٩ هـ = ١٧٨٤/١٧٨٥ م .

(٣) يشير المؤلف إلى عام مولده .

(٤) حلة شاذلى فى منطقة واد مدنى وتقع على خط عرض ١٤ر٣٢ وطول ١٣ر٣٣ وهنالك حلة أخرى بهذا الاسم قريبة من سنار ، وسياق القول يشير إلى الحلة الأولى القريبة من واد مدنى .

(٥) تضيف ق بعد لفظ خفية « ومقامات محمودة جلية قد يكون فى الفرقة الملامتيه » وتتفق بعد ذلك مع ق .

يريها الشيخ حسن ولد حسونة ، فقال لها الشيخ ميت أيقوم الميت ، قالت له الشيخ قالوا يحيي الميت أرنا[1] أنت شيئا[2] ، فعمد على حوتة ميتة منذ يومين ، وقال لهم إيتونى[3] بماء فأتوه به فى قدح ، فوضع فيه تلك الحوتة ، فصارت تتحرك فيه ، فقال لها هكذا ، ومن كراماته ، أن أخاه الذى [هو] أكبر منه ، لما حصلت عليه الحالة قبضه ورمى فيه مكية[4] حديد ، فقام بها ذات يوم إلى البحر و (رأى) تمساحا[5] بالرملة ، فأخذ المكية بيده ورماها فى البحر ، ووقع ورقد مع التمساح ، فصاح له أخوه وقال له ثانى لا أقول[6] لك شيئاً ، فدخل البحر وأخذ المكية ورجع فلم يعارضه بعد ذلك .

ومن كراماته ما حكاه لنا الفقيه زروق ولد النور أننا [نقرأ] فى القوز[7] وأتى الحاج محمود متوجه [إلى] الحج ، فنزل عند الفقيه شيخنا ، وقال لهم من يأتينى بقرعة مريسة ، أدعوا[8] له عند الرسول عليه السلام ، فقام رجل من المجلس وجاءه بقرعة فشربها ، ووعده[9] بالدعاء ، ثم قال للفقيه عشونى بحجارة ، فأرسل [الفقيه][10] الفقرا فأتوه بحجارة ، وفيهم منقار متفاحش المقدار ، فأخذ الكل [٩ ـ ب] وصار يبتلع فيهم فمسك الفقيه منه الحجر الكبير ، وقال له اترك

(١) فى الأصل أورينا .

(٢) فى الأصل (شىء) .

(٣) فى الأصل اتونى .

(٤) المكية قيد الحديد فى بلاد السودان .

(٥) تنقل كرامات الأولياء فى السودان فى كثير من الحالات بالتمساح ، والتمساح كما هو معروف عبادة فرعونية ، والمعروف أن هذا الجزء من أرض الجزيرة جاء اليه جنود فرعون مصر ابسماتيك بعد هربهم من مواضعهم على حدود مصر الجنوبية وكان التجاؤهم إلى السودان احتجاجا على استخدام الفرعون للأجانب فى جيشه وديوانه (انظر مقالى بعنوان النفوذ اليونانى فى حوض النيل الأزرق طبع الخرطوم ١٩٤٥) بالأنكلزية .

(٦) فى الأصل : (لم أقول) .

(٧) القوز : تل رملى صغير ، ويطلق على المكان المجاور له .

(٨) فى الأصل (أدعوا) .

(٩) فى الأصل (وأوعده) .

(١٠) مابين الحاصرتين من ف .

هذا فقال هذا تمام عشاى ، فألح عليه فى تركه ، فأبى ، فأخذه وابتلعه فخنقة فى زوره قليلا ، ثم نزل فقال : سمعنا وقعته بأذننا ، أى الحاضرون حين وقع على ماقبله فقال كم(١) ، ثم أخرجه بعد ذلك ، وقال للفقيه أتممنا عشاءنا وأكرمناك به ، أو ما يقارب هـذه المقالة ، ولما رجع من الحج قال أين رفيق صاحب الريسة ، فلما جاءه قال له دعوت لك عند الرسول عليه الصلاة السلام ، ومن كراماته أن يجمع الدبيب منهم ممن يأكله حين موته ، ومنهم من يجعله فى شقوق حتى يتفضل(٢) وييس ، فيأتى بآخر ويجعل هذا « غموسا »(٣) له ، ويأكل ، وقيل إنه لما نزل الشيخ رجب بالخرطوم ، قطع هو لمواعدة أهله ، وكان فيهم ممن بينه وبين الحاج غيرة ، فلما رآه راكبا على جواده ، فوسوس بعقله وقال جاء المجنون ، فقبض لحصانه ورمحه حتى وصل عند الرجل، فقعد عنده وقال ياطير ، إن مشيت سلم على المأمون ، صلى ركعتين ، عفن من يقول من يقول مجنون ، فحـ(٤) طلب منه الرجل العفو ، فعفى عنه ، وقيل إنه فى بعض المواطن لجّ به حصانه ، وهو فى حرابة الشيخ رجب، فضربه بعكازه ، وقال له ضربة الهمج التى كسرت أولهم ونصرت عقابهم ، فسمع بذلك الفقيه حجازى بن أبى زيد ، وقال لهم كيف قال الحاج محمود ، فردوا له ذلك القول ، فقال نعم إنه ولىّ كامل يقتل رجب وتنكسر حربتهم وينتصر ناصر ، فكان الأمر كذلك ، وقيل إنه من يوم ما قتل ودفن كل ليلة يسمع الأذان عند قبره ، لأنه كان مؤذنا فى حياته ، إلى [أن] نقلوه إلى حلته بالدبة(٥) ، وقبره ظاهر يزار ، وله أولاد صالحون منهم الفقيه على ، وهو عين هذا الوقت وله مناقب جليلة ، وهو مشهور عند الخاص والعام ذو عفة وديانة ، صاحب تلاوة وعبادة ، وله قدم فى الصلاح ، نفعنا الله بالجميع .

(١) كم : الصوت الذى يخرج من سقوط حجر على حجر.
(٢) فى ف : يتضاءل .
(٣) الأدم الذى يأدم به الناس طعامهم .
(٤) فح : فحينئذ .
(٥) تقع قرية الدبة قريبا من الخرطوم وهى على خط عرض ٥٠ر١٥ وطول ٣٣ر٣٢ .

وقيل إنه لما تحرك الشيخ رجب من شاذلى ومعه موكب عظيم ، يثق العقل بالظفر معهم والحاج محمود المذكور معهم ، وكان المذكور يقول ياسنار جاءتك نار ، فلما خرجوا وباتوا بمحل يعرف بولد زيت(١) ، أصبح يقول النار طفاها السيل ، اليوم يارجب أنا وأنت ، نخرج إليهم الملك عدلان وحربته(٢)، واقتتلوا بمحل يعرف بالترس(٣) ، فقتل الشيخ رجب والحاج محمود وذلك فى رأس المائتين بعد الألف ، وله من الأولاد محمد ودوكه وبادى وحسن وإبراهيم وعلى وكتوا .

ثم شاخ الشيخ ناصر ولد محمود فى رأس المائتين وبعد قتل رجب [١٠ ـ ا] وانهزمت الهمج ؟ ونزلوا بعبود(٤) وتفرقت كلمتهم ، فمنهم من طلب ولد جمل ، وهو الملك سمد وقال نحبس عليهم الحصان والسيف ، ومنهم من طلب الغرب ، وأبى الشيخ ناصر حتى أتاهم رسول الفقيه حجازى وامرهم بالرجوع ، وبشّرهم أن النصر معكم ، وإنى قادم عليكم فاستبشروا ، وقام ناصر ونزل بالتومات ، وأقام بها الشيخ سنتين ثم رحل منها ونزل بحلة طيبة قندلاوى بالبحر ، فأقاموا بها ما شاء الله أن يقيموا ، والملك فى تلك المدة يعالج فى المرض ، فجهز جيشا وأمّر عليه الأمين رحمة ولد كدناوى(٥) ، والشيخ الأمين ولد مسمار ، ومحمد أبو ريده فى امس قواويد(٦) الملك [عدلان](٧)

(١) هذا الاسم غير موجود فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية يحتمل أن المكان قد هجر أو أن الاسم صحف .
(٢) الحربة هنا العسكر وهى من مصطلح السودان .
(٣) هذا الاسم غير موجود فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية ، ويبدو أنه فى منطقة قريبة من سنار .
(٤) تقع عبود فى الجزيرة بالنيل الأزرق وهى على خط عرض ١٤ر١٤ وطول ٠٨ر٣٣ .
(٥) وردت فى ف « كتفاو » .
(٦) كذا فى جميع النسخ ، ويبدوا أنهاجمع على للفظ قائد .
(٧) مابين الحاصرتين من ف .

وآل بيته ، ومعهم مقاديم الفنج جماعته ، فتلاقوا بمحل يعرف بأنطرحنا[١] واقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت جماعة الملك وقتل من الهمج على ولد محمد شقيق إبراهيم وكان فارسا مشهورا [وكثر][٢] القتل فى حربة الملك ، حتى إن بعضا منهم غرق فى البحر ، وطردوهم حتى دخلوا سنار ، وتأسف الملك على عدم حضوره فأقام أياما ، ومات إلى رحمة الله . وكان رجلا عادلا فى الرعية جبارا قاهرا لمانديه ، قيل مات مسموما وقيل مطبوبا .

وأما ناصر وجماعته نزلوا باللبين[٣] ، وأقاموا به أياما ، وحربة الملك فإنهم حاربوا أمام حوش الملك فى الحلة والسوق ، واشتد الحصار على الناس والكرب وضاقت عليهم الدنيا وما فيها .

ثم إن الشيخ ناصر تحول إلى جهة الصعيد من الحلة ، وأشعل النيران فى الحلة وخرجوا إليهم ، فتناوشوا قليلا فى تلك الليلة .

ثم انفصلوا ، فلما أصبحوا التقوا للقتال ولم يقتتلوا ، بل انهزموا بلا قتال ودخل الشيخ ناصر الحلة هو وعسكره ، نخربوا الحلة خرابا كثيرا ، وطرد إدريس والشيخ الفدوى المنهزمين إلى السالى[٤] ورجعوا ، ومدة ملكه لغاية سنة ١٢٠٣[٥].

ومن هنا انتهت شوكة الفنج ، ولم تقم لهم قائمة ، فصار ملكهم عادة ، وصار التاريخ والملك باسم الهمج حقيقة ، واندرس أثرهم ، فصاروا يقتلون فيهم ويعزلون ويولون ، وهو كما قال المتوكل وهو أول خليفة حجر عليه فى ملكه :

أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِى   يَكُونُ أَقَلَّ مَمْنُوعٍ لَدَيْهِ[٦]

---

(١) هذا الاسم غير واضح فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية ، ويبدو أن الاسم قد تغير إلى اسرحنا ، وهى تقع على خط عرض ٤٩ر١٤ وطول ١٠ر٣٣ فى المنطقة بين سنار وواد مدنى .

(٢) غير ظاهرة فى ق ، والمثبت هنا من ا .

(٣) لم نستدل على موقعها .

(٤) السالى : فى منطقة سنار على خط عرض ٤١ر١٣ وطول ٣٣ر٣٣ .

(٥) عام ١٢٠٣ هـ = ١٧٨٨/١٧٨٩ م .

(٦) هكذا الأصل والمحفوظ (يرى ماهان ممتنعا لديه) .

وَتُؤْكَلُ بِاسْمِهِ الدُّنْيا جميعا   وَمَا مِنْهَا قَلِيلٌ فِى يَدَيْهِ[١]

وملّك الشيخ ناصر الملك أوكل ، فلبث قليلا ومضى إلى سبيله .

ثم ملّك الملك طبل ، وتوجه إلى نواحى السافل لقتال الشيخ الأمين وأبو ريده ، فقتل طبل بالحلفة[٢] ، ثم ملك الملك بادى ، وقتل أيضا بالحلفاية [١٠ ـ ب] وقتل معه الملك رباط ، وهو ملك أبو ريده والشيخ الأمين .

ثم ملك الملك حسب ربه ومات بولد بان النقا ، كذلك مع أبى ريده [فى دار جعل][٣] .

ثم رجع الشيخ ناصر فى سنة ١٢٠٤[٤] إلى سنار .

وفى سنة ١٢٠٥[٥] قتل الشيخ الأمين ولد مسمار بحلة ولد بان النقا ، قتله أبو ريده ، وجاء عبد الله وإخوانه إلى الشيخ ناصر [ولد محمد][٦] بالجديد ، فشيّخ عبد الله وتوجه طالبا الحلفاية ، فقاتلهم أبو ريده وعبد الله ولد عجيب وانهزم الشيخ ناصر ، وأقام بالصبابى ثلاثة أيام ، ورجع القتال ثانيا ، فلما قامت الصفوف نصف النهار سمعت ممن حضر ذلك اليوم ، قال أمر أخيه [الفقيه][٧] محمد ولد الشيخ تلميذه أن يؤذن ، فيقول له الله أكبر انهزمت الحربة من غير قتال ، ورجع ناصر إلى الغرب وإلى سنار ، وأبو ريده بالشرق إلى الطرفاية ، فأقام كل منهما بناحيته ، واشتد الكرب على المسلمين مدة من السنين ، وسببه أن الشيخ عبد الله وقع عند الشيخ حسن ، فجاء إليه وأخذه من الخلوة ، فخلف الشيخ حسن أن الأمين لا يركب على حصان ، لأنه لما

---

(١) هكذا الأصل والمحفوظ :

(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا   وما من ذاك شىء فى يديه)

(٢) الحلفاية كما فى ق .

(٣) مابين الحاصرتين من ق .

(٤) عام ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩/١٧٩٠ م .

(٥) عام ١٢٠٥ هـ = ١٧٩٠/١٧٩١ م .

(٦) مابين الحاصرتين من ق .

(٧) مابين الحاصرتين من ق .

وَتُوكَلُ بِاسْمِهِ الدُّنْيا جميعا   وَمَا مِنْها قَلِيلٌ فِي يَدَيْهِ[1]

وملَّك الشيخ ناصر الملك أوكل ، فلبث قليلا ومضى إلى سبيله .

ثم ملَّك الملك طبل ، وتوجه إلى نواحى السافل لقتال الشيخ الأمين وأبو ريده ، فقتل طبل بالحلفة[2] ، ثم ملك الملك بادى ، وقتل أيضا بالحلفاية [١٠ ـ ب] وقتل معه الملك رباط ، وهو ملك أبو ريده والشيخ الأمين .

ثم ملك الملك حسب ربه ومات بولد بان النقا ، كذلك مع أبى ريده [فى دار جعل][3] .

ثم رجع الشيخ ناصر فى سنة ١٢٠٤[4] إلى سنار .

وفى سنة ١٢٠٥[5] قتل الشيخ الأمين ولد مسمار بحلة ولد بان النقا ، قتله أبو ريده ، وجاء عبد الله وإخوانه إلى الشيخ ناصر [ولد محمد][6] بالجديد ، فشيَّخ عبد الله وتوجه طالبا الحلفاية ، فقاتلهم أبو ريده وعبد الله ولد عجيب وانهزم الشيخ ناصر ، وأقام بالصبابى ثلاثة أيام ، ورجع القتال ثانيا ، فلما قامت الصفوف نصف النهار سمعت ممن حضر ذلك اليوم ، قال أمر أخيه [الفقيه][7] محمد ولد الشيخ تلميذه أن يؤذن ، فيقول له الله اكبر انهزمت الحربة من غير قتال ، ورجع ناصر إلى الغرب وإلى سنار ، وأبو ريده بالشرق إلى الطرفاية ، فأقام كل منهما بناحيته ، واشتد الكرب على المسلمين مدة من السنين ، وسببه أن الشيخ عبد الله وقع عند الشيخ حسن ، فجاء إليه وأخذه من الخلوة ، فحلف الشيخ حسن أن الأمين لا يركب على حصان ، لأنه لما

(١) هكذا الأصل والمخطوط :
(وتؤخذ باسمه الدنيا جيعا   وما من ذاك شىء فى يديه)
(٢) الحلفاية كما فى ق .
(٣) مابين الحاصرتين من ق .
(٤) عام ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩/١٧٩٠ م .
(٥) عام ١٢٠٥ هـ = ١٧٩٠/١٧٩١ م .
(٦) مابين الحاصرتين من ق .
(٧) مابين الحاصرتين من ق .

وآل بيته ، ومعهم مقاديم الفنج جماعته ، فتلاقوا بمحل يعرف بأنطرحنا[1] واقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت جماعة الملك وقتل من الهمج على ولد محمد شقيق إبراهيم وكان فارسا مشهورا [وكثر][2] القتل فى حربة الملك ، حتى إن بعضا منهم غرق فى البحر ، وطردوهم حتى دخلوا سنار ، وتأسف الملك على عدم حضوره فأقام أياما ، ومات إلى رحمة الله . وكان رجلا عادلا فى الرعية جبارا قاهرا لمانديه ، قيل مات مسموما وقيل مطبوبا .

وأما ناصر وجماعته نزلوا باللبين[3] ، وأقاموا به أياما ، وحربة الملك فإنهم حاربوا أمام حوش الملك فى الحلة والسوق ، واشتد الحصار على الناس والكرب وضاقت عليهم الدنيا وما فيها .

ثم إن الشيخ ناصر تحول إلى جهة الصعيد من الحلة ، وأشعل النيران فى الحلة وخرجوا إليهم ، فتناوشوا قليلا فى تلك الليلة .

ثم انفصلوا ، فلما أصبحوا التقوا للقتال ولم يقتتلوا ، بل انهزموا بلا قتال ودخل الشيخ ناصر الحلة هو وعسكره ، فخربوا الحلة خرابا كثيرا ، وطرد إدريس والشيخ الفدوى المنهزمين إلى السَّالى[4] ورجعوا ، ومدة ملكه لغاية سنة ١٢٠٣[5] .

ومن هنا انتهت شوكة الفنج ، ولم تقم لهم قائمة ، فصار ملكهم عادة وصار التاريخ والملك باسم الهمج حقيقة ، واندرس أثرهم ، فصاروا يقتلون فيهم ويعزلون ويولون ، وهو كما قال المتوكل وهو أول خليفة حجر عليه فى ملكه :

أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مثلى   يَكُونُ أَقَلَّ مَمْنُوعٍ لَدَيْهِ[6]

(١) هذا الاسم غير واضح فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية ، ويبدو أن الاسم قد تغير إلى استرحنا ، وهى تقع على خط عرض ٤٩ر١٤ وطول ١٠ر٣٣ فى المنطقة بين سنار وواد مدنى .
(٢) غير ظاهرة فى ق ، والمثبت هنا من ا .
(٣) لم نستدل على موقعها .
(٤) السالى : فى منطقة سنار على خط عرض ٤١ر١٣ وطول ٣٣ر٣٣ .
(٥) عام ١٢٠٣ هـ = ١٧٨٨/١٧٨٩ م .
(٦) هكذا الأصل والمخطوط (يرى ماهان ممتنعا لديه) .

أخذ الشيخ عبد الله فَشَقَّه فى شعبة ، فلما وقع المقدور لم يركب فطاموا إليه برأس البيت ، وقتلوه بالحجارة .

ثم إنه ملك الملك نوار وأقام مدة فصارت له شوكة ، فقتله الشيخ ناصر .

ثم ملك الملك بادى ولد طبل ، وهو الموجود الآن ، وولى وعزل وسبب تركنا لسنينهم لأنها متدرجة فى حكم الهمج ، ولم نظهر لهم مدة ، وكان الملك بادى حين ملّكه الشيخ ناصر صغير جدا ، إذا أخرجوه للأعياد يركب وراءه الشيخ فرج الله الخُمْرة حتى كبر ، وأقام ناصر بسنار ، وكان عليها فى مدته رونق الملك العظيم والمحفل الجسيم ، وكان هو صاحب لهو ولعب ، يخرج إلى القنص إلى نحو العزازة[1] ، وكانوا يخرجون معه بالخمور واللحوم ، وإذا دخل الحلة كان يوم عيد ، وأيضا يخرج إلى السواقى يتنزه فيها ، وله إنعام على أربابها وكان زوارًا لقبور أهله فى الأعياد ، يزورهم بالناقه ورحل التمر ، وكان ذا عطاء جزيل ، وزهد فى باطنه ، وقد تضرب به الأمثال فى السخاء والكرم ، ويقال إنه قط ما قبض على الذهب إلا مرة واحدة ، جاءه واحد من أصحابه وقال له مسافر الحج ، ففتح العيبة وكان فى خلوة ، فأراد أن يعطيه عطاء جزيلا ، فمد يده وناولها الطالب ، ومراد الشيخ أن يعطيه طرف ثوبه ، فعرض له يديه فما رضى ولا زاده على ما خرج .

وذكروا أنه تدخل عليه الألف أوقيه (ذهب)[2] ، لم يدخر منها شيئا ، وكان بينه وبين الحاج سليمان صداقة ومودة كثيرة فى بعض المواقع ، وكان سليمان شجيعا باذلا نفسه فى القتالات ، وكان فى بعض قتالات [١١ ـ ١] الساقل انهزم الشيخ ناصر وأخذ جميع ما عنده من نسائه ، فلما أيقن وخرج بنفسه جاءه الحاج سليمان ، وقال له أعلمنى بما تريدها فى نسائك ، فقال له

(١) جاء فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية أ مكنة ست باسم العزازة وأقربها إلى سنار يقع على خط عرض ٨٠ر١٣ وطول ٥٨ر٣٣ .

(٢) مابين الحاصرتين من ف .

ارجع باسليمان [نساى راحن كلهن][1] ، فالح عليه ، فقال له آيتنى بأربدى ، فرجع سليمان وقال اربدى اربدى ، فقالت له سيدى وهى على جمل ، فهمز جواده حتى وصل عندها ، وأخذها من بين الخيل وقدمها وتأخر ، فإذا جاءته الخيل ردّها عنها ولحقها حتى أوصلها إلى الشيخ ناصر ، فصار عنده من أعز الخلق ، وكان عند النوم ناصر على عنقريب وسليمان كذلك ، فقالوا له أنت وزير الملك ما شأنك أن تعمل هذا ، فقال محافظ به على نفسى ، وسبب ذكرنا لهذه الوقعة لكرم الشيخ ناصر ، فكان فى بعض الأوقات يأتى إليه من بعد ما حصل بينهم من الأمور النفسانية ، فإذا جاءه فى سنار يعد له من كامل الأصناف ، ما لا يوصف ولا يوجد عند غيره ، حتى إن العسل يرسله له بالسقاء لا بالقرب ، ومن الأموال ما لا حصر له .

وقد ذكروا أن أربعة كانوا فى عصر واحد [و] هم ، الشيخ ناصر بسنار والسلطان عبد الرحيم بدارفور ، ومراد بيك[2] بمصر ، وأحمد الجزار بالشام ، وكان ناصر افرطهم لضيق ملكه ، لأن ذلك مختصر على بعض الجزيرة .

فى سنة ١٢١١[3] فى شهر شوال يوم الثلاثاء قطع إلى أبى ريده ومعه عدلان أخوه ، فقتلوه وخربوا حلال الشرق ، ونهبوا منها أموالا ، وكان هو ظالما لا يرد يده عن مال أحد من المسلمين ، وقد أغنى بيوتا وأحوج آخرين .

ذكر من مات فى مدته : فأولا قَبَضَ الفقيه حجازى ابن أبى زيد وقتله عطشا ، وقتل الفقيه مجدى خنقا ، وقتل جماعة الحضارمة ، فقيل عطشة حجازية وخنقة مجدية ، وذبحة حضرمية ، ودخل فى زمنه السلطان هاشم وأولاد الأمين وبنو جرّار[4] ، دخلوا الجزيرة تخرج فى طلبهم بالحراب ، ولحقهم إلى نحو سيرو[5]

(١) مابين الحاصرتين من ف .

(٢) المقصود بمراد بيك المشهور ، بأخبار مقاومته للحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون .

(٣) عام ١٢١١ هـ = ١٧٩٦/١٧٩٧ م .

(٤) قبيلة « بنو جرار » التى دخلت السودان من الشمال .

(٥) سيرو على النيل الأزرق جنوبى سنار وهو اسم يونانى كما سبق أن اشرنا .

فتصالحوا ورجعوا جميعا ، ودخل هاشم وأولاد الأمين معهم سنار ، وسافرت بنو جرار(١) بعد الاكرام والكساوى ، وكانت سنار محروسة محمية لا ينتصر عليها من هو خارجها .

ومات فى مدته الولى الصالح العالم الفقيه عبد الرحمن ولد أبو زيد ، وقد بانت له كرامات عديدة عند موته ، واشتهر صلاحه واعتقد فيه الخاص والعام ومن كراماته أنه بعد ما غُسِّل بعد موته ، ذلك الماء ما شربت منه الأرض قطرة ، ولم يترك(٢) منه الناس شيئاً ، بل أخذوه تبركا به ، وخرجت من قبره عوائد ما(٣) عهدوها فى غيره ، وتولى دفنه [١١ ـ ب] وتجهيزه الشيخ ناصر ، وألحده فى قبره ، وهو ظاهر يزار .

ومات أيضا العالم العامل خادم الفقراء المتثل لأمر الله ولا يخاف فيه لومة لائم [و] من الأمراء : الفقيه محمد صبر ، نفعنا الله بهما ، وله أى ناصر من الأولاد محمد أبو ريش ، وسيأتى ذكره ، وعلى ومحمد القنجارى(٤) ، وهو ملحق به .

وأما سبب موته فإنه لما تدول فى الملك سلم الأمر لوزيره الارباب دفع الله ولد أحمد ، وبسطوا أيديهم بالظلم والجور مع وزيره وعبيده ، وتعضد بهم على إخوته ، وزاد فى كرمه مع بعض الأمة ، فكان لهم نعمة وزاد فى ظلمه على آخرين ، وكان عليهم نقمة فقرت منهم العقول ، ونفرت منه النفوس ، واستغاثوا منه بالملك [القدوس وزاد](٥) به دفع الله فى أمره ، وأمر كامل المقاديم وغيرهم

(١) قبيلة « بنو جرار » .
(٢) وردت فى ق لم يتركوا منه الناس .
(٣) فى الأصل (لم) .
(٤) القنجارى نسبة إلى قبيلة قنجار فى اقليم كردفان ويحتمل انها تشير إلى اصلها قنجر ومعناها ترك الوطن لعداوة أو لخوف من ظالم أو لطلب معيشة ولهرب بالنساء لعشق خوفا من أهلها أو إبعادهن من العاشقين (نقلا عن طبقات ود ضيف الله ص ٢٧)
(٥) مابين الحاصرتين من ق .

يحوِّشوا عنده حتى يأتى بهم ديوان الشيخ ناصر ومن جملة ذلك أخواه(١) إدريس وعدلان ، حتى إن إدريس حوَّش على دفع الله من غير راحلة ماشيا على قدميه ، وقيل متحزماً فى صلبه ، فأضمروا له العداوة ، وسموا فى الحرابة ، وخداع الحربة منه ، وتأهبوا لذلك وباينوه بها بعد اجتماعهم بعبود ، عدلان من الشرق وإدريس من الناقل(٢) ، واجتمع عليهم من له غرض فى ذلك . وكل ذلك فى آخر سنة ١٢١١(٣) .

أما هو لما تحقق له الأمر ، خرج إلى السَّبيل(٤) فى آخر الصيف ، وأقام بها ، وأرسل إليهم الراتب وبنات محمد ، لأنه ذو رأى وتدبير ، ولكن عند القدر لا ينفع الحذر ، وكان من جملة المرسلين من الراتب ، الفقيه ولد عبد الحى ، وكان صاحب نصيحة وحكاوى ، وكلامه مسجع ، فقال له ذات يوم لما رأى إعراض إخوته عن الصلح ، ويداهنون الفقرا بالقول من غير فعل ، فقال له هذه شبطة ودخلانية ، إما دفع الله وإما الطاقية وإما دق السيف لمشية ، فأيس منهم ، ونزل المطر وكانت سنة خصبة معروفة عند أهل سنار ، فلما وقف المطر فرق ما كان معه من الجيوش ، فأرسل هاشم إلى دار الأبواب ، ودفع الله إلى أهله ، وتدلى هو إلى سنار ، وقام إخوته من [بلدة] عبود(٥) وراءه ، فلما دخل سنار نزلوا هم بالبقرة ، فلما جاء الليل أوقد النيران بالفاشر ، وأخذ ما يحتاج إليه وخرج إلى نحو الصعيد فلما دخلوا سنار وأقام بها إدريس ولحقه عدلان ، فلما نزل بسيرو وجده قطع الشرق ، وتوجه نحو دركى بالدندر ، فأقام بها قليلا ، وسار إلى نحو السافل طالبا للشيخ عبد الله ولد عجيب لجاء الحلفاية ، وأقام بها ثم توجه نحو الصعيد ونزل عبود .

(١) فى الأصل (أخويه) .
(٢) تقع الناقل على خط عرض ١٥ر١٤ وطول ٠٠ر٣٣ وهى جنوب واد مدنى .
(٣) عام ١٢١١ هـ = ١٧٩٦/١٧٩٧ م .
(٤) تقع السبيل على خط عرض ٩ر١٣ وطول ١٦ر٣٣ فى منطقة سنار .
(٥) انظر التعريف بهذه البلدة فيا سبق .

وأما إخوته فتوجهوا من سنار ونزلوا بأبي حراز(١) ، فلما جاء هو قطع عدلان إليه فى حربته ، ولم يخرج معه أحد من الفنج ولا الهمج خوف الخداع فلما قامت الصفوف خلع وزيره دفع الله [البيعنة](٢) من رأسه ، ودخل حربة عـدلان وانهزم الشيخ ناصر ، ولحقته الحربة ، فقبض ورجع به إلى أبى حراز [١٢ – ا] وسلموه لصباحى ولد بادى ، فقتله بثأر أبيه ولد بادى ، ودفن مع الشيخ دفع الله العركى ، رحم الله الجميع .

ثم شاخ الشيخ إدريس سنة ١٢١٣ وكان رجلا شجيعا عادلا حليما رقيق القلب على الرعية ، وكان أبغض الخلق إليه السارق ، ومما بلغ فى عدله أن جميع حوائج السوق فى مدته تصبح فى محلها ، خلا مايخاف عليه من الكلاب وكان مهابا معظما قنوعا ووافقه عدلان أخوه ، فكان عدلان هماما للقبائل ذا سطوة وبأس شديد [بن] ، لا تقاومه قبيلة إلا قتلها ، وأذعنت لهم قبائل الشرق ، وانتفعوا فيها وأراحوا الحلال من الظلم والنكال ، وكان الشيخ وزراءه(٣) الأرباب قرشى [ولد فضل الله الأنصارى](٤) والأرباب زين العابدين (ابن السيد دوليب)(٥) والفقيه الأمين ولد المشا ولم يسلم لهم الأحكام ، بل [هو] قائم بنفسه كما قال الشاعر :

[وَ] لَا تُرْسِلْ رَسُولَكَ فِي مُهِمٍّ   فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا
فَمَا عَظُمَتْ رِقَابُ الْأُسْدِ حَتَّى   بِأَنْفُسِهَا ترى [تَوَلَّت] مَا عَنَاهَا

ثم إن الشيخ إدريس لما استقر له الأمر بعد قتل أخيه ، ورجوعه إلى سنار ، وكان الوكيل وراءه [محمد بن](٦) الشيخ رجب ، وكان فى العدل

(١) أبو حراز تقع بين الخرطوم وواد مدنى – اقرب الى الخرطوم .
(٢) مابين الحاصرتين من ف .
(٣) المقصود وكان وزراء الشيخ .
(٤) مابين الحاصرتين من ف .
(٥) مابين الحاصرتين من ف .
(٦) مابين الحاصرتين من ف .

مفرطا ، ثم إنه قطع وراء الشيخ كتور وكان بينه وبينهم عداوة من زمن الشيخ ناصر ، فلما شاخ هو أرسله ولحقه إلى نحو أم شجرات أو قربها ، وكان مع الشيخ كتور الملك رانفى وفى سنار الملك بادى ، فعقدوا صلحا واتفقوا على ملكية رانفى وعزل بادى ، فلما دخلوا سنار عزلوا بادى ، وهو الموجود الآن وملكوا الملك رانفى ، وأقاموا عليه ، وسافر الملك بادى إلى نحو رأس الفيل .

ثم إن أولاد محمد بعد قضاء وطرهم من الصعيد تنهوا إلى دار السافل ، وتفكروا فى مكائدهم الاوائل .

فى سنة ١٢١٥(١) توجهوا إلى حرب الشيخ عبد الله ولد عجيب [بالحلفاية](٢) وكان شجاعا عادلا ، فى زمنه قطع قطاع الطرق(٣) وأراح المسلمين ، وزوج النساء وأقام الصلاة ، فتوجهوا لحربه لأجل أمرين ، أحدهما لكلمة نقلت عنه لأخيهم الشيخ ناصر ، حين توجه إليه ، والثانية لأجل فتح دار الأبواب ، وكان بينهم وبين أولاد نمر ما لا يخفى من العداوة والجفاء ، فوصلوا إليه وقتل بالحلفاية (الشيخ عبد الله رضى الله عنه)(٤) رحمة الله تعالى عليه .

وشاخ فى تلك السنة ١٢١٥(٥) الشيخ ناصر ولد الأمين ، وحج فيها والدنا .

وأما أولاد محمد لما قتلوا الشيخ عبد الله ولد عجيب ، أقام الشيخ إدريس بالحلفاية ، وتوجه عدلان إلى ولد بان النقا ، فأرسل إلى ملوك جَعَل ، وعاهد الملك محمد ولد نمر على اسمه وملكه ، فقدم إليه المذكور وإخوته ، إلا ابنه نمر وأخيه سعد وغيرهم ، لم يأمنوا على أنفسهم ، ولم يقفوا بوجه عدلان وأما الملك سعد فمات قبل المواجهة معهم فى تلك السنة ، وقد حكوا أن بنات

(١) عام ١٢١٥ هـ = ١٨٠٠/١٨٠١ م .
(٢) مابين الحاصرتين من ف .
(٣) ذكر ناسخ ف قطاع الطرق بالكالته وصحتها الاكاليت .
(٤) مابين الحاصرتين من ف .
(٥) عام ١٢١٥ هـ = ١٨٠٠/١٨٠١ م كما سبق أن اشرنا .

الشيخ محمد لما توجه إخوانهن إلى السافل عرض عليهن الجواب فقان ، واحد شكل الحصان ، وواحد حبس النسوان تمطون الدار لن ؟ فبكى الشيخ إدريس [١٢ ـ ب] ولم يخاطبهن سوى البكاء ، فلما مكنهم الله من أولاد نمر ، قبض عدلان الملك محمد وابنه إدريس ، وإدّريس أخاه ، والفحل وغيره من أولاد الفراش .

فأما الملك محمد فقتله بالحديد صبرا ، وأما ابنه إدريس فخسرت عليه أمه ثلاثمائة أوقية (ذهب)[1] ، ومع ذلك مقصود عدلان يتمكن منها لأجل ما فعلوا بنساء الهمج ، فلم يرد الله ذلك .

وأما الفحل فأطلقه لخاطر الحاج سليمان ، وقال فى ذلك الفحل لما خلص من السجن ، وكان مغنيا فطلب منه عدلان الإنس ، فقال « أين من مثل عدلان رجل صميم راكب على قهيد جانب المموم [الهوام] [يعلثه الهوان] حبس الحريم قبض من تهابه الناس لطرا[2] القديم وأمسى ولم يصبح (معه)

وأما عدلان فأخذ بقية الأسارى وتوجه إلى الحاوية وتحاصر مع أولاد نمر ، وبقيت أولاد نمر وتبايتوا ، ولم يكن بينهم قتال ، فلما هجع الليل قام نمر ومن معه ، وأصبح عدلان بمحله ، فرجعوا الفقراء المجاذيب والسمداب ، وملّك الملك المساعد ، ورجع[3] ، فأقام المساعد بشندى وتوجه المذكور إلى أخيه وقاموا طالبين سنار ، فدخلوها فرحين مسرورين .

ففى سنة ١٢١٦[4] توفى والدنا بعد أن قضى حجه ورجع ، رحمة الله عليه[5] ، وفيها قتل أولاد نمر المأثورين ، وفيها قتال المواليب[6] ، وخروج

(١) ما بين الحاصرتين من ف .

(٢) طرا : ذكر .

(٣) نهاية الصفحة ٢١ ـ ا من مخطوطة ف ومابعدها سقط حتى صفحة ٣٣ ـ ا وأول صفحة ٢١ ب العبارة الآتية «وكان من بركاته له حفره الخ الخ» .

(٤) عام ١٢١٦ هـ = ١٨٠١/١٨٠٢ م .

(٥) يشير المؤلف لوفاة والده (والد كاتب الشونة) فى عام ١٢١٦ هـ .

(٦) حرب المواليب وقعت فى عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) بين الملك نمر وبين الملك المساعد أطلق عليها حرب المواليب .

المساعد من شندى ، وملك فيها نمر ، ومات فيها عمنا الفقيه الطريفى فى شهر صفر ، وفيها قطع عدلان إلى الغرب ، وظفر ببعض ملوك فور ، ويسمى عيساوى فأسره ، ورجع به إلى سنار فمات بها .

وأما من مات فى مدته ، ففى سنة ١٢١٧ قتال الشكرية والبطاحين ، وقتل فيها الشيخ أبوسن وغيره ، ومات الولى الصالح صاحب النصيحة المشهور ببلاد السودان الحاج ناصر ولد مانسىّ ، وله كرامات عديدة منها ماحدثنى به أحد أبنائه ، فقال إن الحاج كان إذا جاء إلى دار غبيش استبشروا بقدومه وعظموه ، لما كانوا يرون عن بركاته ، فقدم عليهم سنة من السنين ، وجمعوا له البغال والحمير لأجل الشيل ، ومن جملتها الشيخ النور أرسل بغلا ، فحملوا عليه فلما قدم خر البغل ميتا فتعجبوا ، وأتى ابن أخته الفضل إلى خاله الحاج ناصر المذكور وأعلمه بذلك ، فعظم عليه الأمر وقال لهم البغل ما مات . إرجعوا إليه فرجعوا فوجدوه حيا ، فلما وصل صاحبه عاش ثلاثة أيام ثم مات ، ومنها أن امرأة مقيمة بحلة عوض الله أخيه ولها واحد من جماعة القاديم[1] يأخذ منها معلوما ، فجاء إليها وعندها مطمورة[2] فأراد قلمها[3] ، فأعلمت الحاج ناصر ، فقال لها أنا ما بروح[4] له ، فرجعت إليه ثانيا فردها ، فى الثالثة قام الشيخ ووقف على المطمورة ، وضرب برجله ، وقال ماهى المطمورة[5] ، ما بفوتها ، فلما وطئ المطمورة أحس بطعنة فى رجله ، فغلبه أن يتحول فأخذوه على عنقريب ، فلم يصل بيته حتى مات ، ومنها أن محمدا ابنه لما قام مسافرا إلى الصعيد قال فلما دخلت [١٣ ـ ا] الكيكى ليلا ، جاءنى الشيخ

(١) القاديم مفردها مقدم أو مقدوم .

(٢) المطمورة : الحفرة تحفر فى الأرض لتخزين الحبوب لحين الحاجة إليها .

(٣) قلمها المقصود منها أخذها .

(٤) أنا ما بروح له أعنى إنى أنا سوف لا أذهب له .

(٥) ماهى المطمورة أى هذه هي المطمورة .

معرب دوابته ، وقال يامحمد ، فقمت إليه غضبان(1) ، وقلت له مالك ، أناجيت هذه الساعة أما تصبح ، فقال لم تغضب ، أنا هذه قومتى ، جاءنى الحاج ناصر ، وقال أنا جئت(2) مع محمد ولدى عرضوا لهم العيلة وجئت أحميهم ، وهذه قومتى عديتهم ، وعربت دوابتى وجئتك ، ومناقبه كثيرة نفعنا الله به .

ومات فى زمنه الولى الصالح مقرئ القرآن ، المتبع لأوامره ، المجتنب لنواهيه ، مرشد الطالبين ، القائم بأمر الدين ، التلذذ(3) بالأمراض حينا بعد حين الفقيه المصرى ولد قنديل ، وله كرامات مشهورة وبركة ظاهرة نفعنا الله به .

وتوفى فى مدته القطب الربانى العالم [الفردانى] التحرير ذو الفضل الشهير الذى لا يخفى على أحد من المسلمين الشيخ يوسف بن الطريفى(4) نفعنا الله [به] وقد رثاه الفقيه أحمد بن الحاج الطيب بقصيدة ، فقال : ــ .

بدأتُ بحمدِ اللهِ ثمَّ صلاتِهِ   على خيرِ مبعوثٍ وأكرمِ من هَدَى
وبعدُ ، فقصدِى ذكرُ مثقالِ ذرَّةٍ   من اوصافِ من نالتْ بهِ الأرضُ سُؤدَدا
أيا رَمْسُ قد نلتَ المكارمَ والعلا   لكونكَ باشرتَ الإمامَ المجَّدا
وحزتَ بهِ فضلًا وفخرًا ومنزلًا   وصرتَ بهِ بَينَ المقابرِ أوحدَا
هوَ الحبرُ عند المعضلاتِ إذا أتتْ   يحلُّ ويكشفُ كلَّ ما كانَ مُنعقَدَا
فإنْ نظرَ الإنسانُ نظرةَ رحمةٍ   بها ينجلِى ما كانَ فى القلبِ مِنْ صَدَا
إذا ما رأتهُ العينُ فى غايةِ الدُّجا   تراهُ مضيئًا مشرقًا متوقِّدا
هوَ الكهفُ اللآوى إليه جميعه   هو الباذلُ الفيَّاضُ إنْ تمدُّ اليدا(5)
وكمْ مِنْ عراةٍ عالةٍ يقصدونه   فتغشاهمو أمواجُ آلاهُ سَرْمَدا

(1) فى الأصل: زعلان .
(2) فى الأصل (جيت).
(3) كذا فى جميع النسخ .
(4) ترجمته بطبقات ود ضيف الله نشر صديق ص ١٨١ .
(5) فى الأصل : (إذ مدت) .

وكمْ منْ رجالٍ أُنقِذُوا باجتماعِهم   بهِ من ظلامِ الجهلِ والغيِّ والرَّدى
فسارَ على نَهجٍ قويمٍ بهديهِ   أبانَ لهمْ سبْلَ الضَّلالِ من الهُدَى
تحيرتِ الضُّعفاءُ بعدَ مماتِهِ   وعيشهمُ بعدَ الهناءِ تبدَّدا
بكتْـهُ بقاعُ الأرضِ طرًّا وأعلنت   بأن بات فيها قائمًا متهجِّدا(1)
بقولٍ بليغٍ ليسَ يجحدُهُ سوَى   حسود ومطرود من اللهِ مبعدا
فواللهِ لا يأتى الزمانُ بمثلهِ   ولا تحص أوصاف بها قد تفرَّدا
لهُ هممٌ لا يبلغ العدُّ حصرها   ومن قال تحصى قد طغى وتمرَّدا(2)
وسار بخُلْقٍ ثم خُلُقٍ حميدةٍ   لهُ شيمٌ لم تخف كالبدر إذْ بدا(3)
ثمانون عامًا بعد أربع عمره   أقامَ الليالى فى دجى الليلِ ساجدا
أصبنا بهِ فاللهُ يعظمُ أجرَنا   ويدخله جناتِ عدنٍ مخلَّدا
وكن يا إلهى للذى صار بَعدَه   مغيثًا معينًا ناصراً ومؤيِّدا
وقائلها فى لجةِ الجهلِ والخّ   أولى العلم فاعفوا إن لكم خطأ بدا(4)

ومناقبه كثيرة لا تحصى نفعنا الله به ، وقد قام الشيخ ادريس المذكور فى العدل والإحسان مقام أبيه ، وكان يقول أنا ثالث الاثنين ، وهما الشيخ بادى والشيخ رجب ، وله من الأولاد محمد وعلى وهو ملحق به ، وعاجبة(5) التى اشتهر بها .

وأما سبب موته فإنه طلع إلى جبل سقدى لخدمة رفاعة سنة ١٢١٨ ، فلما أقام بها أياما أدركته المنية فى شهر جماد آخر لستة عشر يوما خلون منه فلما تحقق أخوه عدلان موته أخفاه ، حتى حضَّر نفسه وجمع خيله وركابه وظهر

(1) فى الأصل : (بأنه فيها) .
(2) فى الأصل : (الحد) .
(3) فى الأصل : (لا تخف) .
(4) فى الأصل : (أولو العلم أعفوا) .
(5) عاجبة اسم لابنته .

موته ، فصارت على الناس دهشة وحيرة ، فمن الناس من يقول مسموم ، ومنهم المفوض إلى الحي القيوم .

ثم شاخ الشيخ عدلان في سنة ١٢١٨[1] المذكورة بعد دفن أخيه رحمه الله ، واجتمع الخلق عليه وهنوه بما أتاه من الفرح والسرور وتمام الملك ، فأقام بقية شهر جمادى ورجب وشعبان ، وفي ليلة ٦ شعبان تاريخه توفي إلى رحمة الله .

وسبب موته أنه لما أتته الطاقية[2] ، اشتغل بالملاهي والنساء ، وتارة بالمرض الذي يخالطه الهوى كالفرنديت والبوارد[3] ، واشتغل بالأعراس ، وأرسل الأرباب رفع الله سليمان أحد نصحائه وأوزاره إلى أبي حراز أن يقيم بها ويحبس الشكرية من العيش حتى يطيعوه ، وكان المذكور يراسله في بعض الأحيان بالخروج من سنار ، فلم يرد الله إلا ذلك ، وأعلمه أنك إن لم تخرج من سنار في رمضان مقتول فأبى أن يخرج ، فلما اشتغل هو بالملاهي اشتغلت الرجال في هلاكه ، وذلك أن محمد ابن الشيخ رجب وضع رأسه مع كل أحد ، وكان صاحب تدبير ، فربط على أولاد أحمد ومع الملك رانفي والفنج ، ومعه البعض من أصحاب سر الشيخ عدلان ، فلما أراد الله إظهار ذلك حرك محمد ولد ناصر المشهور بأبي ريش من حلته الكُبُر[4] ، وكان في حيرة مما حل به من ضيق الصدر .

وفي أيام شياخة عدلان [١٤ـ١] توفي على أخوه ، وكان شجاعا يهابه عدلان ، وهو يتأخر عن عداوته ، فلما مات قيل مسموما ، وقيل معمولا[5] ،

(١) عام ١٢١٨ هـ = ١٨٠٣/١٨٠٤ م .

(٢) المقصود بذلك طاقية المشيخة دلالة على رآسته للحكومة المحلية .

(٣) الفرنديت هي دودة رفيعة تدخل الجسم عن طريق جرح أو غير ذلك وتعرف علميا باسم دودة غينيا ، والبوارد هي الحميات وبخاصة الملاريا .

(٤) تقع حلة الكبر (بضم الكاف والباء) على خط عرض ٣٦ر١٤ وطول ١٤ر٣٣ في منطقة واد مدني .

(٥) معمولا أي عمل له سحر .

فلما جاء محمد من الكُبُر ونزل عند بعض أصحابه ، وهو راكب على حمار ، وجالب له بقرة يبيعها لمصروف رمضان ، وكان الشيخ في تلك التنعمات والترفهات ، وكان من يوم هلال رمضان لم أحدا من المقاديم والوزراء أولاد الهمج يفطر ببيته ، خلاف الشيخ كتور وهيَّأ من الأطعمة والأشربة مالا يعد ، وحدثني من كان متولي مصروفه في تلك الأيام ، فقال كل يوم سبعة أواق وربع أوقية إلى يوم قتله ، وكان رحمه الله كريما سخيا ، فلما دخل ولد ناصر الحلة وأعلموه بالقضية ، ووافق المقدور أن عدلان تلك الليلة عند بنت جمعة ، فجاء ولد ناصر وأعلم أصحاب مشورته ، وكان تبوعا في الأمور عجولا في حركاته ، فهجم على حوش الروشان ، وقتل بعضا من الحراس ، وأخذ ما هناك من الخيل والسلاح ، وجاء إليهم فتجبروا وسمع عدلان بذلك ، فقام من حوش بنت جمعة ، وجاء إلى حوش خئولته ، واجتمع عليه أصحابه وهم له غير ناصحين[1] ومن حضر من عبيده ، فخدعه المخادعون وقالوا له هذا الأمر لا يليق ، وكتور يخرج إلى العيرة ، فهدوه بالكلام ، وتفرق من في قلبه خلل وحصل معه الغرور ، واستمهد بقولهم .

فلما تمكن[2] منه أصحاب الخداع ، وإذا بالحربة قد أقبلت ووقفت بباب الحوش ، فخرج عليهم وعليه شاية برد ، فقبل الخروج بادره واحد ، يقال له عركي ، فطعنه بدُلَّق[3] وقد قضاه ، فخرج معلول فبادره الشيخ كتور وأعطاه سيفين ، فلم يؤثر فيه بشيء ، فضربه هو بالعكاز وشتمه ، فتفرقت حربته ، وقتل من أوزاره[4] حمد ولد نايل ، والإمام ولد أحمد ، فجفل به حصانه ولم يجد من يمسكه ، فلما وصل إلى رأس الدبة مقابل مسجد بلال وقع من الحصان ميتا ، ووقف الحصان فوقه .

(١) في الأصل (ناصحون) .

(٢) في الأصل تمكنوا .

(٣) الدلق من آلات القتال .

(٤) كذا في جمع النسخ وهي صيغة جمع سودانية للفظ وزير .

وأما ما كان من أمر هؤلاء ، فإنهم احتاروا فى أمره ، هل هو خرج وأيقنوا بالهلاك ، وتحيروا فقبل طلوع الفجر أتاهم الخبر أنه مقتول ، فأتوا إليه وحققوه وحملوه إلى حوش خوله ، على هيئة لا تليق بمثله ، وذلك ليلة السبت لست عشرة ليلة من شهر رمضان.

وأما محمد ابنه فى ذلك الوقت صغير وهو راكب تخرج مجروحا وتكامل على فرج الله وبقية المنهزمين ، وقاموا إلى عبود ، وتراجعت عبيد ناصر وكل من له أحد عليه عاصر .

ثم شاخ الشيخ محمد ولد رجب فى سنة ١٢١٨(١) ، وأصبح رَوْنَق المُلْك على محمد ولد ناصر ، ومعه [الشيخ] دفع الله وزير أبيه و [الشيخ] قرشى ، وصار الملك بينهم أثلاثا(٢) ، فلم ينفع ولم يتم ، فكل منهم حفر لصاحبه حفرة ، أما الشيخ [١٤ ب] محمد رجب حافر للجميع ، ومرامه يهلك ولد ناصر بالكاتير(٣) والكاتير بولد ناصر ، ويكون له الأمر وأولاد أحمد عقدهم مع الملك رانفى ، والفنج على الجميع ، فأبى الله أن يتم لهم ذلك .

وأما ولد ناصر فتحزب على الكل بعبيده وحسب أبيه ، وانفرد ومع ذلك كلة واحدة فراسل بيت عدلان ، فعاهدوهم وجاءوا إليه من عبود ، إلا دفع الله ولد محمد سليمان ، فإنه متربص بهم [وصبر حتى] قامت الفتنة ، وجاء فوق عزة وقوة .

فلما كمل شهر رمضان من تلك السنة المتقدمة شاع بينهم القال والقيل ، وأظهر كل منهم ما فى الضمير ، فثارت الفتنة وعلا شرارها ، وهاجت وتأججت نارها ، فكان يوم الخميس فى شهر شوال تصافقوا للقتال من أول النهار إلى الزوال فلما آن وقت خروج الأرواح نادى مناديها ، وصاح فساق ولد ناصر بخيله إلى الفاشر ، فوجد ولد رجب للحرب مباشرا ، وأما كتور فواقف مع إخوته

(١) عام ١٢١٨ هـ = ١٨٠٣/١٨٠٤ م .
(٢) المقصود بذلك أن أولئك الثلاثة اقتسموا الحكم فيا بينهم كما حدث أيام أباطرة الرومان .
(٣) كاتير مفردها كتور .

ببطن حوشه ، وهم راكبون وفى الحرب راغبون ، فلم يطاوعهم لأنه صبور عند الشدايد .

وأما الملك ومن معه متربصون الدوائر بالجميع ، فتوجه محمد ولد ناصر بخيله يقدمها فَامَه(١) ، وكان شجيعا ومع ذلك سكران حيران لا يفهم مرارة الموت ، فأتاهم فى حاله واشتد عليهم فى حربه ونزاله ، فبادره الفقيه الكامل وزير الشيخ كتور ، فتضاربا ، وكان العبد قويا وراكبا على ظهر عتيا ، فضرب الكامل العبد وقطع زرار خوزته ، وضربه هو فوقع عن جواده ، وهجم طالبا للشيخ كتور قبل خروجه ، فبادره عند الباب وحصل الأجل ، وانقطعت الأسباب . فضرب فامه الشيخ كتور فتنحى عنه ، وباينه هامة راسه ، فأخذ دماغه بالسيف ، فوقع كالطود العظيم ، وانهزم من جاء معه ، لأن المحل مضيق وأتاهم فى قلة ، وانهزموا واقتفى(٢) أثرهم أولاد أحمد ، وقتل الحاج فرح ولد ريَّه فوق الأونقة(٣) حصان الشيخ إدريس ، وكان كامل عدته ذهبا ، فقتله ياسين وأخذ الحصان وسلبه .

وأما ولد رجب وولد ناصر فأقاما بالفاشر(٤) ساعة وتحقق لهم الكسر ، فدخل ولد رجب حوش الملك ، وتوجه ولد ناصر إلى حوشه ، فأخذ كامل ما تهواه نفسه وخرج من الحلة ، وأما الشيخ كتور فأعلم إخوته أن هذا غير نصر بل فرج عليكم ، فاخرجونا من الحلة فأبوا كلامه ، وأيقنوا بالنصر والظفر ، فلما أصبحوا أتوا حوش الملك وحبس ولد رجب ، وأقام أولاد أحمد والفنج وملكهم ، وأيقنوا بالملك وتعاهدوا على ذلك.

(١) فامه : اسم لراكب الحصان متقدم الخيل .
(٢) وردت فى ق اقتفا .
(٣) الأونقة : اسم للحصان — وهى كلمة قديمة .
(٤) الفاشر : الميدان الذى يقام فيه السوق وهو قريب من بيت السلطان أو الوالى .

وأما ما كان من أمر ولد ناصر فإنه نزل بالكبر[١] ـ حلة أبيه ـ فأقام بها ، وراسل إلى الحراب من نحو السافل وباق بيت عدلان ، واجتمعوا عليه من كل النواحى ، [١٥ ـ ا] وخرج هو مجروحا وأقاموا الكماتير بسنار ، وولد رحب عندهم ، وأطلق الفريقان أياديهما بالحراب على المسلمين وقلع العيش ، ولم يسلم منهم إلا من احتوى المراتب[٢] ، أو له شوكة من أحد الجوانب[٣] :

وفى تلك الأيام ظهرت ولاية العبد الصالح المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم العالم العامل الفقيه محمد ولد أبى سبيجه ، وسبب ظهوره مما حكوا أنه خرج من أولاد أحمد الفزاره[٤] ، وأتوه فلما قربوا منه وقعت لهم فرس فاتت فى الحين ، ورجعوا من حينهم وهابوه إلى يوم وفاته ، وهو صاحب كرامات وحالات نفعنا الله به .

وظهرت أيضا ولاية الولى الصالح ، المقرئ للقرآن المعلم لأولاد المسلمين ، ذوالبلاغة الفقير يعقوب الدوبحى ، واعتقد فيـــه ولد ناصر وكامل أهالى الحربة ، وظهرت بركته حتى أن ولد ناصر لبس قميصه يوم القتال ، وكان مهابا مطاعا ذا حظ وافر ، وكلام نافذ .

وأما ولد ناصر فلما برئ [من] جراحه ، واشتد ساعده قام من الكُبُرّ ، ونزل بطيبة حلة قندلاوى[٥] فوق البحر ، وأقام بها تمـام سنة ١٢١٨[٦] ، وتراسلوا بالصلح مع أولاد أحمد ، وكان الماشى بينهم حسين ولد محمد ، وكافة المراتب والحاج سليمان ، وطلب منهم كامل ما أخذ يوم القتال وفك الشيخ محمد ولد رجب ، فأجابوه أما ولد رجب فخلوا سبيله ، وراح أبى الروشان ، وردوا

(١) الكبر : حلة بالجزيرة .
(٢) المراتب : الفقهاء الأولياء .
(٣) المقصود : انه محظوظ من أحد أصحاب النفوذ .
(٤) من قبيلة الفزارة (فزاره) .
(٥) طيبة حلة قندلاوى غرب واد مدنى .
(٦) عام ١٢١٨ هـ = ١٨٠٣/١٨٠٤ م .

لهم من الخيل والعدد مالا يحصى ، ولم يغن ذلك شيئا ، فلما كانت سنة ١٢١٩[١] قدم ولد ناصر فى محرم الحرام ، وخرج المذكورون إلى اللبين ، فدعتهم المنية إلى مصارعهم ، كان الفقراء[٢] عندهم فى تلك الساعة للمصالحة ، فرضى ولد ناصر وأعرض أولاد رجب محمد ولد إبراهيم ، ومع أن ريس أولاد رجب ، فى ذلك الوقت ، بادى وأمه بنت أحمد ، فأعرض عن الصلح ، وقاموا إلى القتال فالتقوا بأم صويبينة[٣] ـ محل معروف ـ فتاقاهم أولاد أحمد لأن لهم شجاعة زايدة وعرض وافر ، وهؤلاء أجبروا ساط فقتل من أولاد أحمد اثنا عشر وابن عمهم سوى المأسورين والمثخونين بالجراح ، وقطعت الفنج ، لم ينج من كبارهم إلا القليل ، ودخل الملك قصره ، وقطع الشيخ كتور وبقية المهزومين بالشرق ، وكانت وقعة عظيمة مشهورة ، قريبة من وقعة انطرحنا[٤] ، التى بين الشيخ ناصر وحربة الملك عدلان ، وهذه من ابنه ، فسبحان مدبّر الأمور .

ومات فى تلك السنة العالم الربانى ، والغوث الفردانى الذى اشتهر بالتوحيد فى زمانه ، وفاق من قبله وفى أوانه ، الفقيه على بقادى رحمه الله ، وهو ذو باع طويل فى هذا الفن وقد ضربت إليه أكباد الإبل من كل فج ، وقد رثاه ابنه العلامة إبراهيم بقصيدة [١٥ ـ ب] فقال :

الحكمُ لله كلٌّ غيرَهُ فانى ... وفى المنايا عِظاتٌ كلٌّ ولهـانِ
ياتائها غافلا والموتُ يطلبهُ ... أقصرْ عنـاكَ فللمنون عينان
وهذه الدارُ لاشبهٌ يقاربُها ... إلا سرابٌ بدا فى ظهرِ قيعانِ
سحارة الطرف ترى فى لواحظها ... حمية الصِّلِّ لا راق ولا دان
كم أظهرت فرحا فى طيِّهِ حزَن ... وما استحت واحدا فى العصر ربانى

(١) عام ١٢١٩ هـ = ١٨٠٤/١٨٠٥ م .
(٢) فى الأصل وكانت الفقرا .
(٣) حلة فى منطقة واد مدنى .
(٤) لم يرد اسم انطرحنا فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية ، ويبدو أن الاسم قد تغير إلى استرحنا كما سبق أن أشرنا .

فى تاسع العشر من ذى حجة وسط   فاز علىٌّ بوعـــدِ خيرِ إيمان
وضجّت الناسُ عنـد موته فزَعًا   لما بدت ثُلْمة الإسلام فى الآن
لاحبَّذا فقدُ أحبابٍ فُجِعْتُ بهم   شمُّ الأنوف طِوالُ الباع غُرّان(١)
فكم أحِنُّ لأصواتٍ مرنَّمةٍ   حنين ثـكلى شجاها فقد فردان(٢)
تَبْكِى يتَامَاهُ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهَا   تَبْكِى المدارِسُ يَبْكِى كُلُّ ذِى شَانِ
تَبْكِى المساجد إن نَادَى مُؤَذِّنُها   تبـكى المصاعد يَبْكِى كلُّ مَيْدَانِ
إمَامَ مَدْرَسَةِ التَّوْحِيـدِ خَاطِبَهَا   فَبَاسِمٌ ثَغْرُهَا فِى كُلِّ أَزْمَانِ
مُؤيَّدٌ لِبِنَا الْمَرْوِىِّ نَاشِرُهُ   مُبَارَكُ الوَجْهِ فِى يُمْنٍ وَإِيمَانِ
مهَذَّبٌ زَيَّنَ اللهُ البِـــلَادَ بِهِ   مُسَدَّدُ الرَّأْىِ حَامِى الدِّينِ عَنْ شَانِ(٣)
إنْسَانُ عَيْنِ وُجُودِ الوَقْتِ أَوْحَدُهُ   مَجَدِّدُ العَصْرِ فِى عِلْمٍ وَإِتْقَانِ
عَلِىٌّ المُرْتَضَى فِى أُمَّةٍ وَسَطٍ   مُخَاطَبِينَ بِكُنْتُمْ خَيْرَ ذِى شَانِ
بقَادِ[ىُ] الشَّيخِ مَنْ سَارَتْ[ذ] كَائبه   بِنَشْرِ عِلْمٍ فَأَرْوَى كُلَّ ظَمْآنِ
سَمْحُ الشَّمَائِلِ لَوْ قَابَلْتَ طَلْعَتَهُ   تَخَالُهُ فِضَّةً شِيبَتْ بِعِقْيَانِ(٤)
يَرْوِى الحقيقةَ مِنْ بَحْرِ الشَّرِيعَةِ ذَا الـ   فَيَّاضِ عِلْمًا كَذَا رُشْدِ[اً] الحَيْرَانِ
وَكَمْ بَنَى لِأُصُولِ الدِّينِ مَرْتَبَةً   فَاقَتْ لِمَا شَيَّدُوا مِنْ كُلِّ بُنْيَانِ
لَا تَبْغِيَنَّ بِهِ فِى عَصْرِهِ بَدَلًا   فَالشَّمْسُ تُغْنِيكَ عَنْ مِصْبَاحِ نِيرَانِ
[١٦ـا] /وَكَانَ فى الْوَقْتِ لَا شَىْءٌ يُقَارِبُهُ   وَهَلْ يَنَالُ الثُّرَيَّا مَسُّ إِنْسَانِ
فَخْرٌ لِزُمْرَتِنَا بَيْنَ الأَنَامِ بِهِ   كَمَا سَقَى الكُلَّ مِنْ إِبْرِيزِ بُرْهَانِ

(١) فى البيت إقواء لأن النون فى (غران) مرفوعة والنون فى القصيدة كلها مكسورة، ومفرد غران : الأغر وأصل الغر بياض بقدر الدرهم فى وجه الفرس، وهو من الرجال الذى أخذت اللحية جميع وجهه إلا قليلا كأنه غرة، وغران جمع أغر قال امرؤ القيس :

ثياب بنى عوف طهارى نقية   وأوجههم عند المشاهد غران .

(٢) فى البيت مخالفة لما عليه جمهور النحاة من إلزام الشاعر المثنى الألف والنون فى حالة الإضافة فالمشهور أن يقال (فقد فردين) مثنى فرد .

(٣) الشانى المبغض .

(٤) الذهب .

وَاسْتَنْجَدَ الدِّينَ أَحْيَانًا فَفَازَ بِهِ   وَقَلَّ تَقْلِيدُهُم بِشَمْسِ عِرْفَانِ(١)
وَسَيَّرَ الحَقَّ فِى الأَفَاقِ مُشْتَهِراً   مَسِيرَةَ الشَّمْسِ فِى بُرْجٍ لِمِيزَانِ
وَذَكَّرُوا الكُلَّ عَهْداً كَانَ مُنْدَرِساً   فِى عَالَمِ الذَّرِّ أَصْلُ كُلِّ إِذْعَانِ
الأَمْرُ لله هَـذَا شَيْخُ مَنْ عُقِدَتْ   تِيجَانُ عِزٍّ لَهُمْ فِى رِيفِ دَيَّانِ
وَاسْتَمْطِرُوا غَيْثَ أَيْدٍ أَنْتَ بَاسِطُهَا   عَلَى ضَرِيحٍ رَفِيعِ الْقَدْرِ نُورَانِى
جَزَاهُ رَبٌّ مِنَ الرِّضْوَانِ مَغْفِرَةً   تَسْقِى ضَرِيحًا لَهُ مِنْ ذَاتِ أَفْنَانِ
فَقَدْ صَبَرْتَ لِأَمْرِ اللهُ مُحْتَسِباً   وَالصَّبْرُ ذِكْرٌ أَتَى بِغَيْرِ عُنْوَانِ
وَالنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذَاكَ أَوْجَحَمَتْ   تُقَادُ رَغْمًا بِتَسْلِيمٍ وَإِذْعَانِ
يَاأَيُّهَا الْوَالِدُ المَيْمُونُ طَائِرُهُ   أَسْعَدتَ ضَيْفَ كَرِيمٍ فُزْ بِرِضْوَانِ
أَمْلَيْتُ فِيكَ مَرَاثٍ أَنْتَ مُرودُهَا   يَابَهْجَةَ الدَّهْرِ فِى عِلْمٍ وَإِتْقَانِ
لَا زَالَ قَبْرُكَ مَيْمُوناً لِزَائِرِهِ   وَأَنْتَ بِالله عِنْدَ الله ذا شَانِ(٢)
ثُمَّ الصَّلَاةُ على المختارِ سيدنا   مُحمد المُصْطَفَى مِنْ نَسْلِ عَدْنَانِ

نفعنا الله بهم جميعا ورحمهم آمين .

ومات فى تلك السنة عمنا الفقيه أحمد بن الفقيه منور ، وأخونا فى الله الحاج حسن رحمهما الله . وقد ماتا فى يوم واحد .

وأما ما كان من أمر محمد ولد ناصر ، فإنه لمـــا دخل الحلة قتل الفقيه الأمين بن المشا وزير عمه الشيخ إدريس ، وقتل ولد أبى النجا ، وتم الشياخة لابن عمه الشيخ محمد ولد رجب ، ومن تلك المدة صارت طاقية الهمج كملك الفنج ، بل صار الحل والعقد لوزيرهم ، وتزوج المذكور من نساء عدلان ، وحاز كامل نعمته ، واستولى على الوزر(٣) الأرباب قرشى وعبيد ناصر ، وأقام هو بكسلا ، فلبث قليلا ثم أتى سناز وقتل الملك رانق ، وصارت الحلة من غير ملك مدة شهور .

(١) كذا فى الأصل وفى البيت مخالفة عروضية .

(٢) فى الأصل ذى .

(٣) الوزر صحتها الوزير .

ثم أرسل الملك بادى الذى عزلاه الشيخ إدريس وعدلان ، وجاء به فملكه وأقام إلى حين حضور [١٦ ب] الدولة العثمانية(١) .

وأما الشيخ كتور فإنه قطع بإخوانه ومن معه وقدموا إلى صعيدهم ، وشاخ فى محله الشيخ بادى بن الشيخ عدلان صباحى شيّخه ولد ناصر وولد رجب على غير مرضى ولد رجب بسنار وولد ناصر بكسلا ، وقاما بقية سنتهما وخدما العرب على حالة غير مرضية .

فى سنة ١٢٢٠(٢) قدم الشيخ كتور بالصعيد ، ولحقه(٣) الشيخ محمد ولد رجب ، ومحمد ولد ناصر ، وقطع هو بالغرب بأم درمان وتراسلوا بالمصالحة ، ولم يحصل بينهم قتال ، ورجع هو بالشرق ، ورجعا هما بالغرب ، فنزل ولد رجب بالجديد عمران ، ونزل ولد ناصر بالحريز ، وافترقوا من ذلك المقام ، فقام ولد ناصر وتبعه ولد رجب ، فنزل هو بولد مدنى ، وتوجه ولد ناصر الى كسلا(٤) وظهرت بينهم الحرابة .

وفيها قبض الشيخ جماع ابن الشيخ الأمين ، قبضه أخوه ، ومات صبرا ولما دخلت سنة ١٢٢١(٥) قدم ولد رجب إلى الحرابة ، ونزل بولد بهاء الدين(٦) ، وقام إلى كسلا(٧) ، واقتتلوا بمحل يعرف بالهرّابة(٨) بجوار كسلا فقتل الفقيه زين العابدين بن الفقيه السيد ، وانهزم ولد رجب ، وتبعهم ولد ناصر وتحاصروا بمحل يعرف بالمزازى(٩) ، أشد محاصرة ، وخاف كل من

(١) فى الأصل العثمانلية .
(٢) عام ١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥/١٨٠٦ م .
(٣) فى الأصل ولحقاه .
(٤) سبق أن أشرنا إلى أن كسلا قد خربت ومكانها بالضبط غير معروف .
(٥) عام ١٢٢١ هـ = ١٨٠٦/١٨٠٧ م .
(٦) بهاء الدين واقعة فى منطقة سنار ، على خط عرض ١٣ر٤٨ وطول ٢٧ر٣٣ .
(٧) كسلا : هذه الحلة قد خربت فى عام ١٢٢٢ هـ على يد ولد إبراهيم كما هو موضح فيما بعد . (انظر ص ٦٢) .
(٨) الهرابة فى منطقة فى سنار ولم يرد اسمها فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية .
(٩) المزازى بالقرب من واد مدنى ، وهنالك أكثر من اسم المزازة فى هذه المنطقة .

صاحبه من المخادعات ، ولم يكن بينهم قتال ، وقدم ولد رجب إلى العليفون(١) ورجع ولد ناصر إلى محله ، وشيّخ حسين عمه الشيخ ، وأقام هو وعبيده فى لهو ولعب ومن معه من الهمج ، ووزيره الأرباب قرشى والشيخ عدلان شنبول ، وتفرقت منه كامل الحراب .

وأما ولد رجب فتراسلا مع أولاد أحمد وأولاد ولد سليمان ، لأنهم كانوا فى تلك المدة بشندى ، فقدم الشيخ كتور من الصعيد ، ونزل بأبى حراز وقدم الحاج سليمان وأخوته ، وأولاد شنبول خلا عدلان ، وعقدوا صلحا .

ثم قدم ولد رجب من العليفون ، واجتمعوا بابى حراز وتعاهدوا على القتال ، ومحاربة ولد ناصر وأظهر الكل الأمر .

وملكوا لهم ملكا يسمى عجبان ، ثم عزل ، ولم يتم له أمر ، وأما هم أقاموا على تلك الحالة ، وحصلت بين ولد رجب والشكرية وقعة مشهورة ، فأخذ منهم مالا عظيما ، وردوه منه مراتب البلد والحاج سليمان ، واتفق الكل على القتال ، فأقاموا بقية صيفهم بولد مدنى .

ولما نزل المطر ووقف أوانه قاموا إلى عبود طالبين وبالنطر موقنين وذلك فى سنة ١٢٢٢(٢) .

وأما ولد ناصر أقام بمن معه من عبيده وعبيد عدلان وبقية الهمج ، ولم يمبا بإنسان ، فلما كان شهر رجب الأصم من تلك السنة توفى ابنا الشيخ ناصر محمد أبو ريش وأخوه محمد القنجارى فى ليلة واحدة وصارت الحربة فى دهشة وحيرة ، ولكن فيها فرسان مجربة للحروب ، محمد ولد إبراهيم ، وأرداب ولد بادى وبيت ناصر ، [١٧ـا] وتماهدوا وتماقدوا على القتال .

وسبب موت أولاد ناصر ، قيل طبّهم واحد من الفلاتة اسمه أبو بكر وقتله عبيد ناصر فى يومه .

(١) تقع العليفون بالقرب من الخرطوم ، وهى على خط عرض ١٥ر٢٧ وطول ٣٢ر٤٤ .
(٢) عام ١٢٢٢ هـ = ١٨٠٧/١٨٠٨ م .

وقد حدثني من أثق به ، أنها دعوة من الولي الصالح الفقيه بدوى ولد أبي صفية ، لأن محمد كسر خاطره في شفاعة ، فلم يتم أمره فتوفى الشيخ محمد المذكور وترك له ولدا صغيرا وابنة .

وأما عائلة(1) عدلان ولد محمد ابنه ، لما مات ولد ناصر طمعوا في الملك دون غيرهم من الهمج ، فقاموا عليهم ، ولم يوافقهم على ذلك من الحاضرين أحد ، بل استبدوا برأيهم ، فتلقاهم العبيد بقلوب كالحديد ، واقتتلوا فانهزمت عبيد عدلان ، وجرح ابنه محمد ومسك أسيرا ، وأما المهزومون(2) تلقون الشيخ محمد ولد رجب فصار الكل أعمى يصير له المجنون قائدا ، فأقام(3) عبيد ولد ناصر بكسلا ، وفعلوا كفعلة أبي ريدة ، بل زادوا عليها .

وأما ولد رجب ومن معه فإنهم أيقنوا بالنصر والظفر ، وأقاموا من عبود حتى نزلوا بطيبة حلة قندلاوى(4) ، واجتمعت عليهم الحراب وكل من في قلبه شيء من الخراب ، فلما نزلوا بطايبة قويت قلوبهم ونشطت عزائمهم ، وعاهدوا من معهم من الهمج على الفراش بعد النصر والظفر ، فأقامت الحراب بقية شهر رجب وشعبان ، فلما آن أوان خروج الأرواح نادى مناديها ، واختلفت كلمتهم التي هم فيها ، وكانت بينهم المراتب بالمصالحة تجرى ، وعواقب الأمور لا تدرى ، فقامت حربة كسلا يوم الخميس لأربع وعشرين ليلة من شعبان ، وطلبوا ولد رجب ومن معه ، فأرسلوا لهم الفقراء أن الحربة قدمت عليكم ، فاستقامت الصفوف ، واشتهر كل بطل معروف ، فاقتتلوا فانهزم الشيخ محمد والشيخ كمتور ، وصار النصر باسم العبيد ، ولا يكن للملك ولا الهمج اسم ، وقتل في ذلك الحاج سليمان ولد أحمد صاحب الوقائع المشهورة والفراسة(5)

(1) في الأصل عيلة .
(2) في الأصل المهزومين .
(3) في الأصل فأقاموا .
(4) طيبة : حلة قندلاوى بالقرب من واد مدني .
(5) الفراسة : الفروسية .

المذكورة في كل البلدان ، وكان رحمه الله يقاسي أمورا لا يقدر عليها أحد غيره في تلك الأزمات ، وله مواقع عظيمة في كل بلاد ، وكان مهابا عظيما سخيا بماله ونفسه ، ومن جملة وقائعه أن سافر في سنة من السنين إلى دار غبيش ، وأخذ من الملك خيلا وظلمه ورجع ، وكان ذلك الظلم بواسطة واحد من أهالي البلد ، فلما قوى أمره أخذ خيله ، فوجد الملك موجودا ، فدخل عليه وهو لابس درعه ، فلما تمكن من الجلوس والملك في دولته وعظمته وحشمه ومعه ولده فاحتال عليه وأخذ من ابنه سكينا ، ثم رفع له عن الدرع ولما رآه طار عقله ، وقال له تخلصني مالي وإلا أقتلك ، فلم يجد بدا من الأمرين ، فأرهنه ولده ، فخرج به إلى منزله حتى جاءوه بالمال ، فكسا ولده وأطلقه .

[١٧ ـ ب] وأما الرجل الذي كان سببا في الظلم ، فقد ضعف حاله وصار في ذلة ، فأتاه بجماعة يتشفع به فقال له لو كنت أنت سابقا وأنا سليمان اليوم لكنت آخذ حقي منك ، وأما أنت فاليوم ضعيف ، فعفا عنه وسامحه وكان من هيبته مما حدثني به والدي الحاج أبو علي(1) أنهم جلوس في حارة جدة ، ومعهم رجل من أهل البلاد كبير السن ، فجاء الحاج سليمان مارا عليهم ، فسأل ذلك الرجل والدي ، فقال له : من هـذا ؟ قال : فقلت له من ولد العباس ، فقال : نعم ، والله من ولد العباس ، كررها ثلاثا ، وموافقة عظيمة جـدا ، فاست لها بحاصر ، وقتل معه أخوه الأمين في ذلك اليوم ، وذلك بعد انكسار الحراب ، وخرج هو سالما من المحاص ، فجاءه من أخبره بقتل أخيه فكر راجعا وحده ودخل الحرب ، ولم يقف دون أن وقف فوق أخيه فقاتل وتساقطت عليه الفرسان ، فقتلا رحمهما الله جميعا .

وأما الشيخ محمد ولد رجب فإنه نزل عبود ، وأقام بقية شعبان وشيئا من رمضان ، واجتمع معهم الشيخ شمام ولد الأمين ولحقهم العبيد ، وقاموا

(1) يشير كاتب المخطوطة إلى والده الحاج أبي علي .

إليهم ، واقتتلوا بمحل يعرف بالطِّليح[١] ، فاقتتلوا به فقتل إلياس ولد محمد ولد سليمان بن عم الحاج ، سليمان .

وكان فارسا شجاعا ، كاخوته الاثنين ، ولم يعبأ بأحد من السلاطين ومن قوة عزمه أنه قدم الحلفاية فى مدة الشيخ عبد الله ولد عجيب والشيخ المذكور يقال إنه كان أشول اليد ، وإذا أتاه أحد يسلم عليه يمد له ما يواليه من يمين أو شمال ، فلما قدم عليه الياس المذكور مد له يده الشمال والياس قد مد يمينه فجمعها إليه ومد له شماله وتناول بها يد الشيخ وسلم عليه ، فسأل عنه ولد عجيب فعرفه به الحاضرون فاستعظمها كل من كان فى المجلس .

وقتل عبد الرحمن[٢] ولد بدر من أولاد شنبول ، وانهزمت تلك الحراب وأما ولد رجب فقدم العليفون ، وأما الشيخ كتور وأولاد سليمان دفع الله ومن معه توجهوا إلى أبى حراز ، فقطع الشيخ كتور فى عصره وأقام دفع الله ولد سليمان ، حتى أصبح بالغرب للبحر ، وقطعت كامل الحراب ، ثم دخل هو البحر وقطعت مركبهم ، وإذا بالخيول فوق البحر ، فسلمهم الله ، ونزلت العبيد بولد المجذوب قبالة أبى حراز[٣] ، واشتغلوا بالملك وحدهم ، وفرشوا التيفرة فى محل الوزارة ، وصار كل واحد منهم متبوع لاتابع ، واندرس اسم الهمج ، كما أنهم درسوا اسم الفنج سابقا . فسبحان مالك الملك العظيم ، وقد يعطى من يستحق ومن لا يستحق « لا يسأل عما يفعل وهم يُسْألون » .

ثم ان العبيد وولد إبراهيم افترقوا من ولد المجذوب فى الظاهر من [١٨ ـ ا] الأتباع وفى الباطن الحرابة والإقطاع ومعه جماعة منهم بالخداع فأخذ منهم الإذن وذهب إلى بقاره فقتل منهم طائفة وأرسل إلى العبيد بالمال فى كسلا[٤] وعاهد

(١) غير معروف موضع هذه القرية ، يبدو أنها فى الجزيرة .

(٢) وردت فى ق عبد الرحان .

(٣) تقع أبو حراز فى مديرية النيل الأزرق بالقرب من الخرطوم وتقع على خط عرض ٢٩ر١٤ وطول ٣١ر٣٣ .

(٤) خربت هذه البلدة ولا يعرف مكانها بالضبط .

فزاره[١] وتوجه بهم إلى نحو الخرطوم فغار عليهم فزارة فقاتلوهم ثم ظهر هو فانهزموا وقتل الفقيه إبراهيم بن الفقيه محمد ولد على خليفة الفقيه أرباب الخشن ونهبوا أموالا ثم توجه إلى نحو الصعيد ونزل بعبود ، وأما العبيد فإنهم قاموا بكسلا فى سكر وبَطَر وظلم أشد من ظلم سيدهم الشيخ ناصر ، وقد هتكوا حرمات الصالحين إلا من حماه الله رب العالمين ، وقد ضجرت البلاد وضجت العباد وتضرعت إلى الله تعالى من كثرة الفساد ، فأجابهم من يجيب المضطر إذا دعاه ويرحم الداعى ، ويكشف بلواه ، فأهل لنصرتهم محمد ولد إبراهيم وكان فى ذلك الوقت نصف رجل ولكنه ذا عزم صميم فأقاموا بعبود وأرسل الحراب بالمخادعة فأجابوه ، فمنهم من خرج إليه وتلقاه ، كالأرباب قرشى وبان النقا ، وغيرهم ، ومنهم من عقد معهم عدم المقاتلة وحين ملاقاة الصفوف يخرج إليهم .

وأما العبيد فلما تحققت لهم الحرابة وخرج قرشى ومن معه تبعوه قليلا فلم يدركوهم فرجعوا إلى سنار وأسروا أولاد رجب بادى وإخوته ورجعوا إلى كسلا سكارى حيارى ولكنهم مصممون على القتال مويسين [يائسين] من الحياة بلا محال ، فعاهدوا ولد عدلان وفكوه من الحديد ، وقالوا له : نعطيك اسم أبيك فعاهدهم وغرهم وتخلب بالباطن منهم رئيسهم[٢] تيفره وكانت له مع الهمج يد .

وأمّا ولد إبراهيم قام عليهم فى آخر الصيف وارتحل من عبود حتى نزل بالدومة[٣] ، فالق الله فى قلوبهم الرعب وتفرقت كلمتهم فلما أصبح الصباح أتى إليهم فبرزوا للقتال .

أما ولد عدلان فالتم ببنى عمه وكذلك تيفره على عقده وعزمه وأما «أودون»[٤] وزايد وأولاده وبقية العبيد التمسوا القتال فقتل دوكه ولد عجبون وخذل الباقون

(١) قبيلة فزارة .

(٢) فى الأصل : ريسهم .

(٣) الدومة القريبة من عبود تقع على خط عرض ١٩ر١٤ وطول ٤٠ر٣٣ .

(٤) اودون يحتمل أن يكون عوضون .

فوقعوا عند الفقيه حامد فقبضوهم أسارى وسلبت منهم تلك النعمة ، وأبد لهم الله بالذل والنقمة فخرب ولد إبراهيم كسلا[١] وفك أولاد رجب الأسرى ونزل سنار وأخذ معه العبيد ثم قتلهم وسلب الله ملكهم وأوقدوا نار الهمج بعد خمودها وجدد ما اندرس فى زمانهم من عهودها ، وتم عمه الشيخ حسين وملكه الملك بادى وصفا العيش للمسلمين بعد الكدر فأقام الهمج فى أيامه وانتظم الملك باسمه وعمَّر بطيبة حلة قندلاوى ثم انتقل منها إلى أم ضريسه لأن سنار من يوم قتل عدلان توازى لهم فيها المحن والجان .

وأما ما كان من الشيخ محمد ولد رجب فإنه قدم من العليفون إلى أبى حراز وقتل بهايم من نواحى القادنية فاتوه المركيون[٢] ، وأخبروه أن [١٨ ـ ب] المال لهم فدفعه إليهم ، ثم أغلظوا إليه فى المقال وكثر بينهم القيل والقال ، فتشفع إليهم ولم ينفع الحذر إذا وقع القدر ، فازدادوا عليه فى المقال ومع ذلك يظهر لهم الذل والانكسار ، فلم يرجعوا حتى أتوه بالسلاح فركب وطاب[٣] قبة الشيخ دفع الله وشكا إليه ما حل به من أولاده ، ثم رجع إليهم وهو فى قلة ومعه كنو أخيه نصير واللاذى ، واشتد الكرب والبلاء فقتل من أعيان المركين الشيخ أبو عاقله بن الشيخ يوسف والشيخ دفع الله ولد الصَّامُوتَه وانجرح أبو عاقله بن الشيخ محمد وقتل من أهالى أبى حراز جم غفير ، وجرح منهم الكثير ، وانهزموا هزيمة عظيمة ، لم تقع منهم فى الأوقات القديمة ، لأنهم فرسان معروفون وبالشجاعة محققون ، وإنما ذلك بركة أجدادهم لسر لا يعلمه إلا الله تعالى ، فلو أراد الله قتل الشيخ محمد بأيديهم لكان وكانت بينهم وبين الهمج ما لا يوصف من المداوة ، فأنقذهم الله من دمه وذلك نعمة فى زى نقمة فخرج منهم طالبا إلى أولاد أحمد بالطرفاية .

(١) هذه نهاية بلدة كسلا ولا يعلم مكانها بالضبط .
(٢) وردت فى ق المركين والصحيح ماهو مثبت فى المتن .
(٣) المقصود بذلك أنه استنجد بهذا الشيخ .

وأما إخوته وولد إبراهيم لما جاءهم الخبر بأن المركين قتلوا الشيخ تأهبوا لمحاربتهم ومقاتلتهم حتى أتاهم نصره عليهم وفرحوا به وانشرحت صدورهم وأقاموا مما هم فيه من التأهب وكانوا فى ذلك الوقت بجبل سقدى[١] فى خدمة العرب رفاعة فآثر بها نفسه ووزيره ومن معه وأما بنو عمه وكامل العساكر من ذلك المحل تفرقوا على غير رضى كما قال تعالى « تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى » فكل منهم مضمر الشر ونزلوا من ذلك المقام .

وأما الشيخ محمد لما تخلص من المركين قام إلى نحو الشيخ كتور بالطرفاية[٢] فلما وصل عنده تراسلوا مع ولد إبراهيم وعقدوا الرأى على قبضه فأرسلوا (له) بعض إخوانه ومسكوه أسيرا ، وأرسلوه إلى بنى عمه بطيبة فتوجهوا به إلى سنار وسلموه إلى محمد ولد عدلان فى قتل أبيه فقتلوه رحمه الله .

وأما محمد ولد إبراهيم فلما رأى من عساكره من تغير الخاطر واختلاف كلمتهم جمهم ، وطلب بهم الدندر[٣] ليشغلهم عما هم فيه أو يعطيهم ما لا من القبائل ولم يصح قصده وتمنيه فوقع فى الفقراء أولاد ولد أبيض وقتلهم وخرب الدندر ونهبوا منه أموالا ورجعوا .

وأما محمد ولد عدلان فتأسس فى الحرابة وساعده فى ذلك الأرباب دفع الله ، والفقيه مدنى ، وولد العباس وزير الشيخ محمد رجب ، فلما رجعوا إلى سنار ، وتفرقوا بحلالهم ، وسعوا فيما كان فى بالهم ولكنهم متفرقون كل أحد بمقام .

فأما دفع الله وولد العباس فلازمون للديوان ، وأما ولد عدلان والتمام فى حلالهم ، ولما أراد الله إظهار أمره المحتوم وقضائه المبروم ظهر أصحاب السر ، وعرف به الشيخ محمد ووزيره الأرباب قرشى فاجتمعوا بحلة ولد إبراهيم[٤]

(١) يقع جبل سقدى بالقرب من سنار ، على خط عرض ٣٠ر١٣° وطول ١٠ر٣٣° .
(٢) تقع الطرفاية فى منطقة سنار ، على خط عرض ١٩ر١٣° وطول ٣ر٣٣° .
(٣) لا يعلم موضعها بالضبط ، وتوجد الآن محطة سكة حديد بهذا الاسم وهى على خط عرض ١٩ر١٣° وطول ٠٠ر٣٤° .
(٤) اختفى اسم هذه الحلة ـ وكانت بالقرب من واد مدنى .

[١٩ ـ ٨] أما دفع الله ولد أحمد فإنه أحس بالخبر وتوجه إلى نحو سابع دوليب(١) فقطع شرقا .

وأما ولد العباس فلمـا مسكوه صبر صبر الـكرام وتـكلم معهم كلام من أيقن بالحمام ، وترجل ، وحد حدود القرشى ، وقال له : إنك لا تقيم بعدى أياما ؛ ويقال إنه لما جاءوا به للقتل قال للذى جاء يقتله أمك عندها ابن غيرك ؟ فقال لا قال ارجع عنى فتولى قتله غيره وقيل إن يده قطعت فى وقتها .

وأما ما كان من ولد إبراهيم وقرشى فإنهـم قاموا من وقتهم ونزلوا بحلة ولد بهاء الدين(٢) وأرسلوا إلى ولد عدلان من يأتيهم به من حلته برقوا فى الوقت والحين فلما جاءه الرسول خرج إليهم مجبورا مقهورا وأخـذ من معه من عبيده وركب على جواده ، ولـكن ثقته بأصحاب المخادعة معه ، وهم عبيد الشيخ ناصر التام ، فلما وصل إليهم بولد بهاء الدين بالخلوة هددوه وفى أيديهم أسروه فبادر إلى قتله رجب ولد على قمنه ولد إبراهيم ؛ فلما سمعت ذلك عبيد التام حنوا على عبيد عدلان التراب ، فـكروا على جماعة ولد إبراهيم فأول من قتل منهم حسان ، وهو من المشهورين الفرسان ، فهزموا ، فطلبوا ممن كان بالخلوة خروج محمد ولد عدلان فامتنعوا أولا ، فصاحوا عليهم بالنار ليحرقوهم الجميع ، فعند ذلك أرسلوه إليهم ثم طلبوا منهم السيوف فأعطوهم إياها وصاروا حـ(٣) مأسورين بعد أن كانوا آسرين ، فتحول الملك من تلك الساعة إلى محمد ولد عدلان ؛ وذلك فى سنة ١٢٢٣(٤) شهر جماد آخر فأخذوهم أسارى ، وتوجه بهم إلى برقوا(٥) ؛ أما قرشى فأول وصولهم لم يمهلوه ، ولم يخاطبوه بغير الحسام ، فقتل ، وتحولت الأشياء حتى أن مغنيهم تحول معهم وقال هاجيا لأصحابه

(١) تقع سابع دوليب فى منطقة سنار ، على خط عرض ١٩ر١٣ وطول ٣٩ر٣٣ .

(٢) تقع حلة بهاء الدين فى منطقة سنار على خط عرض ٤٨ر١٣ وطول ٢٧ر٣٣ .

(٣) حـ : اختصار حينئذ .

(٤) شهر جماد آخر سنة ١٢٢٣ هـ = يوليه / اغسطس سنة ١٨٠٩ م .

(٥) موضعها غير معروف .

يلحجون قـوله « نقل الـكرجه بان وقت الحيول ضافنه فى وجـه المسيد حتى البنات شافنْ [شافن](١) قلع مشق النيرة الطلع فنّه كسر مركب البوص حتى الدفف خافنّه » وغير ذلك . هـذا ما كان من هؤلاء . ولما سمعت كامل الحراب التابعين لولد عدلان الذين كانوا بالشرق هاربين مع الشيخ كتور أتوه مسرعين وعليه خائفين وفى ماكه راغبين ، وهم الأرباب دفع الله ولد سليمان ، وفرج الله من أبكار عدلان ، ورجع دفع الله ولد أحمد مما كان فيه ، وانتقل المذكور إلى سنار ومعه ولد إبراهيم مأسورا ، ولـكن لم يضع فيه حديد لأنه متوجع مريض ، فأقام بسنار بحوش عمته مهيرة محبوسا ولـكنه متربص بهم الدوائر وإلى هلاكهم مناظر .

ولنرجع إلى ذكر محمد ولد عدلان ، ونذكر إن شاء الله الكريم ما حدث فى مدته من موت الصالحين وظهورهم ، وما حصل له من الأمور [١٩ ـ ب] والوقائع ونذكره على حسب الإمكان من غير ترتيب ، و[كذلك] سبب موته والله أعلم.

لما تولى الأمر محمد ولد عـدلان فى ٢٣ ج [جمادى الثانى] السنة المذكورة والتمس الناس مرض يسمى الـكلك التماسا ضعيفا .

وفى سنة ١٢٢٤(٢) نزل المرض كثيرا ، واشتد على كل النواحى ، وسنذكر من مات فيه من الأولياء والصالحين ، ومن أهل العمارة فى البلاد من تجار ، ومزارعـين ، وغيرهم مالا يحصى ، وقد سُدّت فيه بعض البيوت وخربت الحلال وفيها قدْ مَنّ الله علينا بابننا محمد فى شهر القعدة ، وحصلت فى تلك السنة هـدّة عظيمة وعُمّت البلاد بالرخاء ، ومات فيها الولى الصالح الحاج محمد ولد نورين بحـلة أبى خُرْس ، وهو ذو كرامات كثيرة ، فهو محمد بن إدريس ، وأما نُورين جـده لأمه فاشتهر به وكان رجلا طويل القامة ، أزرق اللون ، أشل اليد اليمنى ، قد ضربه عليها سارق ، ونفذ ، ثم عاد ببركته بعد مدة ،

(١) مابين الحاصرتين من ف .

(٢) عام ١٢٢٤ هـ = ١٨٠٩ م .

تحت عنقريبه وكان رحمه الله وافر الحظ عند الحكام والفلاحين قاهرا للظالين لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وكان إذا حصل خوف من السلطنة تجتمع عنده الخلائق فلم يقدر أحد يتعرض لواحد منهم(١) ، وكان من بركاته ، له حفرة معلومة يتوضأ فيها فما أصابت أحدا علة ووضعوا عليها من طين تلك الحفرة إلا عوفى بإذن الله ، وهو صاحب كشف ، فكان ذات يوم من الأيام توجهنا إلى سوق شاذلى ، ورجعنا من السوق ، وقصدنا زيارته وتكلم بعض من كان معنا قبل الدخول عليه فقال : إذا كان الفقيه محمد يعطينا سورج أحمر ، فلما وصلنا وسلمنا عليه واستقررنا(٢) بالجلوس أمر بعض تلامذته وقال له ادخل وهات سورج أحمر فأتى به ، فقال له زده فأكلنا منه على قدر الكفاية ، وانصرفنا وكان من طبعى أن السورج الأحمر إذا أكلته يحصل لى منه انتفاخ أو ما يخالف المزاج ، فمن ذلك اليوم بفضل الله وبركاته لم يحصل فيه إلا الشفاء ، وكان كل من أتاه من مقاديم العرب الذين معه يهابه ويمفا من حقه ، وكنا سنة قتال ولد ناصر ، والشيخ محمد ولد رجب وانهزم ، حصل علينا بعض ضرر من جماعة ولد ناصر ، فركبنا أنا ووالدى الحاج أبو على وبيّتنا عند المذكور متوجهين نحو بلاد السافل فسأله والدى وقال له : ما حصلت لك رؤيا ؟ فقال أنا ما رأيت شيئا ، ولكن [السلطان](٣) آدم رأى رؤيا ، وقصها علينا ، فقال: كأنه رأى ثلاثة أقمار تأتى من جهة السافل ، ويأتى إليهم قمر واحد من الصعيد فالواحد يحاول الثلاثة ويخسفها ويرميها بالأرض ثم يضىء ضوءا خفيفا فتأتيه سحابة فتغطيه ثم ينكشف ويضىء ضوءا كثيرا ، ثم يقع فى الأرض ويترك عليه جراد ، فقال له والدى بم أوّلتها ؟ قال له [٢٠ ـ ا] ما أولتها وحولها على غيره ولكن حضر رزوق أخو أبو الحسن وقال له : الأقمار الثلاثة ، ولد رجب

(١) بدأت صفحة ٢١ ب من ف من لفظ وكان . . . (انظر ص ٤٤) .
(٢) فى الأصل : استقرينا .
(٣) مابين الحاصرتين من ف و ا .

وكتور ، وأولاد الأمين ، والقمر الواحد ولد ناصر يقاتلهم ويغلبهم والسحابة أمر يصيبه والضوء الثانى ولد عدلان، فكان الأمر كذلك فبعد وقوع ولد عدلان جاءت الدولة العثمانية [وله كرامات لم نطلع عليها ، وليس هنا محلها ، وهو صاحب أوراد وعبارات ، وأخذ منه الولى الصالح الفقيه المصرى ولد قنديل(١) علم تجويد القرآن وله باع طويل ، وهو آخذ من الولى الكامل الفقيه حسن سكيكرة(٢) نفعنا الله بهم أجمعين .

وتوفى فى ذلك العام ولى الله الملازم لتلاوة القرآن ودلائل الخيرات الفقيه محمد بن القطب الشهير الفقيه أحمد حماد(٣) ، وتوفى فيها حافظ المذهب والشريعة المحقق المحرر العالم الربانى شيخ الإسلام فريد العصر الفقيه محمد ولد ضيف الله(٤) بالحلفاية ، وله تآليف جليلة ، منها كتاب طبقات الصالحين الذى ما سبقه عليه فى بلاده أحد من المتقدمين [والمتأخرين](٥) وشرح ابن عطاء الله ، وله أيضا نبذة فى السّير . وقد رثاه بعض محبيه الفقيه الكامل إبراهيم عبد الدافع(٦) نائب الشرع بالخرطوم ، وهو من فرسان هذا الميدان ، فقال :

أَظَمْآنُ عِلْمٍ يَطْلُبُ الرُّشْدَ وَالهُدَى ... لَعَمْرُكَ أَضْحَى شَمْلُهُ مُتَبَدِّدَا
دَعِ الْعَيْنَ تَبْكِى دَهْرَهَا بِتَوَجُّدٍ ... عَلَى غَيْضِ بَحْرٍ كَانَ بِالْعِلْمِ مُزْبِدَا
هُوَ الْحَبْرُ نَجْلُ الْحَبْرِ ضَيْفِ إِلَهِنَا ... لَقَدْ حَازَ فَخْرًا فِى الْأَنَامِ وَسُؤْدَدَا

(١) لم نعثر على ترجمة حياته .
(٢) لم نعثر على ترجمة حياته .
(٣) لم نعثر على ترجمة حياته .
(٤) ترجم له مكيكل فى كتابه تاريخ العرب فى السودان وكذلك ترجم هلسون ملخصات من طبقاته فى مجلة السودان Sudan Nots &Qunos فى رسائل ومزودات فى المجلدين السادس والسابع ـ وترجم حياته أيضا ريتشاردهل فى كتابه قاموس تراجم سودانية ، انظر المقدمة .
(٥) مابين الحاصرتين من ف ، يبدو فى هذا القول الكثير من المغالاة .
(٦) انظر ترجمته فى قاموس تراجم سودانية لريتشاردهل .

هُوَ الْعَالِمِ المشهورُ والمَلَم الَّذِي ... بِهِ يُرْشِدُ الْهَادِي إلى سُبُلِ الْهُدَى
وَإِنَّك إِذْ مَا تَأْتِهِ لقَضِيَّةٍ ... تَجِدْهُ مُبِينًا لِلصَّوَابِ وَمُرْشِدا
وَيُنْبِيكَ بِالأَخْبَارِ مِنْ عَهْدِ آدَمٍ ... إِلَى زَمَنٍ قَدْ مَاتَ فِيهِ وَأَلْحِدَا
كَرِيمُ طِبَاعٍ ثُمَّ سَمْحُ شَمَائِلٍ ... بِأَسْلَافِهِ الْمَاضِينَ فى ذَلِكَ اقْتَدَى
وَيَكْفِيهِمُ إِذ سُمُّوا ضَيُوفَ إِلَهِهِم ... نَبَاهَةَ دُنْيَا ثُمَّ بُشْرَاهُمُ غَدَا
وَضَيْفُ كَرِيمِ النَّاسِ يمشِي مُكَرَّمًا ... فَكَيْفَ بِضَيْفِ اللهِ يَتْرُكُهُ سُدَى؟
فَحَاشَا وَكَلَّا أَنْ يُظَنَّ بِهِ عَلَا ... سِوَى الجُودِ وَالإِفْضَالِ وَالخَيْرِ وَالنَّدَى
وَصَلِّ إِلَهِى ثُمَّ سَلِّمْ عَلَى الَّذِي ... خَتَمْتَ بِهِ رُسْلًا وَآتَيْتَه هُدَى

وكثير من مات فى تلك المدة مما لا يمكن ذكره هنا ، وهو مرض مشهور .

وأما ما جرى له فى نفسه [٢٠ ـ ب] فإنه لما أعطاه الله الأمر ، واجتمعت عليه جيوشه ، وآن أوان خدمة العرب الذين فى خدمتهم سبب هلاكهم ، اجتمعوا بسنار وأمر ولد عدلان أولاد رجب وأولاد حسين وكامل الحراب أن يخرجوا إلى حلة شاذلى(١) يتحروه بها ، فلما نزلوا بها جاءهم الأرباب دفع الله ولد سليمان وعلى ولد إلياس فأكرموهم ورحبوا بهم بغاية الإكرام ، وباتوا جميعا فلما أصبحوا قبضوا المذكورين وعينوا الحرابة ، وقاموا طالبين ولد عدلان بسنار فأتاه الخبر قبل وصولهم ، فجمع من معه من أولاد بيته وعاهد الملك ومعه التمام فتحرامهم بقلب من حديد وبأس شديد وحرب يهول منه الصنديد ، وما معه أحد من بنى عمه إلا العبيد ، فخرج إليهم برأس الدبة بعد صلاة العصر عند العالم الولى الكامل ولد صبر ، فصبر لهم ومن معه صبر الكرام ، ويقال إن خيله لم تزد على الثلاثين إلا أن بها فرسانا معروفين ، وفى قتالهم مجربين وهم التمام وغيرهم من عبيد الشيخ ناصر جوهر الكرام ، فاقتتلوا ، وانهزمت أولاد رجب ومن معهم من الجيوش العديدة ورجع هو إلى سنار بملكه ومعه الشيخ حسين .

(١) سبق أن أشرنا إلى موقعها :

وأما دفع الله ولد سليمان فإنه لما أقيمت الصفوف وهو راكب على بعير وخلفه من يحفظه فضربه فى صدغه ، وخر من ظهر البعير ، ودخل هو فى حربة ولد عدلان وتخلص .

ثم إن ولد عدلان لحقهم وتراجعت عليه الحراب فأقام بام جدلة(١) ، ولحقهم الشيخ حسين وعاهدهم ورجع بهم إلى ولد عدلان ورجع الجميع إلى سنار ، وأقاموا على سيرة غير مرضية فبين محموم ومغموم ، وبين مفتكر ، وللعواقب منتظر ، فأخذ كل من الفريقين الحذر من الآخر وحقد لهم هو حقد الجمل ، وافتكر صنيع الكل فى قتل أبيه فى الأيام الأول .

ثم فى سنة ١٢٢٥(٢) والله أعلم لما آن وقت خروجهم لملاقاة رفاعة(٣) وهى التى تهيج منها الفتن ويظهر فيها كل امرىء ما بطن ، أمرهم بالخروج إلى الكدرو(٤) وهو مقيم بسنار ، فوسوس لهم الشيطان وحدثهم بعض الفقراء الخلان أن محمد ولد عدلان يقتل فى شهر أبيه رمضان ، فانتظروا ذلك ، وهم متربصون لما هنالك ، فوافق المقدور وكانت الجمعة أول ليلة من رمضان كما كان ذلك أول الشهر الذى قتل فيه عدلان ، فسمع بهم المذكور وهجم عليهم بالكدروا(٤) فأخذهم أسارى وهم أولاد رجب ومحمد من الشيخ إدريس وتوجه بهم إلى شاذلى .

وأما حسن ولد رجب فإنه مقيم بحلة زايد(٥) فبعث إليه محمد ولد إدريس كُبُّه فى رأس سرية فلحقوا به ، فتلقاهم بقلب من صخر وثبات بلا ضجر وقاتلهم قتالا شديدا ثم هجموا عليه وجرح وأخذوه أسيرا [٢١ ـ ا] ولحقوا به ولد عدلان بحلة شاذلى .

(١) غير معروفة :
(٢) عام ١٢٢٥ هـ = ١٨١٠ م .
(٣) قبيلة رفاعة .
(٤) الكدروا : شمالى الخرطوم وهى على خط عرض ١٥٫٤٦ وطول ٣٢٫٣٤ .
(٥) حلة زائد غير معروف موضعها :

وأما محمد ولد إبراهيم من مدة(١) مقيم بالمناقل(٢) وتربص بهم [برقيقة](٣) الدوائر ، وهو ذو عزم .

وأما محمد ولد عدلان توجه إلى المناقل وأقام بها فقتل محمد ولد إبراهيم ، وأرسل بادى إلى المسلمية(٤) صحبة الأرباب دفع الله سامان ، وأخذ بقية الأسورين وتوجه إلى البحر الأبيض فأقام هناك وأرسل إلى كل من كان فى قلبه منه شىء لجمعهم وأرسل إلى بادى فقتلوه بالليل ، فأصبح ميتا بغير سلاح ، ويوم موته كان إدريس ابن الشيخ بادى من المتهمين ، فصاح المنادى إن إدريس قد جاء واقع فوق دفع الله ، فخرجوا لقتاله فى موكب عظيم ومحفل جسيم ، واجتمع البلد وبرزوا فى ذلك [المحل](٥) إلى نصف النهار ولم يدفن بادى إلا بعد العصر ، وأما هو فقتل من عنده إلا حسن لأن عادة الله [تعالى] فى خلقه ما أحد(٦) قتل قتيله فأبقاه الله لذلك الأمر ، وأرسل أيضا إلى عبيد الشيخ ناصر وابن ابنه نقبضهم الجميع وقتلهم وقد هواهم بذلك فسبقهم إليه وشفا صدره مما فيه وعليه فلما قتل هؤلاء الصناديد واطمان قلبه عزم على الرحيل إلى واد مدنى وأقام بها مدة .

وأما ولد رجب ولد على فإنه مقيم بسنار ونواحيها فوسوس له الشيطان وساقه بعض الخوّان فهجم على على ولد إلياس وهو من خواص ولد عـدلان ولحق به أياما واشتهر فيها وهو من الذين فى تدبير ملك ولد عدلان هو والفقيه مدين ولد العباس والأرباب دفع الله ولد أحمد .

ولنرجع إلى ما صنع رجب ولد على فإنه أتاه فى حلته ليلا ، وقبضه وجرح أحمد أخوه ونهبوا حلتهم ، ودخل به سنار إلى الملك ، فلم يطاوعه وساعده فى

(١) فى الأصل (منمدة) .
(٢) تقع المناقل جنوبى واد مدنى على خط عرض ١٥ر١٤ وطول ٠٠ر٣٣ .
(٣) مابين الحاصرتين من ق .
(٤) تقع المسلمية غرب واد مدنى ، على خط عرض ٤٣ر١٤ وطول ٢٧ر٣٣ .
(٥) مابين الحاصرتين من ق .
(٦) فى الأصل لم أحد .

ذلك الشيخ إبراهيم ولد رحمه ولد كتفاو والشيخ صباحى شيخ القوارية(١) فنزل عليهم الشيخ فرج الله من حلته المسماة المريجة(٢) بحربته ومعه حسين ولد عوض الله من خواص ولد عدلان وهو الذى شجع فرج الله على القتال وقاموا إلى سنار واقتتلوا ، فقتل الشيخان وانهزم رجب إلى نحو سيرو(٣) ثم قطع إلى الشرق وأقام بالطرقاية [فمات بها](٤) رحمه الله [تعالى] وقيل محموما وقيل مطبوبا .

وأما ولد عدلان ففى مدته تلك عاهد حسن ولد رجب وفكه من الحديد واصطفاه ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

وفى سنة ١٢٢٦ فى دولة المذكور وقع قتال الجميعاب والسمداب وقتل الأرباب بان النقا ، وكان رجلا كريما شجاعا ملازما للصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام . وقتل معه من أولاد الفراش جماعته رحم الله الجميع وانكسرت السمداب وصارت من ذلك الوقت للجميعاب شوكة وقوة ، وهابتهم جميع القبائل والسلطنة .

وفى سنة ١٢٢٧(٥) توجه محمد إلى خدمة رفاعة بنواحى موية وخدم العرب [٢١ ـ ب] وانكسر منهم اللبيج فلحقته الحربة فقتلوا طائفة من العرب وغنموا منهم الأموال ونزل هو بجبل موية(٦) المذكور وتفرقت العساكر بالمال المغنوم وقتل فيها بحلتنا الكويواوى(٨) رجل من جماعة فرج الله فنهبت الحلة وتفرقت ، وسافرنا فيها إلى العزيز(٧) وأقمنا به مدة ثم رجعنا بالشرق واجتمعنا

(١) القوارية : الفور .
(٢) لم نعثر على موضعها .
(٣) تقع فى منطقة سنجه جنوبى سنار وهى على النيل الأزرق ، الكلمة يونانية الأصل ومعناها « المخزن » انظر كتيب النفوذ اليونانى فى حوض النيل الأزرق (بالإنكلزية) للناشر طبع الخرطوم ١٩٤٥ .
(٤) مابين الحاصرتين من ق .
(٥) عام ١٢٢٧ هـ = ١٨١٢ م .
(٦) جبل موية بالقرب من سنار .
٧ و ٨ لم نعثر على موضع الحلتين الكويواوى والعزيز .

بالسيد الجليل الشريف محمد بن رحمة الله ، وهو ولى صالح وعاش عمرا طويلا صاحب كشف ودعوات مستجابات .

وفى سنة ١٢٢٨(١) قطع محمد المذكور الشرق وأقام بالطرفاية ، وأتاه الشيخ خليفة والأفندى الذى معه وهو أول جاسوس ظهر من العثمانية(٢) ببلادنا وظهر فيها نجم له ذنب وظهر الغلاء المشهور بجبص ، واشتد على الناس ، وبذل فيها جهده فى مشترى العيش وإنفاقه واشتهر فيها الأرباب دفع الله ولد محمد بذلك ، فسبحان الموفق لمن يشاء من خلقه لما شاء .

وفى سنة ١٢٢٩(٣) توفى العالم النحرير الشيخ حسن ولد بان النقا(٤) ، المشهور بالعلم والتقى وله تآليف فى الكتب وفراسة فى كل فن ، وله خزانة كتب عديدة وكلها ضاعت فى زمن دفتر دار بيك حتى امتلأت منها البلاد ، وفيها أى سنة ١٢٢٩ المذكورة فنجر — أى هرب — الملك بادى إلى أولاد أحمد ، وكان محمد ولد عدلان مقيم [فى تلك المدة](٥) بحلة عبود متوجه إلى ولد عجيب والشيخ ناصر الأمين فقام الملك إلى أولاد أحمد وهو بالشرق وقام محمد بالشرق أيضا وأقام بالجزائر ولد أم دكولة بلدة معروفة [بخشم البحر](٦) واجتمع أولاد أحمد بحلة يقال له الكُبُر فى وسط أشجار وأوعار شديدة وأقاموا بها واشتد الحصار ، إلا أن محمدا ولد عدلان صاحب رأى وتدبير ، وله بواطن مع الكماتير ، لأن المعروف لا يعقبه متلوف ، فسعوا بالإصلاح ، وساق الله تعالى رأيهم إلى صلاح فحقنوا دماء المسلمين ثم إن ولد عدلان قطع بحربته بعد

(١) عام ١٢٢٨ هـ = ١٨١٣ م .
(٢) لم يكن جاسوسا بل كان رئيس بعثة إلى سلطان سنار للعمل على مقاومة المماليك الذين هربوا من مصر إلى السودان : انظر كتاب معالم تاريخ سودان وادى النيل للناشر ص ١٢٧ وبوركهارد رحلة فى بلاد النوبة ص ٣٠٨ .
(٣) عام ١٢٢٩ هـ = ١٨١٣/١٨١٤ م .
(٤) لم نعثر على ترجمة حياته .
(٥) مابين الحاصرتين من ف .
(٦) مابين الحاصرتين من ف .

أن دار الصلح بينهم وتحقق قطع وأقام بسيرو ، وتوجه للمصالحة الأرباب(١) دفع الله من سليمان وولديه الخضر ويوسف وسعوا فى رد الملك إلى سنار ، وتعاهدوا وتعاقدوا على ذلك فقام ولد عدلان راجعا إلى سنار .

وأما أولاد أحمد فأصلحوا حال الملك وتوجه معه منهم الحسن ، والفقيه الكامل فوزير الشيخ كتور ، فدخلوا به سنار ولاقوه بالبشرى والترحيب ، وفى تلك المدة عقدوا لولد عدلان على ابنة الشيخ كتور ، وكل ذلك لإطفاء نار الحرب والشر ، وكان فى الأزل إنفاذ المقدور فأكرمهم ولد عدلان ، ووجه معهم الأرباب أحمد بن المرحوم الحاج سليمان وكان قد حضر معهم الحرابة وبسببه وصل إليهم من قبلها فلما صارت الحرابة حلف ألا يتعداهم ، وأقام معهم على تلك الحالة حتى أصلح [٢٢ — ا] الله الحال وهذه خصائل الرجال أهل الوفاء فى المقال والفعال .

وفى سنة ١٢٣٢(٢) دخل بجزيرة سنار العالم الربانى أعجوبة أهل الزمان ، وختم أهل العرفان السيد محمد عثمان تلميذ السيد أحمد بن إدريس نفعنا الله بهما وببركة جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل منهما له مناقب جليلة وكرامات جزيلة فلما جاء رضى الله عنه من دنقلة نزل إلى كردفان وأقام بها ما شاء الله ودعا أهلها إلى طرقه(٤) [طريقته] فتبعه كثيرمن الناس لما رأوا من بركته وصلاح حاله فداخل حينئذ(٥) بعض الناس الحسد ، ورموه عند مسلم الحاكم ، فقابلوه بكل قبيح وآذوه حق الإيذاء ، فصبر هو ومن تبعه على ذلك حتى إنه رضى الله عنه أخذوا الفراش الذى تحت يده وأوصى تلامذته وأخبرهم بهذه القضية قبل حلولها وأمرهم بالصبر ، ثم إنه توجه إلى سنار فكان أول دخول الجزيرة نزل بحلة شاذلى ، ودعا الناس إلى طرقة [طريقته] وكانت سنة الله فى الخلق ما بين الصدق والكذب ولا سيما فى أمر إصلاحهم إلى الله تعالى فمنهم من أخذ

(١) الأرباب لقب من ألقاب الزعامة أو الرآسة .
(١) عام ١٢٣٢ هـ = ١٨١٦/١٨١٧ م .
(٣) انظر ترجمة حياته فى ربنشاردهل قاموس تراجم سودانية ص ٢٧٨ ؛
(٤) طرقه مقصود بها طريقته .
(٥) فى الأصل حـ رمز اتبعه الناسخ للدلالة على كلمة حينئذ ؛

ومنهم من توقف ، ثم ارتحل منهم ودخل سنار ، وقابل حكامها ودعا أيضا إلى الطرق ، فأهل التسليم أخذوا منه بلا تردد ، وكان عمره رضى الله [عنه] حين دخل سنار فيما حدثنى به من سمع منه أنه ابن ست وعشرين سنة ، وكان رضى الله عنه له حالات قبض وانبساط ، وحدثنى من أثق به أنه دخل عليه الوزيران الأرباب دفع الله ولد أحمد والأرباب دفع الله ولد سليمان فبادر إليه ولد سليمان للسلام ، فناوله يده فقبلها وجلس ثم أتاه ولد أحمد فلم يمد يده لسلامه وانقبض بل قال له صائمة ؛ وانزوى إلى فراشه ، فمن ذلك الوقت سعى الوزير المذكور فى اختباره ومعرفة حاله ، وسمعت من بعض تلامذته أنه سمع من السيد أحمد بن إدريس أن بلاد السودان جميع ما أصابها فهو لأجل إيذاهم لمحمد عثمان وسمعت منهم أيضا أن مسلّم لـما شقق عليهم فى الأمر قال لتلامذته اصبروا الله يأخذهم بتدريجه فوقع ذلك الأمر فهلكوا عليدى [على يدى] دفتردار بيك وله مناقب كثيرة ومن كراماته ما اتفق له مع تلميذه أحمد الشنباتى أنه لـما توجه لحج بيت الله الحرام نزل بقوز رجب رأى المصطفى عليه الصلاة والسلام وأمره بالاجتماع معه بالتاكه فقال له أنا متوجه إلى الحج فقال له إن آمرك بالمشى امشى وإن أمرك بالرجوع فارجع ، فلما اجتمع به رضى الله عنه أعطاه الطريقة وأمره بالرجوع ، فعارضه ، فأخبره بالرؤيا وقصها عليه كما هى ثم رجع وأرشد الخلق إلى الله ، وهو الآن خليفة الخلفاء .

وتوفى فى تلك السنة العالم المشهور ذو الفصاحة والبلاغة سيبوية زمانه وسنوسى أوانه المحقق الدقق مرشد الطالبين [٢٢ ـ ب] وحجة العارفين من أصلح الله به الوادى إبراهيم بن الفقيه على بقادى رحمهما الله ونفعنـا بهم أمين .

وممـا قيل فى سبب موته إن الأرباب دفع الله ولد أحمد لما دخل محمد عثمان سنار وحصل ما حصل منه أرسل إلى المذكور لمناظرته فقام من محله بقادى(١)

(١) بقادى اسم لقريتين فى منطقة واد مدنى ، احداها على خط عرض ١٤ر١٤ وطول ٢٧ر٣٣ والثانية على خط عرض ٠٣ر١٤ وطول ١١ر٣٣ :

ودخل سنار نصف النهار فأرسل له بالسلام وقال له إننا جئنا تعبانين وإن شاء الله يوم الجمعة نتقابل معكم ، فقال له الشريف قل له إن شاء الله ما نتقابل ، فحصل المرض بالعلامة إبراهيم ، واشتد به ، فقال من حضر [تميه](١) إذا أفاق يقول ، سبحان الله ، الأمر لله وخسفاء العقول ينسبونه الشريف فتوفى رحمه الله .

وفى سنة ١٢٣٣(٢) توفى شيخنا الفقيه محمد بحلة المسلمية وكان رجلا صالحا عائدا تاليا للقرآن ملازما لدلائل الخيرات واورادا كثيرة ، وفيها توفيت والدتنا رحم الله الجميع .

وقتل فيها حمد ولد أبواسن قتله البطاحين وجاء النيل الكبير الذى يعرف بنيل ولد أبواسن .

وفى سنة ١٢٣٤(٣) قتل الأرباب دفع الله ولد محمد سليمان مظلوما قتل بين واد مدنى وحلة واد المجذوب قتل غيلة ، وحدث ممن جاءه فى ساعة القتل فلما وثبوا عليه وهو راكب على حمار ومعه واحـد على بعير وصحبته سيف المذكور فلما قابلوهم وعرفهم الذى معه جرح وهرب بالسيف وأما هو نفسه فصبر لهم ، وسألهم عن حال ولد عدلان هل هو مقبوض أو قتل من شفقته عليه كما قيل فى المثل ، أريد حياته ويريد قتلى ، وسيرته مشهوره من أن تذكر هنا ، وحمل إلى بيته ودفن بالزروقاب مع صهره ولد حماد رحمهما الله ومن صفاء نيته [أنه](٤) لـما قتل لم يتحرك شىء من محله ثم إن ولد عدلان أمّن ولده محمد وأعطاه رتبة أبيه .

ثم فى سنة ١٢٣٥(٥) خـدم محمد العرب بواد الروكه ونزل من الخدمة

(١) مابين الحاصرتين من « ا » :
(٢) عام ١٢٣٣ هـ = ١٨١٧/١٨١٨ م :
(٣) عام ١٢٣٤ هـ = ١٨١٨/١٨١٩ م :
(٤) مابين الحاصرتين من ف .
(٥) عام ١٢٣٥ هـ = ١٨١٩/١٨٢٠ م .

بالقريقريب[1] وقضى شغله ممن معه ، وانطاق ظهره فرمق إلى الشيخ كتور فى سبب قتل أبيه ، وكتم أمره على وزيره وجلسائه فقطع بالشرق وراسله بالمخادعة ، وأنهم نقضوا معه العهد ولم توفوا بما ربطتموه معنا ، وفى اثناء المراسلة توجه نحوهم فما كان إلا وهو ببلادهم فقابلهم بالشرق بحربة وقطع هو بالمخاضة وخرج إليهم ، فتلقاهم الشيخ بقلب من حديد ووجب اسمه فى دار الصعيد وكان فى قلة من كامل إخوانه ، فقتل رحمة الله تعالى عليه [وقتل فيها الحاج أحمد ابن الحاج الطيب وهو صاحب علم وبلاغة غير أنه ما نفع بعلمه أحـدا ، وتفرقت كتبه فى البلاد ، وقتل معه الحاج على ولد بلال ، ورجع محمد إلى سنار فرحا مسرورا بما أتاه من النصر وأخذ ثأر أبيه من جميع من تصدر فى دمه والقصاص منهم [وقد مدحه بعض الفقراء المتعرضين لصلاته بأبيات فقال :

سَلَامُ رَبِّ الْعُلَا أَهْدَيْتُهُ الآنْ … إِلَى أَمِيرٍ بِدَارِ الْفَنْجِ سُلْطَانْ
هُوَ الرَّشِيدُ عَزِيزُ الإِسْمِ نَذْكُرُهُ … مُحَمَّدُ اللَّيْثُ نجل الشيخ عَدْلَانْ
لَهُ خِصَالٌ على الأَنْدَادِ زَائدة … شَجَاعَةُ الْقَلْبِ صِدْقٌ ثُمَّ إِحْسَانْ
لَهُ سَخَاءٌ كَبَحْرِ النِّيلِ مَكْرُمَةً … فَكَمْ غَنَا سَائِلًا كَمْ ضَوَّ بِلْدَانْ
فَلَمْ لَهُ تَجْلِبُ الأَتْرَاكُ مَنْقَمَةً … لَهُ الْوَقَارُ مِنَ الْجَبَّارِ تِيجَانْ
لَهُ الْقَبَائِلُ فِى أَوْطَانِهَا امْتَثَلَتْ … لِأَمْرِهِ رَجَمَت جَاءَتْ بِدِيوَانْ
كَثِيرُ صَمْتٍ بَلِيغُ اللَّفْظِ مَنْطِقُهُ … فِيهِ الْحَذَاقَةُ مِنْهُ الْخَصْمُ غَضْبَانْ
مُقَلَّدًا بِمُقُودِ النَّصرِ لَابِسَهَا … وفِى الْبِرَازِ يُلَاقِى الأَلْفَ فَرْحَانْ
وَسَيْفُهُ كَلَهِيبِ النَّارِ صَاعِقَةٌ … وَضَرْبُهُ يَقْسِمُ الإِنسَانَ نِصْفَانْ[2]
وَوَجْهُهُ قَاهِرٌ لِلظَّالِمِينَ كذا … سَطَوَاتُهُ فِى فُؤَادِ الخَصمِ نِيرَانْ
لَهُ خُيُولٌ وَبِالْهَيْبَاتِ شَارِقَةٌ … لَهُ رِجَالٌ بِنَاثُوا العَيْبَ فُرْسَانْ[3]

(١) لم نعثر على موضعها .

(٢) كذا فى الأصل والصواب (نصفين) .

(٣) فى الأصل له جنودا وهو خطأ التزمه الشاعر فى الأبيات التالية .

لَهُ سُيُوفٌ كَشِبْهِ الْبَرْقِ لَامِعَةٌ … رِمَاحُهُ كَشِهَابٍ صَادَ شَيْطَانْ
لَهُ جُيُوشٌ جَرَادٌ لَا حِسَابَ لَهُمْ … لَهُ جُنُودٌ يُرِيدُوا الْحَرْبَ شُجْعَانْ[1]

وأما أولاد أحمد لما بلغهم قتل الشيخ كتور قدموا ضرار وأتموا له وتعاهدوا على الحرب والقتال فلما آن وقت خدمة العرب توجه ولد عدلان إلى الرارابه[2] وزربت العرب هناك وزلت أولاد أحمد إلى دارهم بالبحر ثم تحركوا نحو ولد عدلان للقتال ، وذلك فى السنة المذكورة فأراد الله تعالى وصولهم [ليلا] فجاءهم الخبر من النهار ، واعتدوا للحرب ، وكان رجب أخوه فى ذلك الوقت فى القنجار[3] ، فلما قامت الصفوف فحدث ممن حضر معهم فلم تعجبه حربته وتغير وتـكدر وذكر أخاه الغائب ولـما أظلم الليل هجموا عليهم ، وكانوا فرسانا مشهورين وللحروب ممارسين ، إلا أن النصر من عند الله رب العالمين ، فقتل تيفره ومحمد ولد البيت ، وانهزمت حربة ولد عدلان من « المحاص » الذى هو الميدان ورجع هو إلى حوشه (منزله) فلما وجد حربته تفرقت وأبقين بالهزيمة دخل منزله وأخذ زوجته « بخيتة » وخرج ، وصحبته الهادى ولد عجيب ، وهو فى ذلة وقلة ووقف أولاد أحمد بخشم الحوش [٢٣ ــ ب] وهم غير موقنين بالظفر .

وأما ما بقى من حربة ولد عـدلان كدفع الله ولد أحمد وأولاد سليمان وولد فرج الله وأدهم ولد عدلان ووقفوا بجانب الحلة وتخلت حربة أولاد أحمد أما الشيخ ضرار فانهزم بليله ، ولم تـكن عادته وإنما وسوس له وزيره وأصبحت بقيتهم ، وأرسل جماعة ولد عدلان إلى سيدهم ، فلحقه الرسول ، وبشره بالنصر والسرور ، فلم يتحقق ذلك وكذلك من حضر معه فقالوا له ،

(١) كذا فى الأصل (يريدوا) .

(٢) الرارابه قرية فى الجزيرة وتقع على خط عرض ١٦ر١٣ وطول ٤٣ر٣٣ فى منطقة سنار .

(٣) تقع القنجار فى غرب السودان وهى اسم لبلدين إحداهما فى كردفان والثانية فى دارفور وهى أيضا اسم للمجموعة القبليه (قنجار) .

هذه مكيدة وحيلة فأمسك الرسول بلجامه وقال له ارجع إن لم تجد لقولى صحة اقتلنى ، فمند ذلك رجع .

وأما بقية الحربة فنهم من وصل سنار ومنهم من لحق بولد عدلان فتراجعوا ، وحدثنى من حضر تلك الليـــلة قال : فلما انهزمت الحربة فإن ولد جمه طلب خلوات الفقيـــه يعقوب بن العبطى واقفا عليه فانتهره وقال له ارجع فأخبره بانـكسار ولد عدلان ، فقال له أيضا أرجع ، إن وقف واحد حصان النصر لولد عدلان ، فـكان الأمر كذلك بقدرة الله تعالى لأن أولاد أحمد كانت نيتهم بعد النصر خراب حلة الفقراء فحماهم الله عن ذلك بعنايته .

أما ولد عدلان لـــا قضى شغله من هناك رجع إلى محله ، ومعه سليمان أسيرا ، ومع ذلك مكسور الخاطر مما تقدم له من الهزيمة ، وهو محمود السيرة وقناعة وعفة عن أموال الناس شجيعا ، وكانت سنينه كلها رخاء غير أنه مولع بحب النساء لم تذكر عنده ذات ظفر أحمر وطرف أكحل ولا يرد يده عما تشتهيه نفسه ، من ذلك ، وله من الأولاد عدلان ، وهو ذو عفة ونزاهة مما عليه أبوه ويوصف بالديانة ، وأيضا له ولد يسمى حسن ، قتل بأبى رملة وله أولاد غير ذلك .

وأما سبب موته كما قال الشيخ الأوشى : .

« وللدعوات تأثير بليـــغ   وقد ينفيه أصحاب الضلال »

ومما قيل أن الشيخ أحمد الريح كان بينه وبين دفع الله ولد أحمد مصاهرة ، فلما انقضت مدة التصيب حصلت من دفع الله الغـــيرة فى الشيخ المذكور وتربص له العداوة مع أهله ونبهم عليه ، فهيج الفتنة وتقدم الشيخ الطريفى ودفع الله أخيـــه وعبد الله ولد أبو عاقله وبقية أولاد الصاموته وكان الشيخ أحمـــد مساعدا له فى الحوش ودفع الله ولد محمد ولـــا مات وخلا ظهره ولم يـكن معه إلا الله تعالى وتعاونوا عليه واستعانوا بدفع الله ولد أحمد وبذلوا المـــال فرغب فيه محمـــد وأرسل إلى الشيخ أحمـــد الريح بالراحة من الخلافة ذلك والله أعلم فى

شهر ربيع آخر سنة ١٢٣٦ فخرج الشيخ أحمـــد إلى حلة ولد انقاوى[1] وأقام بها ، وأما ولد عـــدلان فإنه مقيم بمنىً وآمن من مواقع الردى وقد تحقق له قدوم بن عزيز مصر إسماعيل باشا وقد جمع الفقراء الأعيان وغيرهم للسؤال وكاتب [٢٤ ـ ١] ملوك الجمليين وكنجاره وغيرهم[2] من القبائل بالمحاربة واجتماعهم بالخرطوم وقدم فى ذلك ابنه عدلان فى رأس الحربة ، وهو على أثره بالسفر ، فتحرك الشيخ أحمد الريح إلى ملاقاته بمنى[3] قبل السفر وفى النفس من ذلك شئ فأقام بمنى ورجع رجب ولد عدلان فى تلك الأيام من الغرب وهو بسنار ومحمد بحلته منى فتحرك حسن ولد رجب فى خمس خيالة وخمسة وعشرين رجلا ، وأتاه فهجم عليه ، وقلع الباب ودخلوا عليه وبالحلة ح[4] الأرباب دفع الله الوزير ومن معه فخرج إليهم محمد وتلقاهم بقلب من حديد وبأس شديد فهابوا وجهه ودخل عليه واحد من أولاد بيته من باب الحريم فقطع رجله فوقع وتنا شلوه بالمرهفات وقطعوه إربا إربا ، وأصبح حسن ولد رجب ولد عدلان واجتمع معه الأرباب دفع الله ومن معه وحضر الشيخ أحمد ودفن محمد بيده ، وهذه من أقل بركاتهم .

وحدثنى من هو أحمد ولد الولى أنه رأى الشيخ أحمد الريح دخل على محمد ولد عدلان وضربه بسيف فى رجله فـكانت أول عضو قطع منه رحمه الله .

وأما ما كان من بقية[5] الحراب[6] فاجتمعوا بحلة كوش[7] وخرج إليهم رجب ولد عدلان فقدموه وتعاهدوا على نصرته وقاموا طالبين لحسن ولد رجب ، وأما هو لما أظلم عليه الليل هرب منه دفع الله ومن معه ، وأصبح هو متوجها

(١) صحتها « ولد إدفاوى » أى الأدفوى من أدفو بصعيد مصر .

(٢) انظر صورة شمسية لـكتابه للفقهاء فى كتاب معالم تاريخ سودان وادى النيل ص ٢٦٧ .

(٣) منى Mena واقعة على النيل الأزرق بالقرب من سنجه وهو اسم يونانى .

(٤) حَ : حينئذ .

(٥) هذا اللفظ وارد فى جميع النسخ بالتاء المفتوحة .

(٦) المقصود بذلك الحرب ، واللفظ السابق مرجعه إلى الأصل « الحربة » .

(٧) يبدو أن صحتها كبوش .

إلى سنار ، فلم يجد بها نصيرا ، فخرج منها طالبا إلى الصعيد ، وأما رجب ومن معه فلحقوا بسنار ، وأقاموا بها ، وذلك فى شهر جماد آخر ، فأقاموا بقيته ورجب ، وفى شهر شعبان حصلت بينهم النزغة الشيطانية ونفوذ المقادير الألهية[١] خرج إدريس ولد عدلان ومحمد ولد فرج الله ومن معهم على رجب فاقتتلوا ، فانهزم رجب ودفع الله ولد أحمد وقدموا إلى نواحى عبود وأقاموا بها قليلا من أيام شعبان ، فهذا ما جرى من سيرتهم وانتها ، ملكهم فى العام المذكور فرحم الله الأموات منهم ، وعظم الأجور ، فقد كانوا لأهل الخير قادة ولبيوت الفضل سادة فكم أووا غريبا وكم رحموا مسكينا فجعلوه قريبا ، وقال فى حقهم من نعاهم لما [رأى] داعى المنون ناداهم وتجرع والصبر عند فقدهم بلواهم ورثاهم بهذه الأبيات :

أَرَى لِدَهْرِىَ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا   فَكُلُّ حِينٍ يُرِى لِلْمَرْءِ أَخْبَارًا
يَوْمًا يُرِيهِ مِنَ الأَفْرَاحِ أَكْمَلَهَا   يَوْمًا يُرِيه مِنَ الأَحْزَانِ أَكْدَارًا
وَكُلُّ شَىْءٍ إِذَا مَا تَمَّ غَايَتُهُ   أَبْصَرْتَ نَقْصًا بِهِ فِى الْحَالِ إِجْهَارًا
فَلَا يَغُرَّ لِصَفْوِ الْعَيْشِ مُرْتَشِدٌ   لِأَنَّ إِحْسَانَهُ مَا زَالَ غَرَّارًا
[٢٥-ا] فَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَمَا مَلَكُوا   وَأَيْنَ فِرْعَونَ وَالنَّمْرُودُ إِذْ جَارَا
وَأَيْنَ كِسْرَى وَأَيْنَ الْوَالِى قَيْصَرُهُم   وأَيْنَ جَمْعُهُم قَدْ صَار أَخْبَارَا
فأَيْنَ مُلْكُهم العالى ومَا مَلَكوا   كَمَا حُكِى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ إِذْ زَارا
لَكِنَّ مَنْ مَاتَ بالإيمانِ مُعْتَصِمًا   طُوبَى لَه عَلَى ما حَازَا أَوْطَارَا
والدَّهر هَذَا فَلَا تَبْقَى مَحَاسِنُه   فَيُبْدِل الْمَرْءَ إِحَسَانًا وأَضْرَارَا
آه عَلَى زَمَن قَدْ كَانَ فِى طَرَبٍ   كُنَّا بِجَمْعٍ مَعَ الأَحْبَابَ سُمَّارَا
آه على بلدة الخيرات منشئنا   أعنى بذلك دار الفنج سِنَّارا
آه عَلَيْهَا وآه مِنْ مُصِيبَتِهَا   لَمْ نَسْلُهَا أَيْنَمَا حَلَّنا أَقْطَارا

(١) وردت فى ق الالاهية .

فَأَوْحَشَتْ بَعْدَ ذَاكَ الأُنْسِ وارْتَحَلَتْ   عَنْهَا الأَمَاثِلُ بُدْوَانًا وَحُضَّارَا
وَصَارَ عُمْرَانُهَا الْحَسُون مُنْدَرِسًا   يَصِيحُ بُومٌ بِهِ فى الليل صَرَّارَا
أَضْحَت تَمَاثِيلُها مِنْ بَعْدِ بَهْجَتِهَا   كَأَنَّهَا لَمْ تَذُقْ لِلْخَيْرِ آثارَا
وَأُبْدِلَتْ دَوْلَةُ الإِعْزَازِ مِنْ هَمَجٍ   كَأَنَّهُم لَمْ يَكُونُوا الدَّهْرَ أَوْزَارَا[١]
فَمَنْصِبُ الْمُلْكِ والتَّعْظِيمِ مُنْطَمِسٌ   كَأَنَّه لَمْ يَنَل بالْفَخْرِ إِظْهَارَا
بِالْمَجدِ كَانُوا كِرَامَ النَّاسِ مَنْقَبَةً   بِسِيرَةٍ كَامِلِينَ الْفَضْلَ أَحْرَارَا
فَكَم بِهِم حُطَّتِ النُّزْلُ مِن بُعْدِ   فَيَرجِعُون بِمَا يَهْوَوْن تُجَّارَا
وَكَمْ لَهُم جَاءَ ذَا الْمِسْكِين مُغْتَرِبًا   آوَوا لِغُرْبَتِه أَنْسَوْه أَقْطَارَا
كَانُوا كِرَامًا بِإِحْسَانٍ ومَرْحَمَةٍ   كَانُوا مُلُوكًا وأَشْيَاخًا وأَوْزَارَا
كَانُوا لُيُوثًا وَأَبْطَالًا مُجَرَّبَةً   كَانُوا تِجَارًا وأَشْمَاسًا وأَقْمَارَا
فَلَوْ رَأَيْتَ بِهِم مَا حَلَّ مِنْ ضَرَرٍ   أَجْرَيْتَ دَمْعَكَ إِعْلَانًا وَإِسْرَارَا
أَئِمَّةُ الدِّينَ يَاهَذَا لَهُمْ شَرَفٌ   فَفِيهِمُ حَكَّمُوا الرَّصَاصَ والنَّارَا
تَبْكِى مَسَاجِدُ أَهْلِ اللهِ خَامِدَةً   تَرْمِى عَلَيْهِم دُمُوعَ الحُزْنِ أَقْطَارَا
فَأَبْشِرُوا بِفَضْلِ اللهِ سَادَتَنَا   فَقَدْ حَظِيتُم بِخَيْرِ النُّزْلِ إِجْهَارَا
تبكى محاكمهم تبكى مدارسهم   تبكى مفاخرهم تُنبيك أخبارا
تَبْكِى مَدَائِنُهم تبكى مواطنهم   تبكى القبائل بُدْوانا وحُضَّارَا
عَلَى كِرام يزِينُ الدَّهْرَ مَجْدُهُمُ   عَلَى دِيَارٍ عَلَيْهِا الدَّهْرُ قَدْ جَارَا
فَكُلُّ شَخْصٍ وإِنْ طَالَ الزَّمان لَهُ   فَقَدْ يَكُونُ عَلَى الأَجْدَاثِ زُوَّارا[٢]

هذا ما كان من أمر الشيخ محمد أبى الكيلك وذريته ومن تولى بعده إلى حين تناول الملك منهم أهل الدولة العثمانية رحم الله الجميع بمنه وكرمه إنه جواد كريم وذو فضل عظيم .

نبذة نذكر فيها إن شاء الله الشيخ عدلان ولد صباحى وهو الذى اشتهر

(١) أوزار كذ فى الأصل ، وقد جعله جمع وزير .
(١) فى الأصل : فقد يكونوا على الأجداث زورا .

ذكره وشاع مع الشيخ محمد ولم أتحقق هل كانت من قبله مشيخة أم لا والله أعلم.

كان دار خشم البحر كان يتناولها قبلهم أهالى لونى[1] وغيرهم والشيخ عدلان المذكور توفى مع الشيخ محمد فى سنة ١١٩٠ وشاخ بعده (ابن) أخيه الشيخ (أحمد) وله أى الشيخ عدلان ولد صباحى من الأولاد الشيخ صباحى شاخ فى زمن الشيخ بادى وعجيب وبادى شاخ فى زمن ولد ناصر ونصار صاحب الكرم الذى تضرب به الأمثال ، ولم يقس[2] إلا بحاتم الطائى وله فى ذلك مواقع كثيرة ، ويكفى منها دفعه لولده للذى جاءه سائلا وما وجد عنده غيره ، وكان عدلان إذا قنع من امرأة أو جارية يزوجها أحمد بن أخيه فصار جل أولاد أحمد إخوان لأبناء الشيخ عدلان وأما أحمد شاخ من بعد ما عزله الشيخ بادى وقتل المذكور صار هو شيخا إلى أن قتله الملك عدلان مع إبراهيم وغيره وشاخ الشيخ كتور الذى اشتهر به اسم الكتاتير وهو أخوهم وأكبرهم سنا وكان يفر بهم من فتن الهمج ومحاربتهم حتى كبروا معه وقوى ساعدهم وخالفوه فى قتل عدلان وحصلت بهم وقعة أم صويبينة وما بعدها ، وكانت لهم وقائع مشهورة مع العربان ولم تقاومهم قائمة إلا انتصروا عليها مع قلتهم ، ولهم حذاقة وفطانة وكرم ومخالطة مع أبناء العرب ، وقل من يعاصرهم ويرجع إلى محله من شدة طيب أنفسهم وكرمهم وكانوا إذا جاءهم الفقير وجدهم فقراء وإن جاءهم الأمير [وجدهم] أمراء ، ولهم قصص فى الكرم وأخبار يعرفها معاصروهم حتى إن إدريس ولد أحمد المقتول يوم الزارابة قيل كان يتلو دلائل الخيرات ويبذل فى الزاد للخاص والعام بعد ماقتل أقام فى الشمس إلى نصف النهار أو قرب الظهر لم يتغير ولم تر له رائحة كريهة على أن الشمس تسرع فى تغيير الميت ، وذلك ببركة تلاوة دلائل الخيرات وإطعام

---

(١) مضبوطة هكذا فى الأصل . وهى قرية على النيل الأزرق على خط عرض ٢٥ر١٢ وطول ٣٠ر٣٤ جنوبى مدينة سنجه .

(٢) فى الأصل لم يقاس .

الطعام ، وفيهم الشيخ كتور وهو [٢٥ـ ب] معروف ، وبعده الشيخ ضرار المعروف بالشجاعة حتى إنه عُدَّتْ[1] فى يوم طيبة من جسده ودرعه اثنان وخمسون سيفا وحربة ، وأخذ ببيضته من عبيد ولد ناصر بعد أن وقعت من رأسه ، وكلهم عبيد صناديد وشاخ بعده الحسن المشهور بالديانة والصيانة وكان ربيع ضرار فى كل المواطن والمواقف ، واشتهر كرمه فى سنة ١٢٤١ وقبض فى مدة خورشيد باشا ومات بالخرطوم بعلة الجدرى ، وشاخ بعده الشيخ سليمان وهو الموجود الآن صاحب البلاغة والتدبير ، وكان من مدة أخيه الشيخ كتور صاحب مشورة وعزم ، وقام مقام الكل ، وقد حمده كل من عاصره وهو صاحب ديانة ، ويقال إنه كل يوم له حزبا فى شمائل النبى عليه السلام ودلائل الخيرات بعد قراءتهما [تيها] ثم يخرج إلى الديوان ، هذا دأبه .

وأما دولة العبدلاب والسعداب عدم ذكرنا لها لعدم اطلاعنا على أحوالهم أو لأنهم كانوا ملكا واحد .

فمدة ملك الفنج الخاص لهم ولهم فيه الحل والربط والقهر والغلبة والقتل لغاية سنة ١١٧٤[2] ، لهم مائتين وأربعة وسبعين سنة ومنمدة [ومن مدة] ماخلص للشيخ محمد وذريته لغاية سنة ١٢٣٦ ست وثلاثين بعد المائتين والألف تخالص المذكورين لحين حضور الدولة العثمانية ٦١ سنة و٨ شهور (إحدى وستون سنة وثمان أشهر) لأن انتزاع الملك منهم فى شهر رمضان سنة ١٢٣٦ فصارت مدة ملك جميعهم وعمارتهم بسنار ٣٣٥ سنة و٨ شهور ثلاثمائة وخمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر .

---

(١) مضبوطة هكذا فى الأصل .

(٢) عام ١١٧٤ هـ = ١٧٦٠/١٧٦١ م .

(٣) عام ١٢٣٦ هـ = ١٨٢٠/١٨٢١ م .

هذا ماظهر لنا والله أعلم ، وقد ذكر الشيخ إدريس ولد الأرباب رحمه الله جميع قتالهم وما يحدث فى ملكهم وضعفهم فصار جميع ما ذكره الولى المذكور حتى إن سعادة إسماعيل باشا حين دخل فى شهر رمضان الذى فك حرابتهم وأخمد نارها وقد ذكر الولى الصالح الفقيه حجازى من ذرية الشيخ إدريس المذكور ملك الهمج خاصّته ورتبه على حروف فقال : مبرنا محمد : أما الميم فهو الشيخ محمد أبى لكيلك ، والباء الشيخ بادى والرا الشيخ رجب والنون الشيخ ناصر والألف الشيخ إدريس، والعين الشيخ عدلان، والميم الثانية الشيخ محمد ولد رجب ، وأما الدال فإشارة إلى عدده أربعة فكان منهم محمد أربعة وشوهد ذلك وهم محمد ولد ناصر ومحمد ولد إبراهيم ومحمد ولد عدلان ومحمد أبى لكيلك المتقدم .

فسبحان علام الغيوب وغافر الذنوب وساتر العيوب الذى لايبقى إلا ملكه ويزول كل ماسواه ، فنسأل الله الملك المنان أن يمن علينا بخاتمة الإيمان ويسكننا وإياهم فراديس الجنان ويجعلنا فى حزب نبيه الصادق العدنان إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهنا انتهى ذكرهم وصارت لياليهم أحاديث ومواعظ فياحبذا من تفكر واعتبر وفيما دهاهم [٢٦ ـ ١] نظر ولما أتاهم انتظر وشمر كما قال صاحب القرطبية : فصار ما كان من مُلك ومن ملك . كما حكى عن خيال الطيف وسنان . وأما الموجودين من جميع ماذكر صار حالهم اليوم كحال من تحتهم اح(١) .

(١) اح : انتهى .

امتداد الإدارة المصرية

إلى

جنوب الوادى

ذكر الدولة العثمانية

وخروجهم فى الديار الفنجية ، وذكر أول من خرج منهم وما جرى فى مدتهم ، ونذكر ذلك على حسب الامكان فنقول والله المستعان وعليه التكلان ، أما بعد فأول من خرج منهم إلى بلاد السودان وأزال ما فيها من الطغيان ، وأبدل الجور بالعدل والإحسان ، فهو عزيز مصر وابن عزيزها أفندينا اسماعيل باشا ابن الحاج محمد على باشا لا زالت سحايب الرضوان عليه تهمى وأيامه بالسعد تنمى ، فكان أول خروجه من المحروسة فى سنة ١٢٣٥[1] وحاصر الشايقية ببلادهم وظفر بهم ، فمن أطاع أعطاه الأمان ، ومن نفر استقر ببلاد الأبواب إلى حين قدومه السعيد ، فقابلوه وأمنهم ، ودخل الجزيرة بعد مقابلة الملك نمر والملك الساعد وطاعتهم له فنى أول يوم من رمضان سنة ١٢٣٦[2] نزل المومى إليه بأم درمان بالجانب الغربى مقابل الخرطوم ، فهرب منه بعض الناس وقابله البعض فأعطاهم الأمان لغيرهم ولأنفسهم وكساهم ، وتكامل بالخرطوم فأخذ منهم قدر العليق ، وارتحل ولم تتبين لى محطاته ، فنى ستة أيام من رمضان نزل بحلة وحيدة قبالة السلمية ، فاجتمع ما هناك من الحكام والمراتب وغيرهم ، وقابلوه بتلك المحطة وطلبوا منه الأمان والإقرار على ما فى أيديهم فى الاحكام السالفة ومظالمهم الآنفة ، وأتوه بالضيافة من خرفان وسمن ، فلم يقبل منهم شيء إلا بالثمن ومعه حـ[3] ملوك جعل الاثنين المقدم ذكرهم والأمين ولد الشيخ ناصر وأخذ عليق المواشى وارتحل ليلا فلحقاه رجب ولد عدلان ودفع الله ولد أحمد بالطريق ، فأعطاهم الأمان وكساهم وقلدهم السيوف مثل من قبلهم وسافر حتى نزل بمنى أو غيرها ، فقابله باقى الهمج والحراب ، فأمنهم أيضا

---

(١) عام ١٢٣٥ هـ = ١٨١٩/١٨٢٠ م .
(٢) عام ١٢٣٦ هـ = ١٨٢٠/١٨٢١ م .
(٣) حـ : حينئذ .

وكساهم فرجعوا وأتوه بملك الفنج على عادتهم وزخرفتهم فأمنه وكساه بما يناسب لمقامه ، وذلك آخر دولتهم وإظهار عظمتهم ، فدخل سنار فى ثانى عشر ليلة من رمضان المذكور ، فقابله من هو فيها وأكرم كلا منهم بحسب قانونه وحظه السابق ، فأقام هناك أياما ، فأول ما كان بعث سرية نحو حسن ولد رجب الذى قتل محمد ولد عدلان وجهز فى رأسها رجب ولد عدلان فالحقوه نحو أرانج(١) وحصلت المعاركة فقتل من قتل وجرح هو وأخذ أسيرا ورجعوا به إلى سنار فقابل الباشا وأمنه وصار من خواصه وقتّل ممن [٢٦ ـ ب] أسِرَ معه عبد الله نِقِلْ ، فقتلوه بالخازوق ، فكان أول خازوق نصب ببلاد السودان ، وقتل غيره بالسيف ، ثم فى ذلك العام آتوه بالحاج على ولد تمساح من أهالى بربر فقتله بالشنقة وهو كذلك أول من قتل بها ، ثم فى عامه بعث ديوان أفندى فى رأس سرية إلى المحينة فلحقوه بمحله بالبحر الأبيض ، فقتلوه وأخذوا ما كان معه ورجعوا إلى سنار غانمين مسرورين ، وكان ولى النعم قاضيه ح محمد أفندى ، ومفتيه السيد أحمد البقلى ومفتى المالكية السيد أحمد أفندى السلاوى ، وسنذكر إن شاء الله من خصاله فى وقت مجيه [مجيئه] قاضيا ووكيله محمد سعيـد أفندى ، وهو الذى صار كيخدار ، ومباشره حنا الطويل ، فأول ما حدث وتجدد أمر ساوى ولد كابوا أمره الباشا وأرسـل معه كتاب وعساكر وأمره بكتابة الحلال ، كل حلة بأسمها فربطوها على هـذا المنوال ثم أمر المشايخ الذين من قبله بالبلاد أن يأتوا من كل حلة كبيرة وصغيرة رحلين عيش حب ذرة وفرق قيمقامات عليهم وأمرهم بكتابة البيوت عال ـ ووسط ـ ودون ـ ثم تركت ثم أمر بكتابة الرقيق والمواشى وأثبتوا الطاليب على ذلك وهو مستمر إلى حلول ركاب سعادة خورشيد بيك ، قبـل صيرورته باشا ثم فى سنة ١٢٣٧ حضر الجناب المعظم إبراهيم باشا من المحروسة وتوجه فيهـا إسماعيل باشا إلى نواحى الجبال ، وأما إبراهيم باشا

(١) تقع أرانج بالقرب من واد مدنى، وهى على خط عرض ١٤ر٠٦ وطول ١٣ر٣٤ وتعرف عليا باسم قلعة أرانج .

غزا الدينكه [الدنكا] ، وأصاب منهم ما أراد الله أن يصيب ، ورجع إلى المحروسة وأما ولى النعم حاصر جبل تابى(١) وتوجه إلى بلاد أولاد أحمد ، فأخذهم وتوجه بهم نحو فازوغلى ودار غبيش ، وقبض أكابرها واحضر كامل التجار الذين كانوا هناك ، ونزل بهم وبأصحاب البلد ووضع عليهم الذهب فأما الأضراس منهم قلع منها الأنياب ليُرِى الناس قوته وشـدة بأسه ، وكما قال تعالى « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » ولما استقر هو بالجبال نادى منادى السوء بالفساد أن اسماعيل باشا مات قتيلا بالصعيد ، فارتجت البلاد وقامت العباد ، وظهر كل من فى قلبه شىء من العناد فمن الناس من قتل العسكر ومنهم من تربص وانتظر ، ثم ظهرت سلامته ، فكل من فعل بالعسكر معروفا بانت كرامته ، ومن عكس ذلك طالت ندامته ، إلا أن ولى النعم كظم الغيظ وعفا واحلم ونظر فى عمارة البلاد ، ولم يؤاخذهم بأقوال الفساد ولكنه لما وصل قتل ولد عجيلاوى ، ثم رجع نحو سنار ، وأما ما كان من أمر ديوان أفندى والباشر حنا فإنهم رتبوا الكتاب والقايمقامات فى الحلال ونزلوا الدفاتر ، وأثبتوا بموجبها الطاليب على حسب رأيهم ، ولما استقر بسنار وكانت تلك السنة ذات مرض شديد ، وأهلك العساكر ، [٢٧ ـ ا] فالتمسوا محلا يكون مناسبا لهم فلم يجدوا أحسن من واد مدنى ، فأخذوا الفعلا والبنايين ودَوّرُوا(٢) أيديهم فى البنا واشتغلوا بذلك ، وكان القيم على الخدمة الشيخ عدلان ولد شنبول ، وعلى حاصل الرقيق والمواشى ، الذى حضرت معه من الغزاوى [هو] أحمد ولد الحاج سليمان ، ولما تم أمر البنا تحول المشار إليه بسرير ملكه إلى واد مدنى فى شهر رمضان أو أواخر شعبان والله أعلم ، وأقام بها .

ومات بتلك السنة القاضى محمد أفندى ، وتولى القضاء السيد أحمد البقلى

(١) تابى موضحة فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية تابت وهى واقعة على خط عرض ١٢ر٥٤° وطول ٣٤ر٠٠° جنوبى سنجة .

(١) دوروا : بدأوا العمل .

والمفتى ح السيد أحمد أفندى السلاوى ، ورتب المشار إليه مشايخ الأخطاط فى شهر رمضان مساعدة للقايمقامات .

وعرضت عليه دفاتر المطاليب وشكت إليه الرعية من عظم الكتابة لأنه وضع على صاحب الحمار خمسة ريال ، وكذلك صاحب الشاه فحصلت له الرافة العقلية والرحمة الإسلامية فتجاوز عن ذلك وعمل عليهم ريالين ، وأمرهم فى الخلاص بالسهولة والمياسرة والرفق بالفلاحين .

ومات فيها الولى الصالح العالم الفقيه محمد ولد عبد الرحمن بن أبى زيد ومات الشيخ عدلان ولد شنبول رحمهما الله .

ومات المشار إليه ألبس ديوان أفندى كيخيدار ، وقتل رجب ولد عدلان بسنار ، وقتل على أخيه بواد مدنى بقتلة لم تعهد فى البلاد .

ومات الشيخ كرار ، وهرب حسن ولد رجب بعد أن قتل جماعة من العسكر الذين معه ، وقتلوه [قتله] عربان الحمدة ، رئيسهم ضياب أبو حبس ومعه عسكر .

ثم فى سنة ١٢٣٨[١] بعث محمد اغاه الهياتنى ناظرا إلى الكشاف فى العمار والخراب ويحاسبهم ، وأقام معهم إلى آخر الشهر ، ثم توجه المشار إليه إلى شندى فى شهر صفر ، ولما وصل بها أحضر الملوك وطلب منهم مالا يعجز عن حمله ، فاستأذنوه وطلبوا منه المهلة إلى صبيحة ذلك اليوم ، فخرجوا منه ، وتشاوروا فى قتله ، فخامرهم الشيطان وغلب عليهم المسطر فى الأزل وذلك فى ليلة ١٧ ص [صفر] سنة ١٢٣٨ ، فطلع من البحر وانزلوه ببيت وهجموا عليه ليلا فنعهم من معه من الوصول إليه فَعَلَوْا على شقف البيت وأوقدوا عليه النار فنفذ القدر ولم ينفع الحذر ، فقتل المرحوم جنتمكان[٢] ومن معه من المماليك

(١) عام ١٢٣٨ هـ = ١٨٢٢/١٨٢٣ م .

(٢) ذكر الحادث على هذه الصورة لايمثل الحقيقة ـ انظر كتاب معالم تاريخ سودان وادى النيل للناشر ص ١٣٠ ومابعدها .

الذين بالبيت ، وبمصيبته حصل هلاك العالم الكثير وفساد الجم الغزير وخرجت البلاد وتزلزلت العباد لأن من يوم وفاته لم ترى إلا دماء تسفك وأموالا تنهب وتهاك وحرما تهتك ، وكل ذلك بسبب التعدى على الأمير ومخالفة حديث الصادق البشير « أطيعوا من تأمر عليكم ولو كان عبدا حبشيا » وتلك الأذية والفساد مستمرة إلى حلول ركاب خورشيد بيك ، وسنذكر ذلك إن شاء الله مواقعه فى تاريخ مجيئه ، وأما ما كان من أمر الكيخيدار الذى هو الوكيل ح ومن معه لما تحقق له أمر قتل الباشا قوى نفسه ، وأخذ الحذر وصاحت[١] [٢٧ ـ ب] البلاد ، وطمعوا فى العسكر بالفساد ، فقاتلت الكشاف الفلاحين ، واجتمعوا بواد مدنى ، وبعثوا مصطفى كاشف شمدان فى رأس ثلاثماية من الفرسان ، وتوجه إلى نحو الخرطوم ، فأخـذ الخبر على الحقيقة ، ورجع ولم يضر أحدا من الناس .

وأما ما كان من أمر الأرباب دفع الله ولد أحمد ، فقام فى ليلة الخير من واد مدنى ونزل بعبود ، وكذلك أولاد الشيخ شنبول بالمسلمية قاموا على من معهم من العسكر ، وقتل يوسف ولد عبد الجبار ، وهربت الحلة ، وأقام بها الكاشف ثلاثة أيام ، وتحول إلى واد مدنى ، وأرسل الكيخية بالأمان إلى كامل الحلالات إلا من أبا وأظهر الفتنة وأقاموا هم بواد مدنى ، واجتمعت الجموع من الفلاحين بعبود وطمعوا فى نيل المرام والمقصود ، وسول لهم الشيطان وغرهم بعض الفقراء ولم يكن إلا ما أراد الله فأقاموا بها مجتمعين وللاباعد مراسلين ، فبعث عليهم عند ذلك الكيخيدار المذكور سرية من واد مدنى وخرجوا بالليل ، فأصبحوا معهم بالبلد ، فهربوا منهم ولم تغن الجموع والمدد ، فقتل منهم الولى الصالح الخليفة محمد ولد عبود ومن تم أجله ، ونهب العساكر الحلة وخربوها وأخذوا منها الأموال العديدة ، ورجعوا إلى واد مدنى غانمين وبالنصر مسرورين .

(١) المقصود بذلك أن البلاد ضجت بسبب هذا الخبر ومنهم من حاول قتل العساكر ومنهم من عاون العساكر على حفظ الأمن .

وأما بقية المهزومين قاموا إلى الصعيد ، وراسلوا حسن ولد رجب وغيره ، فأتاهم ، فاجتمعوا ثانيا بأبي شوكة ، وظنوا أنهم ستكون لهم شوكة ، فأخرج لهم أيضا مصطفى كاشف والشايقية ، فلحقهم كذلك وكثر الزحام ، فاقتتلوا هناك فقتل جل الهمج ومن معهم ، وقتل حسن ولد رجب ، وتفرقوا ورجعت العساكر إلى واد مدنى غانمين مسرورين فأقاموا بها ، ومع ذلك يؤمنوا كل من أتاهم طايعا من كل النواحى ، وخمدت نار الحرب وتفرقوا إلى نحو السافل بالبحر الأبيض ، واجتمعت العساكر بواد مدنى .

ثم إن الكيخية أمر مصطفى كاشف حاكم قسم الخرطوم ومعه حاج أغاه أن يخرجوا لخلاص بواقى المطلوب الذى تركه فى وقت الكركبة ، فخرجوا فى رأس ثلاثماية خيالة لخلاص ذلك .

وأما ما كان من أمر دفتردار بيك فإنه مقيم بالأبيض فلما تحقق له ذلك الخبر تحرك من كردوفان [1] ، وأخذ معه من العساكر و فور [2] الشيخ محمد لوتان والجمع وتوجه بهم إلى نواحى الأبواب [3] .

ولما جاوز دار الجيعاب وضع يده بالقتل والخراب ، وخرب تلك المدائن وعدم فيها القاطن والساكن ، ولما وصل حد المتمة اجتمع إليه الناس ، فمنهم من طلب الأمان فأمنهم .

ثم إن واحدا من الجماعة الحاضرين وثب على دفتردار بيك بحربة فضربه بها فى يده ، فصاح عليهم بالهلاك فوضعوا فيهم السلاح ، وقتلت خلايق كثيرة ، ثم دخلوا مع الفقيه الريح فى الخلوة فاحرقوهم بالنار جميعا ، وصارت البلاد خرابا ، وارتحل نمر ومن معه إلى الخلا ، وقطع محمد بيك [٢٨ ـ ا] إلى الشرق ، ووضع ثانيا يده بالخراب ، فما ترى بها أنيسا ولا تسمع لها حسيسا من حد شندى إلى كترانج .

(١) كردوفان : كردفان .
(٢) فور : أهل دارفور .
(٣) الأبواب هى منطقة شندى .

ولما توجه من تلك النواحى قتل توتى ، وتوجه نحو العيلفون فسبقته فور ، فخرجوا لحاربتهم فوصل هو معهم وقتلوهم مقتلة عظيمة ، ونهب الأموال والذرارى وأحرق البيوت وسباهم إلى نحو واد مدنى فمنهم من مات بالطريق جوعا وعطشا ، ولما وصلوا بواد مدنى فرقهم على المشايخ ، وأقام بواد مدنى قليلا ، ثم رجع نحو كردوفان ، وأمر حسين أغا جوخدار أن يتوجه إلى نحو البحر الأبيض ، فتوجه المذكور فلما نزل بحلة ولد الترابى خرج على الشكرية وضربهم ضربة عظيمة ، فأصاب منهم إبلا وغنما ، وارتحل فنزل على البشاقرة فوجد مصطفى كاشف وحاج اغاه وأخذهم معه إلى حلة الجديد .

ثم ارتحل نحو البحر الأبيض ليلا ، فلما أصبح نزل بفريق الجمليين وثارة [ثارت] الحراب ، فأصابوا ما أصابوا ، وحضر بعض كبرايهم فطلبوا الأمان فأعطاهم وأمر برد مواشيهم لهم بعد شروط اشترطها عليهم ، ففى وقت صلاة الظهر حضر واحد من العساكر وكان له أخ مقتول بزمن المرحوم جنتمكان فطلب واحد نفر يدعى الفقيه فضل الله بثار أخيه ، لأنه تسبب فى قتله ، ولما سمع جوخدار بذلك أمر به ، فلم يجدوه فأمر بحبس كل من حضر ، فكانوا اثنين وسبعين رجلا ، فقطع أيديهم جميعا فمنهم من مات ومنهم من عاش ، ومنهم أناس صالحون .

ثم ارتحل من عندهم مسافرا بالأبيض إلى نحو الصعيد .

وأما دفتردار بيك توجه كردوفان ، ثم توجه نحو الخرطوم ونزل بالقرن ، فقابله بقية المهزومين من الهمج والشيخ الأمين وغيرهم فقطع عليهم البصيلى ، وانهزموا نحو السافل ، ثم أرسل نحوهم من عساكر الشايقية والمغاربة ، فلحقوهم نحو الرويان [1] وارتحلوا ، ورجع جوخدا ومن الخرطوم إلى واد مدنى بالشرق ، وذهب تلك الجموع من شكرية وغيرها من وجهه وارتفعوا إلى حين

(١) تقع الرويان بين الخرطوم وشندى .

مانقدم الموى إليه ، ووصل بواد مدنى ، نزلوا هم بالهلالية ، فأرسل إليهم السكيخية محمد سعيد عساكرا بالمراكب فأصبحوا معهم ، وطلعوا عليهم وقت الصبح ، فقتل بخيت مدنكس وانهزم الباقون ، ونهبوا الحلة ورجعوا نحو واد مدنى وكل ذلك فى سنة ١٢٣٨(١) .

ثم إن محمد بيك دفتردار رجع فى عامه ذلك إلى بلاد الجعليين وأقام بها أياما . وجهز جيشا وأرسله نحو الأرباب نمر ومن معه « بالنصوب » وهى وقعة عظيمة مشهورة فى شهر شوال فى تلك السنة ، فقتل بها خلق كثير ، وأسروا فيها ونهبوا الأموال ، وتفرقوا من ذلك المقام ، فمنهم من دخل الجزيرة ، وبها اختفى ومنهم من طلب الخلاء وبه اكتفى .

وقدم الملك المساعد ومن معه بالشرق إلى نحو الصعيد ، وأقام الموى إليه بام عروق ، وأرسل إلى السيد أحمد أفندى السلاوى وأخذه عنده ، وكذلك الحاج عبد الرازق أفندى [٢٨ ـ ب] وتوجه كيخدار أفندى وكامل عساكر المرحوم جنتمكان المحروسة .

وأما الموى إليه حبس كامل الماسورين من رجال ونساء ، وزرب لهم زريبة ، ووضعهم فيها ، وجعل يدخل لهم الماء بالجداول ، فمنهم من أبناء الملوك الكرام ومنهم من ذرارى الأئمة الأعلام ، فمنهم من مات بالحبس ، ومنهم من أرسل إلى المحروسة .

ثم فى سنة ١٢٣٩(٢) توجه دفتر دار بيك ولحق بالملك المساعد بين الدندر والرهد بمحل يقال له « مكدور » فقتلهم مقتلة عظيمة بذلك المحل ، وأسر رجالا ونساء وفرقهم بالجزيرة وقتل فيها الشيخ صالح ولد بان النقا ، وانتشرت كتبهم وأموالهم وتفرقت فى الجزيرة ، وكثر السبي والقتل فى البلاد تلك الأيام ، وأقام محمد بيك

(١) عام ١٢٣٨ هـ = ١٨٢٢/١٨٢٣ م .
(٢) عام ١٢٣٩ هـ = ١٨٢٣/١٨٢٤ م .

بام عروق ، وكان الوكيل فى الجزيرة خوجه أحمد ، وغزا فى تلك السنة محمد بيك إلى سبدرات ، وأرسل المأسورين منها من أحرار وعبيد إلى المحروسة .

وقبض فيها العلامة الفقيه إبراهيم عيسى وضرب ، وذلك فى سبب جماعة من أطراف السلطنة ، فجزاه الله خير جزاء ، وله أسوة بمن تقدم من الأخيار ، فذهبوا به وتركوه فى أبى حزار ، وهو صابر بما ابتلاه الله ولم يتزعزع .

ومات بها أئمة أخيار منهم الولى الصالح العالم الفاضل الفقيه أبو إدريس يحيى البصلابى رحمه الله ، وهو جامع بين الحقيقة والشريعة ، ذو عفة وديانة وصيانة وفطانة ، وله مكاشفات يجعلها كتأويل الرؤيا ، وكان دائما ضحكه التبسم ويفتتح حديثه بسبحان الله ، لقد حدثنى من أثق به أنه لما فقد بصره فسأله عن سببه ، فقال خطفه حســود وسيرده الله علىّ ، وكان فقد بصره فى سنة ١٢١٩(١) ورأى فى سنة ١٢٣٧(٢) بصيرا يطالع فى الكتب بحمد الله تعالى .

ومات فيها أيضا شيخ الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة مرشد الطالبين الشيخ أحمد بن الطيب ، وهو ذو كرامات عديدة وإرشادات مفيدة وقال فيه العلامة الفقيه إبراهيم عبد الدافع هذه الأبيات :

عَرِّجْ بِرَكْبِكَ حَادِىَ الأَظْعانِ — وَاحْطُطْ رِحَالَكَ مبتغِى العِرْفانِ
عندَ الفقيهِ مُكَمِّلِ السِّرِّ الذى — قَطَعَ الزَّمَانَ مُرَاقِبَ الدَّيَّانِ
هُوَ بَحْرُ عِلْمٍ بِالغُيُوبِ مُكَاشِفٌ — هُوَ بَدْرُ تِمٍّ ضَاءَ فِي البِلْدَانِ
هُوَ بِالتَّوَاضُعِ وَالخُضُوعِ مُمَيَّزٌ — هُوَ لا يُرَى نفسًا عَلَى إنسانِ
هُوَ لِلمرِيدِ مُهَذِّبٌ أَخْــلاقَهُ — هُوَ مُرْشِدُ الغاوِى الجهولِ الفانِى
هوَ زاهِدُ الدُّنْيــا وحاسِمُ حُبِّها — هُوَ رُوحُ جِسْمٍ عَالِمِ السُّودَانِ

(١) عام ١٢١٩ هـ = ١٨٠٤/١٨٠٥ م .
(٢) عام ١٢٣٧ هـ = ١٨٢١/١٨٢٢ م .

هُوَ خَتْمُ جَمْعِ العارفينَ بِقُطْرِهِ ... أهْلِ الكمالِ مواردِ الظمآنِ
هُوَ أحمدُ الفضْلِ الإمامُ المُرْتَضَى ... هُوَ طَيِّبٌ أُعْطِى رِضَى الرَّحْمانِ
هُوَ وَارِثُ القُطبِ الشهيرِ محمـدٍ ... كنزِ الهدايةِ شَيْخِهِ السَّمّانِ
ولقَدْ حَوَى السمانُ فاعلم سِرَّهُ ... عَنْ مصطفى البكريِّ ذِى الإتقانِ
عنْ سادةٍ غُرٍّ فشتْ أسرارُهُمْ ... عن إرْثِ قُطْبٍ ذَوِى العُلا الجيلانِ
حتّى إلى أنْ قَدْ تناهَى أخْذُهُمْ ... فِى الأنسابِ إلَى النبى العـدنانِ
وَإِلى أمينِ الوحْى عَنْ مَعْبُودِنا ... ذِى الكبرياءِ الواحدِ المنانِ
قومٌ كرامٌ نعمَ من يُعْزَى لَهُمْ ... أوْ مَنْ يُحِبُّ إلى مَدَى الأحيانِ
يافَوْزَهُمْ وَصلوا إلى مَحْبُوبِهِمْ ... ولَقَدْ كساهُمْ خلعةَ الرِّضوانِ
هجرُوا مضاجعهم وأفنوا عمرَهُمْ ... فى خـدمةِ الرَّبِّ العظيمِ الشَّانِ
فبجاهِهِمْ أقْفُوا على آثارِهِمْ ... نَهْجِ الرَّسولِ مُرَاغِمِ الشَّيْطانِ
وأكونُ مِمَّنْ يحتوى أسرارَهُمْ ... مِنْ فَيْضِ فَضْلِ الواهِبِ الإحْسانِ
واللهُ يسعدُنِى ويسعدُا إخْوَتِى(١) ... وَيَخُصُّنا جَمْعا بنيلِ أمانِ
ويَذُودُنا عمَّا يُدَنِّسُ عِرْضَنا ... فِى الدِّينِ والدُّنْيا بِسِتْرِ أمانِ
ويُنِيلُ كلَّ مُعاشرى ومُصاحِبِى ... فِى اللهِ لا قَصْدَ الحُطامِ الفانِى
وعساهُ يغفرُ زلَّتِى وينيلُنِى ... منهُ الرِّضا والخَتْمَ بالإيمانِ
ثمَّ الصلاةُ على النبيِّ وآلِهِ ... ما غرَّدَ القُمْرِيُّ فَوْقَ البانِ

وأرسل فيها كامل العبيد الذين أخذهم فى الطلوب ، وتهيأوا فيها للنزول إلى المحروسة ، بعد أن أتاهم خبر عثمان بيك ، وتوجهه .

ثم فى سنة ١٢٤٠(٢) حضر عثمان بيك من المحروسة وصحبته عساكر الجهادية وهو أول دخولهم فى الجزيرة ووكيله عثمان أغاه الناظر ومباشره المعلم

(١) فى الأصل (آخرتى) .

(٢) عام ١٢٤٠ هـ = ١٨٢٤/١٨٢٥ م .

ميخاييل أبو عبيد ، وتوجه دفتردار بيك من دار الجمليين ، وتوجه خوجه أحمد ومن معه من الجزيرة .

وكان دخول عثمان بيك فى شهر صفر الخير ، وأقام [٢٥ — ب] بأم درمان أياما ، ثم قطع ونزل بالخرطوم ، وكانوا منتظرين قدومه إلى واد مدنى ، فهيأوا له الضيافات بالمنازل المعلومة ، فأقام بالخرطوم فقابلوه بها الشايخ وكامل أرباب الأشغال وقابله الشيخ شنبول قبل الكل فأكرمه وكساه على كامل البلاد من حجر العسل إلى حد الصعيد .

ثم جاءه الشيخ عبد الله ولد عمر فقتله بالمدفع ، وتوجه نحو واد مدنى وأمر عثمان أغاه الناظر بقتل الفقيه أرباب ولد الكامل ، فقتل بالمدفع .

وأما المومى إليه فإنه نزل بواد مدنى ، وأزعج فيها البلاد وضاقت على العباد ، وفرقوا عليهم الطلوب وخرجت الحوالة واشتد الكرب وأحاطوا الحلالات وخلصوا الطلوب وظهر الجرك ، وظهر فيها الغلاء الشديد وعلة الجدرى وعمّا فى البلاد شرقا وغربا ، وهربت الناس إلى نحو القطارف [القضارف] فلحقهم إبراهيم أفندى فقتلهم مقتلة عظيمة ، ولما كثر فيهم القتل طلبوا الأمان ، فجملوا يجمعونهم حلقا حلقا ويقتلونهم ، وتشتت العباد فى تلك الأيام من البلاد .

ثم مرض المومى إليه وكان تارة بالبحر وتارة بالخيمة إلى أن بنوا له قصرا فمات رحمه الله فى شهر رمضان ، وخُفى أمره على العساكر والفلاحين ، وأقام عثمان أغاه فى مصالح الجهادية فأتاهم محو بيك من بربر ونزل بالشرق بحلة حمد وأقام بها أياما ثم رجع إلى بربر ، ورجع بكامل عسكره وأقام بالخرطوم وذلك فى سنة ١٢٤١ .

ورفع فى تلك المدة الطلوب من الأهالى وتوجه نحو القطارف [القضارف] وفتح الطريق للمسلمين بالسفر إلى العيش ، وتوجهوا ، ومنع عساكر الجهادية

مما كانوا عليه من الأفعال وارتاحت أيامه الناس حتى تكاملت لهم النعمة فى مدة ولى النعم خورشيد بيك .

ثم إن محوبيك أقام بالقطارف [القضارف] وسافرت الفلاحون نحوه . وهم فى شدة وتعب فنفس عليهم الكرب ، وأغاثهم من شدة الجهد والتعب ، وكانت سيرته مرضية مع الرعية ، إلا أن حوله جماعة من البيرقية مخالفون لأمره عاملون بمقتضى رأيهم ، ونزلوا بقبة الشيخ خوجلى بالشرق نخربوها ومن حولها فى أسرع من لمح البرق .

وولى فى مدته القضاء العمدة الفاضل الفقيه إبراهيم عبد الدافع .

ومات بها أجلة أخيار علماء أبرار عاملون ولربهم خاشعون وقدر ثام الفقيه إبراهيم عبد الدافع بقصيدة وأجاد فيها نفعنا الله بهم آمين .

اليومَ أصبحَ رُكْنُ الدِّينِ مُنْهَدِماً   بِمَوْتِ إخْوَانِنا فى الله والعُلَمَا
وَأَظْلَمَت أرْضُنَا حقًّا وَقَدْ خَمَدَتْ   نَارُ الكِتَابِ وَضَاعَ العِلْمُ وانْعَدَمَا
والدَّهْرُ أفْجَعَنَا فِى الشَّيْخِ قُدْوَتِنَا   إمَامِ مِحْرابِنَا الحَبْرِ الرَّضِى شِيَمَا
والنَيِّرَانِ مَعًا غَابَا وَقَدْ أفَلَتْ   زُهْرُ النُّجُومِ وَصِرْنَا فِى شَدِيدِ عَمَا
كَانُوا عَلَى ظَهْرِهَا فِى الصَّفِّ يَقْدُمُهُمْ   إمَامُهُمْ لِيَنَالُوا الأَجْرَ مُغْتَنِمَا
وَالآنَ فِى بَطْنِهَا صَارُوا كَحَالَتِهِمْ   فِى مَسْجِدٍ مِثْلَ مَا الأفْلاكُ فَوْقَ سَمَا
وَزَالَ وَقْتُ صَلاةِ الخَمْسِ فِى مَلأٍ   مَدَّ الزَّمَانِ وَصَارَ الوَصْلُ مُنْصَرِمَا
وانْبَتَّ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِمَسْجِدِنَا   مِنْ مَعْهَدِ الخَوْجَلِى القُطْبِ وانْحَسَمَا
وَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِقُبَّتِنَا   مِنْ بَهْجَةِ الدِّينِ والدُّنْيَا وَقَدْ عُدِمَا
وَاخْتَلَّ مَا كَانَ مَوْجوداً بِقَرْيَتِنا   مِنَ السُّرورِ وأضحى الآن مُنْفَصِما
دِيارُنا بَعْدَ ما كانَتْ مُعَمَّرَةً   منهمْ غدَتْ مسكنَ الطَّاغِينَ والظُّلَمَا
كُنَّا زماناً يجِيناَ الرَّكْبُ من بُعُدٍ   إلى العُلُوم وللقرآن والحِكَما(١)

(١) فى الأصل (الحكم) .

صِرْنا طعاماً بلا مِلْحٍ يلذُّ بهِ   تعافُهُ أعينُ الرائى ومَنْ طَعِما
كَأنَّنَا قَطُّ ما كُنَّا ببلدتِنا   يُقَرِّرُ العِلم جَهْرًا لَيْسَ مُنْكَتِما
والدَّهْرُ فى غفلةٍ عنَّا ويحسُدُنا   على الَّذى عندنا الجيرانُ والخُصَما
وقَدْ بكَيْنا دماً والمَوْتُ فَرَّقَنَا   بَعْدَ التَّدانى وسالَ الدَّمْعُ وانْسَجَما
فَمَنْ إلَى العِلْمِ فِى الآفاق ينشرهُ   ومنْ يقومُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ مُلتزِمَا
وَمَنْ يُرَتِّلُ لِلقرآنِ فى سَحَرٍ   ومن يقومُ يناجى اللهَ مُحْتَشِما
ومنْ يعلِّم أطفالاً عَدَتْ عَمَلًا   ومن لَدَى الخَلْقِ طرًّا كانَ محترَما
ومَنْ إلى الصَّلَواتِ الخَمْسِ يحفظُها   مبادِرًا وقتَها مادامَ مُزْدَحِما
ومَنْ إذا أعانَ الدَّاعِى بحَىَّ أتَى   مُهَرْوِلًا خاشِعًا للهِ ملتثِما
ومَنْ إلى النَّفْلِ بَعْدَ النَّوْمِ يوقِعهُ   مشمِّرًا عمرُهُ لا يَخْتَشِى سَأَما
ومَنْ يُلازِمُ أذكارَ الصَّلاةِ عَلَى   خَيْرِ البريَّةِ طُولَ الدَّهْرِ مغتنِما
ومنْ لِسَرْدِ صيامٍ فى الهَوَاجِرِ أوْ   مَنْ لِلعبادِ بُعَيْدَ السَّادَةِ العُلَمَا
ومَنْ به نَلْتَجِى فى نُجْحِ دَعْوَتِنا   وقدْ حَكَى عندنا رُكْناً وملتزَما
ومَنْ بهِ نَشْتَفِى مِنْ ضُرِّ أنْفُسِنا   ومَنْ يُقَابِلُ كُلَّ النَّاسِ مُبْتَسِما
ومَنْ بِنَغْمَتِهِ فِى اللَّيْلِ يُوقِظُنا   فِى سَرْدِ دُرٍّ مِنَ الأمداحِ مُنْتَظِما
أللهُ أكبرُ عادَ الدِّينُ مغترِباً   كما بدَا أوَّلًا يا صَاحِ مُكْتَتِمَا
نَصُّ الحَدِيثِ أتَى عَنْ سَيِّدِ الشُّفَعا   بِكُلِّ هذا مقالًا لَيْسَ مُتَّهَمَا
فقالَ لا يُقْبَضَنَّ العِلْمُ مُنْتَزَعًا   مِنَ العِبادِ ولَكِنْ تَقَدُّمُ العُلَما
فَعِنْدَ ذلكَ يفتى ذُو الجَهالةِ كَىْ   يَضِلَّ نَفْسًا لهُ بالجهلِ والأثَما(١)
وَاشَقْوَتِى بَعْدَ ساداتٍ تَغَوَّلَهُمْ   رَيْبُ المَنونِ فَوَاحُزْنَاهُ واندَمَا

(١) فى الأصل (والأثم) والصواب ما أثبتناه وهو معطوف على نفسا .

اللهُ يَأْجُرُنِى فِيهِمْ وَيُنْزِلُهُمْ ... بِجَنَّةِ الخُلْدِ مَأْوًى لَيْسَ مُنْهَدِمَا
ويجعلُ الهَدْىَ والتَّوْفِيقَ مُعْتَمَدِى ... ما دامَ عُمْرِىَ بِالإيمانِ[1] مُخْتَتِمَا
كُلُّ المَصائبِ أمْرٌ عِنْدَنا سَهْلٌ ... غَيْرَ ابْنِ عِيسَى الأَبَرِّ عَالِمِ العُلَمَا[2]
وَيَجْعَلُ الفاضِلَ المَشْهورَ عُمْدَتَنا ... خَلِيفَةَ الشَّيْخِ مَحْرُوساً ومُحْتَرَمَا
وَيَكْلأُ النَّفَرَ الباقِينَ إِخْوَتَنا ... فِى الأَخْذِ عنهُ مَصَابِيحَ الدُّجا الكُرَمَا
ثمَّ الصلاةُ عَلَى المُختارِ سيدِنا ... نبيِّنا مَنْ إلى الإرْسالِ قد خَتَمَا[3]
والآلِ والصَّحبِ والاتباعِ ماطلَعَتْ ... شمسُ النهارِ وما بَرْقٌ قدِ ابْتَسَمَا[4]

رحم الله الجميع ونفعنا بهم ، وقد ذكرهم بأسمائهم واختصرنا ذلك خوف الملل ، فنهم خليفة الشيخ خوجلى هو محمد بن محمد نور والفقيه السيد ولد حماد وشيخ إدريس ولد دفع الله والفقيه محمد زروق وغيرهم نفعنا الله ببركاتهم.

وأما محو بيك فإنه رجع من القطارف [القضارف] وحضر صوم رمضان بالخرطوم والغلاء باق[5] فى تلك الأيام على الأمة ، وكان وكيله خليل أغاه ، خزندار متاعه فأتاه خبر العزل ، فسبحان مالك الملك العظيم .

(١) فى الأصل (وبالإيمان) بزيادة الواو .
(٢) فى الأصل (العالم العلم) .
(٣) فى الأصل (ختم) .
(٤) فى الأصل (ابتسم) .
(٥) فى الأصل باق .

ذكر مجيء المظفر المعان سيف دولة آل عثمان

[٣١ ـ ا] معمر الديار الفنجية ، من أنعم الله به على الرعية ، ولى النعم خورشيد بيك وذكر منازيه ، وما حصل فى مدته من الحوادث والراحة للمسلمين ومن مات فيها من الأفاضل ، وسنذكره إن شاء الله على حسب الفهم .

فأول مجيئه فى أواخر سنة ١٢٤١[1] فى آخر شوال ومعه مغروس نعمته يوسف أغاه خزينداره ، ومعه أيضا القمرين النيرين السيد أحمد أفندى السلاوى قاضى بلاد السودان والسيد محمد أفندى البليدى المفتى وكلا منهما ذو باع طويل فى جل العلوم .

ولما جاء المشار إليه نزل بأم درمان ، وقبل حلوله خرج له محو بيك فتلقاه بالجانب الغربى ، فأقاما هناك أياما ؛ وتلقته المشايخ والفلاحين فقابلهم بالبشرى والترحيب وطلاقة الوجه والأمان ، وأطلق كل من كان فى السجن من الرهاين المحبوسة من مدة المرحوم عثمان بيك ؛ وكان أول ما حصل من خصاله المحمودة أنه أمر كامل المشايخ أن يكتبوا ما عندهم من العمارة الموجودة لأنه وجد البلاد فى غاية الخراب من الغلاء وغيره ، ولولا أن من الله علينا به لصارت البلاد كديار ثمود وعاد ، وأمر بالمكاتبة لساير الهربانين بالرجوع إلى الأوطان ، وكان فى مكاتبته يذكر لهم الراحة التامة والعمارة ولا تحسبونا مثل من كان قبلنا ، إنما جينا لنعمر آخرتكم كما نعمر دنياكم ، فكان منه ذلك بفضل الله تعالى فعمرت فى زمنه المساجد بعد اندراسها وأحيي الشريعة وقوم أساسها ، فكان كامل أموره وأحكامه على يد الشارع ، وكان للفلاح كالأب بل هو أشفق وأبر ، ومكاتبته تلك الأهالى البلاد قبل دخوله الخرطوم ، وذلك لما فيه من الشفقة على الرعية والرأفة بالأمة المحمدية ، فجزاه الله خير جزاء .

(١) آخر شوال ١٢٤١ هـ = يونيه سنة ١٨٢٥ م .

وتوفى فى تلك السنة شيخ الإسلام العالم العامل مرشد الطالبين ومحيي شريعة سيد المرسلين من أفنى عمره فى طاعة الله وإصلاح المسلمين الفقيه أحمد بن عيسى وذلك فى آخر السنة فى شهر الحجة الحرام ، رحمه الله آمين ، وله مناقب كثيرة وفضايل شهيرة ويكفى منها بذله للعلم ، وصبره على الأذى ، وذلك أجل مناقب الكرام ، وله مكاشفات يحكيها كالحكايات ، وقد رثاه أيمة أعلام بقصايد فمنها قصيدة السيد أحمد أفندى السلاوى(١) قاضى بلاد السودان فقالها بعد كلام منثور تلين له صم الصخور وهى :

إن عزَّ صَبْرٌ فما للدَّمع منسكِبُ … أو جلَّ خطبٌ فما للبحر مضطربُ
أو عمَّ غيمٌ على شمسٍ بها استترَتْ … أنوارُ أُفقٍ بها الأنواءُ تكتسبُ
لمَّا نُعينا بمَنْ فِي الفضْلِ كانَ على … ظهرِ السِّماكِ والأجداثِ يصطحِبُ
[٣١-ب] جليلُ فضلٍ غدا وعلْمُهُ قدْ بدَا … وكانَ فى عُمْرِهِ لِلَّهْوِ يجتنِبُ(٢)
شَمْسُ العلوم غدَتْ من بعدِ مطلعها … تحتَ الترابِ فكيفَ العجمُ والعربُ
بأحمدٍ نجل عيسى حلَّ خطبٌ عَلَى … كُلِّ البِقاعِ فيا للدهرِ يا عجبُ
علَّامةٌ قد سَما فهَّامة قد نما … درَّاكة قد حما ورحبه رَحِبُ
لكنَّما قدرُ القهَّار يمضى عَلَى … رغمِ العبادِ ومَنْ للصَّبرِ يكتسبُ
صبراً أخَيَّ على مصيبةٍ عظمَتْ … لكنها سهل إذْ كانَ منكَ أبُ
مَنْ كنتَ نجلا لهُ دامتْ محامدُهُ … فالعلمُ والفضلُ عنكَ ليس يَنْسَلِبُ
فاللهُ يمنحكَ الأجورَ أجمَعَها … مَعَ التُّراثِ وخيرُ إرثكَ الحسَبُ
لولا متابعةُ المختارِ فى سُنَنٍ … لمَا تعزَّيْتَ إذْ قد زَانَكَ الأدبُ
فاحفظْ لكتبِ أبيهِ وللمصالح كىْ … تحظى بصُحْبَتِها والعمدةُ الكتُبُ
وعندنا غرَضٌ عندَ اللقاء بكمْ … نبديهِ علَّ بهِ الإملالُ يجتنَبُ

(١) فى الأصل السيد احمد افندى ، اضيف (السلاوى) للتوضيح .
(٢) هكذا البيت فى الأصل ووزنه غير مستقيم عروضا ، ولو قال « والعلم منه بدا » لاستقام الوزن والمعنى .

معَ السلامِ علَى كلِّ المشايخِ معْ … نجلٍ لنورٍ ومَنْ لهُ بِكُمْ نَسَبُ

وقال حرسه الله وحماه بعد كلام طويل إن الناس أسوة فى التعزية فيه لا كنه [لكنه] لا يعزى فيه أحد لأنه ما مات إنما انتقل من دار الفنا إلى دار البقا إلى جنة عرضها السماوات والأرض وهى دار البقا ، وخاف أسدا من صلبه وأسودا من روحه أسكنه الله فراديس الجنان وأنم عليه بخيراته الحسان بجاه المختار ولد عدنان :

وما هذهِ الأيامُ إلَّا مراحِلٌ … يحثُّ بها حادٍ منَ الموتِ قاصِدُ
وأعجبُ شىءٍ لو تأمَّلْتَ أنها … منازلُ تطوَى والمسافِرُ قاعدُ

وقد رثاه أيضا تلميذُه وابن روحه الفقيه إبراهيم عبد الدافع نايب الشرع بقصيدة فقال :

بَكَى السَّماءُ وعمَّ الأَرْضُ بالمطرِ … بعد الكُسوفِ لشمسِ العلمِ والقمرِ
والدَّمعُ سالَ على الخدَّينِ منحدرًا … كالسَّيبِ فى الدِّيمةِ المطْلاءِ والنُّهُرِ
وحلَّ بالناسِ خطبٌ لا نظيرَ لهُ … بموتِ شيخِ الهُدَى المحمود فى السِّيَرِ
شيخِ السُّلوكِ وقُطبِ الوَقتِ مفردِه … إمامِ كلِّ بنى سِنَّارَ والقُطرِ
عَلَّامةِ العصرِ مجدِ الدِّينِ ناصرِه … بنشرِهِ الفقهَ طولَ الدَّهرِ والعُصُرِ
كنْزِ الهدايةِ مِصْباحِ الوِلايةِ فِي … حَضَائرِ القُدْسِ من أهلِ الوَلَا الخُيُرِ
خُلَاصةِ السَّادةِ الأنصارِ زُبْدَةِ مَنْ … بَثَّ العلومَ لدَى الآصال والبُكَرِ
سِراجِ أمةِ خيرِ الخلقِ عمدَتِها … وتاجِ عزِّ ذوِى العَليا بلا نُكُرِ
مِعْراجِ أرواحِ أهْلِ الصِّدْقِ سُلَّمُهُمْ … إلى طَرِيقِ الهُدَى المَحْمِىِّ مِنْ ضَرَرِ
مُهَذِّبِ الخُلْقِ والأخْلَاقِ مُرْشِدِ مَنْ … لَوْلَاهُ آلَ بِهِ جَهْلٌ إلَى سَقَرِ
مُلَثَّمِ الرَّأْسِ مِنْ وَقْتِ الشَّبَابِ إلَى … سِنِى المَشِيبِ حَيَاءً مِنْهُ فِى العُمُرِ
مكاشِفٍ بِغُيوبٍ لَيْسَ يَدْخُلُها … شَىْءٌ مِنَ اللَّبْسِ بَلْ بِاللَّحْظِ وَالنَّظَرِ
بَقِيَّةِ السَّلَفِ المَاضِينَ صَفْوَتِهِمْ … وَقُدْوَةِ العَارِفِينَ الأَنْجُمِ الزُّهُرِ

رَوْحِ الحياةِ حياةُ الرُّوحِ صُحْبَتُهُ   وَراحَةُ النَّفْسِ فِي رُؤْيَاهِ بِالبَصَرِ
مَنْ مِنْهُ فاضَتْ عُيونُ العِلْمِ وَانْبَعَثَتْ   جُيُوشُ أَسرارِهِ فى البَدْوِ وَالحَضَرِ
خِتَامُ مِسْكٍ لِمَنْ إِرْثَ العُلُومِ حَوَى   عَنْ سَيِّدِ الرُّسْلِ خَيْرِ الخَلْقِ وَالبَشَرِ
مُكَمَّلُ السِّرِّ مَنْ كانَ الزَّمانُ بِهِ   مُجَمَّلًا وَمُحَلَّى الرَّأْسِ بِالدُّرَرِ
وَالوَقْتُ كانَ رَبيعًا وَالبِلَادُ بِهِ   مُبْيَضَّةُ الوَجْهِ وَالأَيَّامُ كالغُرَرِ
وَمَجْلِسُ العِلْمِ فِي سِنَّارَ كَانَ بِهِ   كالرَّوْضِ حِينَ يُرَى فِي أَجْمَلِ الصُّوَرِ
وَالآنَ سِينُ سُمُوِّ البَدْرِ قَدْ حُذِفَتْ   وَعَادَتِ النَّارُ تَرْمِي النَّاسَ بِالشَّرَرِ
تَمامُهُ أَفْجَعَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا   وَصَيَّرَ الإِبْنَ وَالأَصْحابَ فِي كَدَرِ
لَمَّا نعاهُ لَنَا مَنْ جاءَ يُخْبِرُ عَنْ   مُصَابِهِ قِيلَ هٰذَا أَعْظَمُ الكُبَرِ
وَقِيلَ هٰذَا زَمَانُ الشَّرِّ حَانَ وَقَدْ   بَانَتْ سُعادُ وَهٰذَا آخِرُ الخَيْرِ
أَللهُ أَكْبَرُ مَنْ لِلنَّاسِ يُرْشِدُهُمْ   وَالحُكْمُ لِلّٰهِ كُلُّ الأَمْرِ عَنْ قَدَرِ
[٣٢ب] وَمَنْ إِلَى السُّنَّةِ الغَرَّاءِ يَحْفَظُهَا   مِنْ بَعْدِ حَبْرٍ ذَوَى فِي بَاطِنِ الحُفَرِ
ماذَا أَقولُ وَإِنِّي عَنْ محاسِنِهِ   لعاجزٌ وقصيرُ البَاعِ وَالنَّظَرِ
نُقِرُّ بالعَجْزِ لو كانَتْ قَصائِدُنَا   يُعِدُّها البَحْرُ وَالأَقْلامُ مِنْ شَجَرِ
أَللهُ يَأْجُرُنَا فِيهِ وَيُجْلِسُهُ   بِمَقْعَدِ الصِّدْقِ فِي الجَنَّاتِ وَالنَّهَرِ
وَيُخْلِفُ الخَلَفَ النَّجْلَ الَّذِي ابْتَهَجَتْ   بِهِ المَدارِسُ بَعْدَ الشَّيْخِ فِي الأَثَرِ
وَيُسْعِدُ الجَمْعَ مِنَّا ثُمَّ يُلْحِقُنَا   بِمَعْشَرِ العُلَمَا فِي كُلِّ مُفْتَخَرِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَتَسْلِيمُ الإِلٰهِ عَلَى   خَيْرِ الوَرَى أَحْمَدَ المُخْتَارِ مِنْ مُضَرِ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَالأَتْباعِ ما ذُكِرَتْ   بَكَى السَّماءُ وَعَمَّ الأَرْضَ بِالمَطَرِ

وقد رثاه أيضا تلميذه الفقيه الصديق فقال :

أهالَنا حَدَثٌ أَعْمَى به البَصَرُ   وَعَمَّنا وَجَلٌ يَهْمِي بِهِ المَطَرُ
لَنا مُصابٌ عظيمٌ كانَ يُعْظِمُهُ   أَجِلَّةٌ مَا لِقَلْبٍ مِنْهُ مُصْطَبَرُ
فَشَيْخُنا أَحْمَدٌ قَدْ ضَاءَ جَوْهَرُهُ   إِذْ أَمَّهُ مَلَأُ الأَمْلَاكِ وَالقَدَرُ

تَنْعِيهِ كُلُّ علومِ الدِّينِ ناشِدَةً   نِدَاؤُهُمْ هٰكَذا يَا أَيُّهَا القَمَرُ
مَنْ قامَ بالشَّرْعِ وَالتَّدْرِيسِ مُجْتَهِدًا   وَقامَ بِالعِلْمِ فَرْدًا كانَ لَا وَزَرُ
لَهُ أيادٍ بتصريفِ العُلُومِ إِذَا   ضاقَتْ مَذاهِبُنا أو حارَتِ الفِكَرُ
أَبانَ فى مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ مُشْتَبِهًا   وَقد نَحَى لِأُصولِ الدِّينِ يَأْتَمِرُ
مُحَقِّقٌ كامِلُ التَّحقيقِ ذُو أَدَبٍ   وفي الحديثِ لهُ التَّقْدِيمُ والنظرُ (١)
طويلُ باعٍ لفقهٍ لَا مِراءَ لَهُ   سليمُ قلبٍ لهُ العلياءُ والظَّفَرُ (٢)
وآلَةُ العِلْمِ يبديها محققةً   صَرْفًا ونَحْوًا بَيانًا زانَهُ نَظَرُ
يَجْلو بِهِ مشكلًا عضِلًا وَيَكْشِفُهُ   بصيرٌ متَّضِحًا للفهمِ يَدَّخِرُ
أَحكامُهُ شاهِداتٌ عنْدَ رُؤْيَتِهَا   بأنَّهُ خيرُ مَنْ يقضِي ويَقْتَدِرُ
وبعدَهُ صارتِ الأحكامُ مقفلَةً   لولَا وِراثَةُ (إبراهيمَ) والغُرَرُ
فَمِنهمُ أَعجمٌ يقفونَ إِثْرَهُمُ   ومنهمُ سلكوا التَّدْرِيسَ فابتدَرُوا
ومنهمُ عجمٌ راحُوا بلادَهُمُ   ومنهمُ العربُ الأقمارُ والزُّهُرُ
فكلهم صالحونَ ، اللهُ يهديهمُ   عامي الجهولِ ومَنْ يأوى وينتصِرُ (٣)
ونجلُهُ العلَمُ المذكورُ سار علَى   آثارِ والدِهِ يقفُو ويقتدِرُ
على هُدَى الأقدمينَ الغُرِّ منهجُهُمْ   عِلْمًا وتقوى وفَضْلًا مَا بِهِ نُكُرُ
شيخُ الشيوخِ وعِرفانُ المَعارِفِ أو   كَنْزُ الكنوزِ وبحرٌ لَفْظُهُ الدُّرَرُ
سُلْطَانُ مَمْلَكَةِ الدِّينِ الحنيفِ وَمَنْ   لِبَاسُهُ الذكرُ والتنزيلُ والشُّكُرُ
قُطْبُ الوُجُودِ وَزَيْنُ الأولياءِ هدى   مُلَثَّمُ الطَّرْفِ رَبْعٌ زَانَهُ النُّوَرُ
نَقِيُّ عِرْضٍ ، عَفِيفُ الدِّينِ لَا دَنَسٌ   يُشَابُ مِنْه وَلا فِي شِبْهِهِ غِيَرُ
لَهُ المَكارِمُ والأخلاقُ كامِلَةً   بِهَا يَسُودُ عَلَى الأَقْرَانِ إِنْ ظَهَرُوا
عَمَّ الوَرَى حِلْمُهُ العَذْبُ الرَّحِيقُ وَهُمْ   لَهُ عِيَالٌ كَمَا لِلنَّاسِ مُدَّخَرُ

(١) فى الأصل « ذا أدب » .
(٢) فى الأصل « لامداء » ولعله يريد (لامدى له) المقصور فهمزه .
(٣) كذا الأصل : ولعل الصواب (على الجهول) .

كَمَّلْتَ عُمْرَكَ إِمَّا نَاشِرًا لِهُدًى ... أَوْ نَافِعًا لِفَتًى قَدْ مَسَّهُ الضَّرَرُ
وَمَنْ يَكُنْ مِثْلَ هٰذَا تِلْكَ حَالَتُهُ ... يَزْكُو وَيَنْجُو وَيَلْقَى اللهَ وَهُوَ عَزُ
عن(١) المَلَامِ وَتَقْوَى اللهِ بِضَاعَتُهُ ... فَلَا يَخَافُ وَنِعْمَ الخَيْرُ وَالعُمُرُ
أَبْشِرْ وَبُشْرَاكَ يَا مَوْلَاى لَيْسَ لَهَا ... رَيْبٌ كَمَا يَشْهَدُ التَّنْزِيلُ وَالأَثَرُ
فَنَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا خَتْمَةً وَرِضًى ... لِعَاقِبِ الأَمْرِ يُرْضِينَا فَنَفْتَخِرُ
أَزْكَى صَلَاةٍ وَتَسْلِيمٍ يَحُفُّهُمَا ... رُوحُ الصَّبَا وَنَسِيمُ الرِّيحِ وَالمَطَرُ
عَلَى النَّبِيِّ وَكَذَا يَتْلُوهُ قُرْبَتُهُ ... وَصَحْبُهُ الطَّيِّبُونَ السَّادَةُ الغُرَرُ

وله كرامات مشهورة وعلوم منثورة ثقة فى كل المذاهب والفنون والفروع والأصول نفعنا الله به .

وقد قام بعده نجله إبراهيم فنعم السّلف والخلف وفقنا الله وإياه، وقد جلس للتدريس وهو صاحب [٣٣-ب] أخلاق مرضيه ونفس عن الكبر خليّة؛ وأما المشار إليه فلما استقر به الجلوس بالخرطوم عمت السماء فى تلك السنة بالأمطار وأثمرت الأشجار وحصل النتاج فى البهائم وكل ذلك ببركة نفس الأمير القادم وذلك فى سنة ١٢٤٢ (٢) ثم غزا إلى البحر الأبيض فأصاب ما أصاب منها من الغنم ورجع سالما، ولما تكاثرت الأمطار وانتبهت العباد للعمارة فى البلاد وقد حصل بها تشويش، فأوكل غرس نعمته يوسف أغاه خزيندار وتوجه حوالى دار الأبواب فقبض بها الشيخ بشير ولد عقيد، وحرروا عليه الفلاحين، وأقام هناك إلى أن ارتفع أوان المرض ثم رجع إلى الخرطوم، وغزا غزوة ولد المجبة قبالة سيرو ورجع سالما ثم جمع المشايخ ونظر فى المطلوب فكان أولا على البهايم فعدمت وهلكت، فاقتضى رأيه وحسن سياسته أن يجعل الفدان، فعمله عليهم وأرحمهم به ولحقاه فى تلك السنة الشيخ إدريس عدلان والشيخ عبد القادر الشيخ الزين ببربر فأكرمهم وأمنهم وكان إدريس من مدة(٣) المرحوم إسماعيل باشا، ما قابل حاكماً قط فلما قابله أمنه وأقره

(١) فى الأصل من .
(٢) عام ١٢٤٢ هـ = ١٨٢٦ ١٨١٧ م.
(٣) فى الأصل منمدة .

على الإقامة بجبال الفنج فأقام بها، ثم فى سنة ١٢٤٣(١) غزا المشار إليه غزوة الدينكه(٢) ومات بها موسى كاشف الماون بمقجه بجبال الصعيد وتوفى فيها أخينا الصديق رحمه الله وفيها وقعة الشيخ خليفة ببربر فقتل بها رحمه الله، وكان عزيزاً مكرماً فأنفذ الله حكمه وحصل من الشيخ خليفه ما حصل من نزاع العساكر، وأرسلوا هم يعلموا بذلك ولى النعم خورشيد باشا، فتوجه إليهم بالمواكب مملوءة عساكر جهاديه فوجد خليفة قد قتل فأمن أخاه الشيخ بركة وأقره على أشغال أخيه وفيها خسفت الشمس فى وقت الضحى وأظلم النهار ولكن الخلق حيارى لا يدرون بل هم فى طغيانهم يعمهون إلا القليل، ومات فيها حسن كاشف حاكم قسم الخرطوم ولبس عثمان أغاه الناظر كاشفا .

وفى أول سنة ١٢٤٤(٣) غزا المشار إليه غزوة « فازوغلى » وقتل بعضا من جبال أبى رمله ودخلت هيبته فى قلوب الناس أهالى المطيش وكامل الهربانين وتراجعت الناس وأراح فيها كل من أتاه من المراتب والفلاحين وكان من عادته كل من يأتيه فى تلك السنة لم يوخذ منه مطلوب فتساقطت عليه الفلاحين من كل النواحى من الريف ودار الجعليين وطمعوا فى ظل أمانه، وكان فى تلك المدة وكيله إبراهيم أفندى. وقتل فى تلك السنة عبد اللطيف بقبة الشيخ خوجلى وكان رجلا مشهورا بالفضل فقتلته جاريته وأدهمت أمره فسمع الوكيل بذلك فأرسل إلى كامل أولاد خوجلى فحبسهم بالحديد وضرب منهم البعض ثم سلمهم إلى حسن كاشف حاكم البحر الأبيض وتوعدوهم بالقتل، وأنشد فيها الشيخ إبراهيم عبد الدافع توسلا [٣٤-١] يذكر فيه الشيخ خوجلى والصالحين مستغيثا فقال :-

اليومَ يا خوجلى يا غوثَ مَن ذُعِرا ... أبناؤكَ الغُرُّ مِن بين الوَرى أُسِرا
سُمُّوا لصُوصاً وقالوا إنَّهُمْ قتَلُوا ... تزيلهم فى جوار الناس والفقرا

(١) عام ١٢٤٣ هـ = ١٨٢٧/١٨٢٨ م.
(٢) الدينكه هى قبيلة الدنكا التى تسكن فى منطقة الملكال .
(٣) عام ١٢٤٤ هـ = ١٨٢٨/١٨٢٩ م.

وأبطنت شرَّهم كلُّ الطوائفِ مِنْ   ذوى الصُّدورِ وأهلُ الرَّأى والأُمَرا
والأمرُ أشكلَ والآرآء قد عَمِيَتْ   عَمَّا يقالُ ولا شخصٌ لهمْ عَذَرا
وقد عَهِدْناكَ طَوْداً يستغاثُ بِهِ   لَدَى الشَّدائِدِ والأمرَ الّذى عَسُرا
كَمْ مرَّةٍ صاحَ محزونٌ فكنت لهُ   فى الحالِ خَيْرَ مغيثٍ عندَما قُهِرا
وكم أتاكَ كئيبُ القلبِ فى نُوَبٍ   أعيتْ فجاء لهُ النصرُ الذى انتظِرَا
وكم أجبْتَ بقَفْرِ الأرْضِ منقطعاً   عَنِ الرِّفاقِ وكنتَ العَوْنَ والوَزَرا
وكَمْ لشدَّتهِ ناداكَ مِنْ أَحَدٍ   فِى لُجَجِ البحرِ قد وافاكَ منتصِرًا
لكَ العنايةُ من رَبِّ العِبادِ فَقُمْ   مشمِّرَ السَّاقِ فى تبيانِ من غَدرَا
مُعَيِّنًا شخصَهُ كالشَّمس متَّضِحًا   بلا خَفاء ويَضْحَى دَمُّهُ هدَرَا
وَأنتَ فى الأوليا قطبٌ يشارُ له   لَدَى الأنامِ وممدودٌ من الكُبَرَا
وقيلَ إن كان بالأسرارِ مكتملًا   فَلْيُظْهِرَنْ نجدةً تُرْدِى لمن جَسَرا
إنْ لم تكنْ ناصراً أبناء صلبكَ مَنْ   يَرجوكَ تنجدهُ فى الدَّهْرِ إن عَثَرا
[والشِّبْلُ فى الغيل إنْ ضَيْمٌ لَهُ عَرَضَا   قَامَتْ لنُصْرَتِهِ فى الحِينِ أسْدُ شَرَا](١)
والعِطرُ لا يُقْتَنَى بعد العروسِ ولا   تُخبا الذَّخائرُ بعد البُؤْسِ حَيْثُ بُرِى
والعُرْبُ كانوا إذا جارٌ بهم نَزَلا   حَمَوْهُ بالرُّمْحِ والسَّيْفِ الّذى شُهِرا
وبَيْنَ أرْبُعِكُمْ بلْ عِنْدَ مَسْجِدِكُمْ   ذَلَّ الجِوَارُ وَحَقًّا عَهْدُكُمْ خُفِرَا
وَضَيْفُكُمْ لَعِبَتْ فِيهِ الْعِدَى وَغَدَا   رَهِينَ رَمْسٍ فَهَلَّا سِرُّكُمْ ظَهَرَا
لا غَرْوَ إنْ لَمْ تَقُمْ فِى الحالِ مُمْتَثِلًا   سَهْمَ الإصابَةِ فِى نَحْرِ الّذِى فَجَرَا
وَلا يُزارُ بُعَيْدَ الْيَوْمِ قَبْرُكَ إنْ   وَنَيْتَ عَنْ هٰذِهِ جَزْمًا بِغَيْرِ مِرَا
[٣٤ـب] والخطْبُ قَدْ عَمَّ والأبْنَاءُ قَدْ سُجِنُوا   أَلَا غِيَاثَ لِمَلْهُوفٍ غَدَا حَذِرَا
أَلَا إغاثَةَ قُطْبِ الوَقْتِ تُنجِدُهُمْ   إلَّا الإمامانِ أغْنِى صحبَةَ الوُزَرَا
إلَّا الّذِينَ هُمُ فى العَدِّ أرْبَعَةٌ   أهْلُ الوِلَايَةِ والسِّرُّ الّذِى بَهَرَا

(١) اضيف هذا البيت من ب ص ٣٣ ـ ا .

إلَّا مِنَ البُدَلَا تَأْتِى إغاثَتُهُمْ   إلَّا مِنَ العَشْرِ سَيْفِ النّصْرِ قَدْ شُهِرا
[إلَّا الأئِمَّةَ سَلُّوا عَضْبَ غَارَتِهِمْ   أَلَا مُبِين أَلَا مَنْ قَامَ وَانْتصَرَا](١)
[أَلَا الأُلَى عُدِّدُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ظَهَرُوا   بالانتصار ألَا مَعْرُوفُهُمْ حَضَرَا](٢)
أَلَا يَسِيرُ بِهِمْ يُسْرى بِعَسْكَرِهِ   حِزْبُ الإلٰه الذى نَالُوا بِهِ ظفرا(٣)
[أَلَا الجُنَيْدُ أَلَا الجيلانى يَنْصُرُهُمْ   أَلَا الدُّسُوقِى أَلَا المَتْبُولِى مِنْهُ قِرَا](٤)
أَلَا الرِّفاعِى أَلَا الشهورُ سَيِّدُنَا   أبُو اللِّثَامِ الّذى كَمْ فَكَّ مِنْ أسَرَا
أَلَا مِنَ الشَّاذِلِى نَصْرٌ يُبِينُ لَنَا   أَلَا لِمُرْسِيهِمُ أَسْيَافُ مَنْ قَهَرَا
أَلَا أبُو مَدْيَنٍ يَأْتِى عَلَى عَجَلٍ   أَلَا مِنَ الغَرْبِ أبْطَالٌ مِنَ النُّصَرَا
أمَا إلى الحاتِمى سَيْفٌ يَصُولُ بِهِ   أَلَا مِنَ الشَّرْقِ أعْلامٌ مِنَ الكُبَرَا
أَلَا رِجَالٌ لِنَصْرِ القَوْمِ يَنْتَدِبُوا   مِنَ الّذِينَ هم قَدْ سَرْمَدُوا سَحَرَا
عَسَى بِجَاهِ أُولَاكَ القَوْمِ يُنْقِذُهُمْ   رَبُّ العِبَادِ بِلُطْفٍ يُعْجِزُ النُّصَرَا
نَدْعُوهُ بِالمُصْطَفَى وَالآلِ أَجْمَعِهِمْ   وَأهْلِ بَدْرٍ وَمَنْ آوَى وَمَنْ نَصَرَا
أن لا يَرَى ضِدُّنا ما قَدْ يُسَرُّ بِهِ   وَلا نَرَى دَهْرَنَا فِى عُمْرِنا كَدَرا
وَصَلِّ رَبِّى عَلَى المُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ   شَمْسُ النَّهَارِ وما بَدْرُ السَّماء سَرَى

وقد حصلت بركة الجميع فأنطق الله الجارية وأقرت(٥) بقتل سيدها ، وقتلت به ، وانقذ الله ذرية الشيخ خوجلى ببركة أبيهم نفعنا الله به وبجميع من ذكر فيها ومن لم يذكر من الأولياء . ولما مكن الله تعالى هيبة المشار إليه ورغبته فى المقول أتوا إليه مذعنين من كل النواحى شرقًا وغربًا ولم يزل يواجههم بالبشرى والكساوى لستحقها وراحتهم كما أوعدهم . ثم فى سنة ١٢٤٥(٦) جاء

(١) و (٢) اضيف مابين الرقين من ب .
(٣) هذه الشطرة فى ق كالآتى : حزب الإله الذى مالوا به ظفرا .
(٤) اضيف هذا أيضا من ب :
(٥) ورد فى ب الإضافة بعد لفظة وأقرت العباره التالية : واعترفت بأنها هى التى قتلت سيدها وهو نائم بالسكين ولما اعترفت بذلك قتلها الكاشف المذكور وتتفق مع ق بعد لفظ وأنقذ .
(٦) عام ١٢٤٥ هـ = ١٨٢٩/١٨٣٠ م .

البحر الكبير الذى لم ير مثله وكادت تغرق فيه البلدان ، وجاء فيها العمدة الولى الصالح شيخ الطريقة والحقيقة الشيخ أحمد الريح من الصعيد وفرح بقدومه الخاص والعام وأكرمه الباشا غاية الإكرام وكساه كسوة فاخرة من الخزينة العامره وأمره بالرجع إلى دار المطيش بأن يخبر الأهالى الهربانين به كل من أطاع عليه الأمان ثم توجه المشار إليه [٣٥ ـ ا] نحو أهالى المطيش فألقى الله الرعب فى قلوبهم ولم يقاتلوه فدخل الدار وآمن من وجد وكان صحبته رجب ولد بشير وزقن ؟ وأما من خالف وهرب فأرسل نحوهم العساكر فلحقوا بهم فقتل على ولد طاها [طه] ورجع الباقون بالأمان وأقام ولى النعم هناك وأرسل كامل الهربانين صحبة الشيخ أحمد الريح والمغاربة وكان عدتهم فى ذلك الوقت من كبير وصغير وأحرار وعبيد ما يزيد على اثنى عشر ألف ودخلت هيبته فى قلوب القبايل ، والشيخ محمد ميرى وأهل قبا وغيره وقد مدحه الفقيه على بن الفقيه أحمد بقادى بأبيات فقال :

إلَى البَهجِ السَّامِى الأَحَابِيشُ تَخضَعُ ... وللنَّصْرِ منهُ بارِقُ التَّعيرِ يلمَعُ
وِللأَمْرِ مِنْهُ مُعْرِضُ النَّاسِ يَتْبعُ ... وَلِلْقَوْلِ مِنْهُ قُسُّ قُنْدُرَ يَسْمَعُ
وهِمَّتُهُ فَوْقَ الثُّرَيَّا لَتُرفَعُ ... وعَزْمَتهُ تُرْدِى البُغَاةَ وتَقْمَعُ
وفِى حُكْمِهِ مَا لِلْمَمَازِيل مَطْمَعُ ... وفِى فَتْحِهِ أَرْضَ المَطِيش لَمَجْمَعُ
وَإِنْ صَالَ بِالفُرسَانِ (قجام) تَخْشَعُ ... وقَدْ قَالَ (تكرور) أُطِيعُ وأَنْقَعُ
جَمِيلٌ مُنِيرٌ مُسْفِرٌ نُورُ وَجْهِهِ ... عَلَى عَارِضَيْهِ السَّعْدُ يُزْهِرُ يَطْلَعُ

وأطاع ميرى وخضعت الأحابيش ، وأذعنت الشكرية وطمعت فى العمارة الرعية وانقادت كامل الأهالى ولم يبق بها هارب إلا من مات فى نواحى الصعيد ، وعزل فيها المعلم ميخائيل أبو عبيد المباشر وقدم فيها بشارة عبد السيد مباشراً ولم يتم له أمر.

ثم فى سنة ١٢٤٦ (١) غزا المشار إليه غزوة شلك بالبحر الأبيض

(١) عام ١٢٤٦ هـ = ١٨٣٠/١٨٣١ م .

بنفسه وقتلهم مقتلة عظيمة ما سمعت فى أوايلهم إلا وقعة الملك بادى ولد رباط بهم ، وفيها سافر المعلم مخائيل إلى المحروسة بعد أن عزل وقبض المعلم بشارة وأرسل إلى اللومان بالمنجرة ، وكان الوكيل فى تلك المدة للديوان المعلم عوض ، وفيها منّ الله علينا بقدوم ابن الأطايب الأكرمين الشيخ عبد الرازق من أبى حمد بالريف وكتب لنا كتباً وهو ذو خطٍ جميل ، وتوفى فيها الولى الصالح العامل الأديب الفقيه عبد القادر ضيف الله ودفن بالخرطوم رحمه الله وهو ذو علم فى التوحيد والعَروض وهو من أبكار الفقيه على بقادى رحم الله الجميع .

ثم فى سنة ١٢٤٧ (١) غزا المشار إليه غزوة سيدرات وحاصر العرب حتى حصل الكرب والتعب بعد القتل والخراب فطلبوا الأمان فأمّنهم وأذعنوا بالطاعة لولى النعم ، واذعنت له كامل قبايلهم وصاروا [٣٥ ـ ب] يخدمون كغيرهم من الفلاحين وذلك أمر خصه الله به ولم يتحصل لغيره ، وقد هانت له كل الصعاب وخضعت لصولته الرقاب وبذل نفسه وهمته فى خدمة صاحب السعادة فنال كل المرام والإفادة . وفيهـا هدت الأرض هدة عظيمة يوم الجمعه وقت الضحى وفى تلك الساعة كنا جلوسا مع الشيخ عبد الرازق لكتابة الشمايل فسمعنا من الناس يتكلمون بذلك فأخبرنا من هو كان جالساً معنا أنه سمع ذلك وَحَسّ به حتى اهتزت الأرض تحته وأبنية الجامع وهو ثقة صدوق . وفيها توفى ولى الله الفاضل بضعة الأماثل من جمع بين الحقيقة والشريعة صاحب الكرامات الظاهرة والولاية الباهرة من قال فى حقه القائل :

حلف الزمان لياتين بمثلة ... حنثت يمينك يازمان فكفر

وهو الشيخ محمد مجذوب بن قمر الدين نجل الشيخ أحمد أبو دقن نفعنا الله تعالى به ، وكان المذكور صحب السيد محمد عثمان ثم جاور بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأقام بهامدة وانتقل من الطريقة الختمية إلى الطريقة الشاذلية وهى طريقة أجداده وأخبرنى من سمع منه أن انتقاله بإذن من المصطفى عليه السلام . وله كرامات ظاهره قد

(١) عام ١٢٤٧ هـ = ١٨٣١/١٨٣٢ م .

شاهدها كثير من أهالى بلده لما حضر بالدامر ولم يأته أحد إلا أخبره بما فى مراده وعين ، قبوراً قد دثرت قبل وجود آبائه ، وأخبرنى من حضر فوق ذلك القبر أنه أطعمهم منه سكراً فأكل منه كل من حضر ، وكذلك لما قدم بربر سأل عن قبر الشيخ المصرى وهو لم يشاهده فلما قرب فات على الناس ومشا حتى وقف فوقه ومنها أنه ذات يوم فى حالة المديح وحصلت له حالة وفى يده فنجان قهوة فرمى به فى الهواء وهو ملآن فوقع على حاله لم تقطر منه قطرة على الأرض حتى أفاق وشربه ، وله حكاية مشهورة فى يوم صَيف شديد الحر واجتمعت عليه الناس لصلاة الظهر ولم يطيقوا الوقوف فما خرج إلا وغيم النهار حتى صار عليهم برداً وصلوا وراءه ولم أذكر القصة على وجهها لجهلى بها بل على سبيل التبرك عناقبهم ، ولما قطع إلى الفقراء الغبش بالغرب للزيارة وحضر وقت صلاة فقدموه لها وأقيمت الصلاة وأراد الإحرام التفت إلى ورائه ونادى الحاج حمد المأمون وقال له : أتتك نفحة أوعاها فذكروا أنهما مرضا من تلك الساعة . وله تآليف تشهد على فضله منها شرح الشمايل وغيره .

وفى سنة ١٢٤٨[1] توجه فيها ولى النعم إلى نواحى كردفان فى شهر الحجة ورجع عن قريب وفيها أن السيد أحمد أفندى قاضى بلاد السودان حصل له القرب من ولى النعم والمزية التامة والقبول ونفع فى الديوان السيد الخاص والعام من مشايخ وفلاحين ، وحكامهم الموحى إليه من أرباب الديوان فرفع [٣٦ ـ ١] بكلمته كثيرا من بيوت الدين وأراح جماً من المسلمين وهو صاحب كرم وسخاء وبذل وعطا وصفاء نية وله فى أهل بيوت الدين رغبة واعتقاد . وكان لم يتعرض لأحد بسوء فى الديوان وربما كان قريب الرضا إذا غضب . وقد شرح الأربعين النووية شرحاً أطنب فيه وأجاد واختصر الطريقة المحمدية متناً وشرحاً والكل كان لم يعنوا به ماخلاه جاء به من هناك من مؤلفاته ، وسلم ، والله أعلم ، فى تلك السنة وفيها بعدها المحكمة الشرعية إلى الفقيه

(١) عام ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢/١٨٣٣ م .

إبراهيم عبد الدافع والسيد محمد أفندى المفتى فقام بها أحسن قيام وأتقنا ما خفى ودق من أمورها على التمام ، وفقنا الله والجميع لما يحبه ويرضاه بجاه نبيه الشفيع .

ثم فى سنة ١٢٤٩[1] جاء الأمر إلى المشار إليه من صاحب السعادة بأنه مير اللواء وفيها أيضا جاءت البشرى بالمديرية وفيها عمل الفرح والطرب العظيم الذى لم يسمع السامعون بمثله لأولاده وذلك من أواخر شهر الحجة الحرام بسط الموائد وبذل الطعام وأرسل إلى كامل الكشاف والمشايخ بالأقسام وأجرى عليهم تلك الموائد الفاخرة والأطعمة الباهرة إلى مستهل محرم الحرام من تلك السنة وحضر كل غايب وبعيد من سافل وصعيد ثم وضع الوليمة العظمى وبسط عليها موايد الكرما وجمع ساير العلماء من أحرار وعبيد إلا من لم يحضر فى تلك الساعة ، ومد لهم سماطين من داخل القصر وعلى بابه واجتمعت الخلايق أفرادا وأزواجاً[2] فأكلوا وتركوا كل شىء من الأطعمة على حاله ، ثم أمرهم بأخذه فأخذوا البعض وتركوه على حاله[3] ويكفى من كرمه خدمته ذلك اليوم بنفسه ووقوفه على كل من كان على السماط . وفيها خسف القمر ليلة النصف من شعبان وتساقطت النجوم إلى قرب طلوع الشمس وحصل الوبا فى ساير البهايم .

وتوجه فيها المشار إليه إلى نواحى الروصيرص ، ثم فى سنة ١٢٥٠ توجه المشار إليه إلى نواحى شندى وصحبته قاضى بلاد السودان ونايب الشريف[4] الشيخ إبراهيم واجتمعت عليه حكام الاقاليم من بربر ودنقله وكردفان وتوجه ولى النعم منها إلى دنقاه ورجع كامل من معه وتوجه إلى المحروسة المحمية وقابل بها صاحب السعادة وألبسه باشا على كامل الأحكام السودانية ورجع بحمد الله سالماً وبالقبول ونيل المقصود وغانماً وفيها توفى أخونا المرحوم الفقيه محمد حمد رحمه الله وكان تقياً خاشعا تالياً لكتاب الله واقفا عند حدود الله وله معرفة فى مختصر الشيخ خليل رحمه الله . ورفعنا فى تلك السنة من خدمة الديوان فى شهر القعدة الحرام وكان دخولنا الخرطوم واستخدامنا فى

(١) عام ١٢٤٩ هـ = ١٨٣٣/١٨٣٤ م .
(٢) غير واضحة فى الأصل لأنها نقلت رسما ويبدو أنها كما موضح أعلاه .
(٣) الوليمة كانت لختان أبناء الحكمدار كما جاء فى ب .
(٤) نائب الشريعة .

الديوان سنة ١٢٤٠[1] ليلتين خلتا من شهر صفر الخير صحبة الشيخ شنبول وقيدنا بالديوان فى شهر ربيع السنة المذكورة إلى سنة ١٢٥٠[2] ، وعاشرنا أهل البلاد أحلى معاشرة وعاصرناهم أحلى معاصره ، فما من أحد إلا وكان لنا صديقا ومالت لبعضها الطبايع وجبات [٣٦ ـ ب] النفوس على حب المنافع ولما تكدر صفو العيش تبين الصدق من الغش فما من صديق إلا وظهر منه تعويق فنهم من بارز بالقبايح ومنهم من وجد كالسراب اللايح ومنهم من تربص بنا الدواير وكان لفتنتنا مناظر فأسبل الله ستره العميم وغطى به عيب عبده اللئيم فلله مزيد الحمد والشكر والتكريم . وقال الشاعر :

النَّاسُ إخوانُ مَنْ وافَتْهُ دولتُهُ ... وهُمْ عليهِ إذا عادتْهُ أعوانُ
إنْ قلَّ مالى فلاخِلٌّ يصاحِبُنِى ... [أوزادَ] [3] مالِى فكُلُّ النَّاسِ خِلَّانُ
كَمْ مِنْ لئيمٍ لأجْلِ المالِ يَصْحَبُنِى ... وصاحبٍ عندَ فَقْدِ المَالِ عَادَانِى[4]

فبهذا فليعتبر العاقل الأريب ولا يتخذ فى هذا الزمن صديقا ولا حبيب وهذه حكاية مناسبة لما تقدم من هذا الكلام منقولة من كتب الأفاضل الكرام ، وهى من كتاب حلية الكُرما وبهجة النُّدما . وهى حكاية لطيفة المعانى عذبة المجانى ، من أقرب الوقايع إلى القلوب والمسامع ، وهى ماروى أنه كان فى زمن سليمان بن عبد الملك بن مروان رجل يقال له خزيمة بن بشر وكان معروفا بالرقة ، وكانت له مروءة وفتوة وكان مُبِرًّا بالإخوان والأضياف والخلان ، فلم يزل على هذه الحال حتى ذهب جميع ما عنده من المال ، واحتاج إلى إخوانه الذين يتفضل عليهم إحسانه ومعروفه واصل إليهم ، فواسوه قليلاً ثم تركوه طويلا ، فلما لاح له تغيرهم أتى إلى امرأته وأخبرها بجميع فعاله وقال لها قد عزمت على لزوم بيتى

(١) عام ١٢٤٠ هـ = ١٨٢٤/١٨٢٥ م .
(٢) عام ١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤/١٨٣٥ م .
(٣) فى الأصل (وإن كثر) .
(٤) فى الأصل (وصاحبى) .

حتى يأتى موتى فأغلق بابه وأسبل حجابه ، وجعل يتقوت بما عنده من أثاثه إلى أن نفذ فبقى حايرا فى حالاته ، وكان عكرمه الفياض وإلى الجزيرة فبينما هو فى مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد إذ أجروا ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمه الفياض وإنما سمى الفياض لكثرة مروءته . أمَا وَجَدَ خزيمة بن بشر مكافياً ولا مواسياً، قالوا لا ياسيدى فأمسك عن ذلك ، فلما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها فى كيس ، وأمر أن تسرج دابته فأسرجت فركبها وخرج سراً من أهله وأخذ غلاماً معه من غلمانه يحمل المال وسار حتى وقف بباب خزيمة بن بشر ، فأخذ الكيس من الغلام ثم أبعده عنه وتقدم هو إلى الباب فطرقه فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس ، وقال أصلح بهذا شانك فتناوله من يده فرآه ثقيلاً ، فوضعه من يده ثم لزم دابته وقال له من أنت جعلت فداك فقال له ما أتيتك فى هذه الحالة وأريد أن تعرفنى ، ثم قال إنى لم أقبله حتى تخبرنى من أنت قال له أنا جابر عثرات الكرام ـ فدخل خزيمة بالكيس إلى ابنة عمه وقال لها أبشرى فقد أتانا الله بالفرج [٣٧ ـ ا] قومى وإسرجى المصباح فقالت لا سبيل إلى السراج فصار يلمس الذهب فيجد خشونته وهو لا يصدق ورجع عكرمة إلى منزله وكانت امرأته ابنة عمه أيضاً فقد كانت سألت عنه وأُخْبِرَتْ بركوبه منفرداً فشقت جيبها ولطمت وجهها ، فلما أتى إليها غمّه ذلك وقال لها مالك يابنة عمى قالت له ياعكرمة غدرت بابنة عمك وتشترى الجوارى وتمضى إليهنّ سراً ، قال لقد علم الله عز وجل أنى ما خرجت لذلك قالت فأخبرنى الخبر ، ما الذى خرجت له ، فقال ياهذه ما خرجت فى هذا الوقت وأريد أن يعلم بى أحد قالت له؟ والله لتخبرنى أو تفارقنى قال أفتكتميه إذا علىّ ، قالت نعم فأخبرها بالقصة على وجهها ، وما كان من قوله لخزيمة ورد خزيمة عليه ، ثم قال لها أتحبين أن أحلف لك قالت له لا فإن قلبى قد سكن إلى ذلك الذى ذكرته قال وأما خزيمة فإنه لما أصبح الصباح صالح الغرما وأصلح أمره وما كان من شعث حاله ، ثم تجهز يريد

سليمان بن عبد الملك بفلسطين ، فتوجه إليه فلما وقف ببابه دخل الحاجب فأخبر به فأذن له فى الدخول وكان سليمان عارفًا به فلما دخل عليه سلم بالخلافة ؛ فقال يا خزيمة ما أبطأك عنا فقال لسوء الحال يا أمير المؤمنين ، قال فما منعك من النهضة إلينا قال لضعفى ، قال فبمَ نهضت الآن ، قال لأعلم أمير المؤمنين بحالى إنى كنت جالساً فى منزلى بعد أن مضى من الليل ما مضى إذ طرق علىّ الباب شخص وكان معه كذا وكذا ، وأخبره الخبر على وجهه ، فقال هل عرفته قال ما عرفته ياأمير المؤمنين لأنه كان متنكراً ، وما سمعت منه إلا أنه قال أنا جابر عثرات الكرام ، قال فتلهف سليمان على عدم معرفته وقال لو عرفناه لكافيناه على مروءته ثم قال على بالكاتب ، فإتى به فكتب تقليداً لخزيمة بولاية الجزيرة ، وهى يومئذ ولاية عكرمة الفياض فخرج خزيمة طالب الجزيرة فسمع عكرمة بذلك ، فلما قرب منها خزيمة خرج عكرمة ، وأهل البلد للقائه فسلم عليه وسارا جميعاً حتى دخلا البلد فنزل خزيمة بدار الأمارة ثم أمر أن يحاسب عكرمة فحوسب، فوجدوا عليه مالًا كثيراً ، فطالبه بخلاصه فقال ليس لى إلى شئ منه طاقة فقال خزيمة لابد من الخلاص ، فقال ليس لى شىء و فاصنع ما أنت صانع فأمر به إلى الحبس ثم بعث إليه ليطالبه فأرسل إليه عكرمة يقول أن لست فيمن يصون حاله بمرضه فاصنع ما شئت ، فأمر به فكبل بالحديد وضيق عليه ، فأقام لذلك شهراً وأكثر فأضناه ذلك القيد وأضرّبه وحَ بلغ امرأة عكرمة الخبر أن الوالى هو خزيمة بن بشر ، فضاق صدرها واغتمت لذلك فدعت جارية لها ذات عقل وأدب ، وقالت لها امضى من الساعة إلى باب هذا الأمير فى وحده ، فإذا دخلت عليه قولى [٣٧ ــ ب] له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك أن تكافيه بالحبس الشديد والضيق والحديد فلما قالت له ذلك قال خزيمة واسوأتاه إنه لهو ، قالت نعم ، ثم وثب وأمر بدابته فأسرجت وبعث إلى وجوه البلد فجمعهم وخرج بهم إلى السجن ، فلما رآه السجان قام مذعوراً ، فقال له خزيمة افتح ففعل ودخل ومن معه ، فوجد عكرمة فى قاعة الحبس متغيراً وقد أضناه القيد والحبس

فلمّا نظر إلى خزيمة وإلى الناس معه احتشم ونكس رأسه ، فأقبل خزيمة وأكبّ على رأسه يقبله فرفع رأسه إليه ، وقال ما أوجب لذلك قال جميل فعلك وسوء مكافأتى لك ، قال يغفر الله لنا ولك قال وأتى بالحداد ففك القيد وأمر خزيمة أن يوضع القيد برجله ، فقال عكرمة ما تريد قال أريد أن ينالنى من الضر مثل ما نالك من الحبس والضيق والحديد ، فسألا عليه ألا يفعل ذلك ثم خرجا جميعاً وقد وقفت لهما دابتان بباب الحبس ، فركبا وخرج الناس معهما حتى وافيا باب خزيمة فشكر له عكرمة وأراد الانصراف فقال خزيمة لست ببارح منى ، ودخل به قصره فقال ما تريد قال أريد أن أغير ما ظهر بك من الحبس ، وإن حيائى من ابنة عمك أشد من حيائى منك ، فأمر به إلى الحمام ودخلا جميعاً وقام خزيمة إليه بنفسه فتولى أمره فقال له عكرمة أسألك ألا تفعل فخلف لا يتولى أمره غيره أحد، ففعل ، ثم خرجا إلى المنزل فأكلا وشربا ، ثم دعا خزيمة بأحسن ثيابه وأفرّ دوابه وأفصح خــــدمه فدفع إلى عكرمة ذلك وخرج معه حتى وقف على باب منزل عكرمة ، واستأذن بالسلام على ابنة عمه واعتذر لها ، وقبلت عذره وجزته خيرا بما فعله ، ثم سأله خزيمة أن يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك ، فسارا جميعاً حتى قدما على سليمان فلما دخل عليه الخادم وأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك ، وقال والى الجزيرة يقدم بغير أمر منا ، ما هذا إلا حادث عظيم ، فلما دخل عليه قال له سليمان قبل أن يسلم ما وراءك ، قال خير ياأمير المؤمنين قد ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أبشرك به لما رأيت من تلهفك عليه ، قال من هو قال عكرمة الفياض ، قال وما خبره فقص عليه أمره وأذن لعكرمة بالدخول فدخل وسلم عليه فرحب به وأدناه وأجلسه، وقال يا عكرمة ارفع حوايجك كلها فقال اعفنى ياأمير المؤمنين قال لابد ثم دعا له بدواة وقرطاس وقال له تنح واكتب حوايجك فكتبها وأتى بالرقعة فأمر بإنفاذها من ساعته ، وأمر له بعشرة آلاف دينار ثم عقد له على الجزيرة وأرمينية واذربيجان ، وقال أما أمر خزيمة إليك إن شئت فاعزله وإن شئت فاتركه ، قال اتركه فى عمله ياأمير المؤمنين ، ثم انصرفا جميعاً فلم يزالا عاملين مدة سليمان رحمة الله عليهم انتهت .

فانظر يا أخى فى أهل المروءة فى الزمن الأول وأما فى زماننا هذا كفاك الله شر من كنت له محسناً واتخذك (٣٨ – ١) حبيبا فما هو إلا لك ثعبانا وذيبا ، فليحترس العاقل الأريب فى هذا الزمان من صديقه كل الاحتراس فإنه الضرغام فى الافتراس وقد قال الشاعر : —

وزَهَّدَنِى فى النَّاسِ مَعْرِفتِى بِهِمْ   وطولُ اختبارى صاحبًا بَعْد صاحبِ[1]
فَلَمْ تُرِنِى الأيَّامُ خِلاًّ يَسُرُّنِى   فَلَمْ يكُ إلاَّ ساءنى فى العَوَاقِبِ[2]
ومن كنت أرجوه لكشف مصيبةٍ   منَ الدَّهرِ إلاَّ كانَ إِحْدَ[ى] المَصَائبِ[3]

واستغفر الله العظيم لى ولهم ولسائر المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

ثم فى سنة ١٢٥١[4] جاء خورشيد باشا المشار إليه من المحروسة المحمية ودخل الديار الفنجية ، فأقام بها وأرسل إلى كامل الكشاف والمأمورين والحكام ومشايخ الأقسام فأتوا إليه وفى قلوبهم من الوجل من هيبته وصولته ، ما لم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل ، واحتجب أياماً فلم يرد عليهم جواباً فازدادوا خوفاً على خوفهم ، ثم خرج إليهم فاستسروا بخروجه وظهر منه خلاف ما هم معتقدون فاطمأنوا وطابت نفوسهم وقويت عزائمهم وطلب منهم الرقيق لأجل دخوله النظام[5] وكونه مطلوب من بلاد السودان ، وأمنهم من طلب الأحرار فازدادوا فرحاً على فرحهم ، وفيها كسفت الشمس بعد صلاة العصر ، وفقد نورها وانتصفت نصفين إلى وقت الغروب ، وغزا فيها بنفسه وعساكره نحو بلاد الصعيد وغيرها من النواحى القبلية ، وقتل الجبال وأصاب منهم رقيقاً كثيراً ، وذلك كله لراحة العباد وعمارة البلاد من دعوة الجهادية ، ولما أصاب ما أصاب من الغزاوى فرقه على أهل البلاد بالبدل ، وفرق فيها رقيق العسكريه على كامل المأموريات ، ولبس فيها محمد بيك

(١) فى الأصل (وزهدنى من) .
(٢) فى الأصل (خل) .
(٣) فى الأصل (وما كنت) . . . (أحد) .
(٤) عام ١٢٥١ هـ = ١٨٣٥/١٨٣٦ م .
(٥) النظام : الخدمة العسكرية .

ميرالاى إلى نحو بلاد الحجاز ، وتوجيه فيها محمد أفندى قيمقام نحو سبت مغازياً فرأوا فيها من المياه والخضر فى غير أوانها ونزلت فيها المكادى مع رجب ولد بشير وقتلوا الولى الصالح الفقيه محمد عاروض ، وقتلت معه خلايق لا تحصى ولا تعد وخربت دار العطيش وتفرق ساكنوه ، وقتلت أولاد ولد أبيض رحم الله الجميع ، ولما قدمت العساكر المنصورة إلى العطيش اجتمعت فى محلاتها الحبش ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب وأجرى عليهم هيبة الباشا المنصور ، ثم حصلت بركة الولى الصالح المقتول فمسكوا رجب الذى تسبب بالبغى وقتله الباشا ، ثم فى سنة ١٢٥٢[1] فى شهر صفر الخير قامت ريح شديدة جداً يومين متواليين اليوم الأول هاجت حمراً بعد صلاة العصر وأظلمت الدنيا ووقعت الطيور فى الماء ومن شدة ظلمتها أن الإنسان يمد يده لم يرها وانجلت بسرعة ، واليوم [٣٨ – ب] الثانى هاجت سوداً مظلمةً أشد من التى قبلها واستمرت إلى غروب الشمس وأوان طلوعها كالأولى بعد العصر ، وفيها حصل التعب الشديد على المسلمين من الغلا وتبعه المرض المسمى بالفضاف ، واجتمعا على المسلمين وما من نقمة إلا ولله فيها نقمة فأنساهم بالمرض الغلا ولولا أن دفع هذا بهذا لكادت قلوب الخلايق تطير وتتقطع لما فيه من الشدة التى حصلت فيها سنة ١٢٤٠[2] وسنة ١٢٤١[3] من الضيق وعدمت فيه كامل أصناف الحبوب والدسومات ولله در الأمير خورشيد باشا ، ولما كثر التعب على المسلمين أخرج ماية إردب من نفسه ، وتصدق بها وأمر ببيع ماية مثلها من الديوان لأجل بيعه للسعة على المسلمين ، وأمر بصلاة الاستسقا ، وخرج لها وصلاها وهو فى غاية الشفقة على المسلمين وأما المرض الذى حدث فى تلك السنة فهو الريح الأصفر وفى زمن بنى إسرائيل يسمى الموتات وصفته ، عافانا الله منه والمسلمين، أن يستخرج الإنسان قيئاً[4] من فيه

(١) عام ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٦/١٨٣٧ م .
(٢) عام ١٢٤٠ هـ = ١٨٢٤/١٨٢٥ م .
(٣) عام ١٢٤١ هـ = ١٨٢٥/١٨٢٦ م .
(٤) الريح الأصفر : الهيضة أو الكوليرا .

ومن دبره ، ويبرد جلده حتى كأن عليه الماء البارد ، وتتغير عينيه وتنشوى أنامله كأنها فى نار ومن قبض به إذا نحرا تلك الساعة التى قبض فيها ترجى له العافية نسأل الله العفو والعافية ومات فيها أجلّة أخيار علماء أبرار منهم الفقيه السنوسى بقادى والفقيه النخلى والفقيه محمد الطيب إمام الجامع الشريف بالخرطوم والشيخ الطريفى بن الشيخ يوسف ، ومات فيها الشيخ محمد حسن بَانِ النَقَا والشيخ سعد العبادى وهو رجل كريم ذو فضل عظيم وعفة وديانة وتبسم دائم من الإخوان ، ومن يوم ما دخل الديوان ما حسب عليه أذية ذو تواضع فرحم الله الجميع ، وتوجه فيها الباشا المومى إليه نواحى شندى فى أوان المرض ورجع بحمد الله سالما ، وفيها غزا أحمد كاشف إلى نحو المكادى إلى محل يقال له إرجه ، وقتل منهم جماعة وأرسلهم إلى الخرطوم، وتوفى فيها القطب الشيخ المصطفى وهو ذو كرامات مشهورة لا سيما فى مس البنوت ، وفيها بأول يوم من شهر القعده الحرام ظهرت نجمة عظيمة نصف النهار ووقعت بالأرض وتفرقت شرراً ، وشاهد كثيرٌ من الشرق والغرب ، وأيضا حصلت هزة عظيمة سمعها كثير من الناس وظهر ذات يوم غيم عظيم من الصبح إلى حين صلاة الظهر وظهرت فيها حمى[1] شديدة تسمى أم سبعة يعنى يُحمّ الإنسان سبعة أيام فمن جاوزها تُرجَى له السلامة وتوفى مشهور البركات الشيخ محمد طه بركات المشهور بالعوج الددب ، وعزل فيها الشيخ الصديق من المشيخه بعد أن كان محكما على كامل دار الشيخ عجيب ، وتوجه فيها محمد بيك إلى مأمورية كردفال بعد أن كان لبس ميرالاى [٣٩ ـ ١] ولله عاقبة الأمور .

ثم سنة ١٢٥٣[2] فى شهر محرم الحرام قدم مصطفى بيك من كردفال مديراً بجزيرة سنار ، وفى ليلة ١٥ منه خسف القمر وأظلم واشتد ظلامه أكثر من ساعتين ، وفيها نزلت الحبشه إلى نواحى القلابات فى ١٩ منه وأخذ أحمد كاشف حاكم تلك الجهة المساكر وقدم إليهم محل يقال له ولد كلنبوا فتلقتهم المكادى

(١) فى الأصل حه .

(٢) عام ١٢٥٣ هـ = ١٨٣٧/١٨٣٨م .

كالجراد المنتشر ورئيسهم حَ يسمى كَنفُوا فصبرت لهم المساكر صبر الكرام ، ونشطت عزائمهم حين الزحام مع أنهم فى قلة ، فأحاطوا بهم المكادى فأخذوهم بين أسير وقتيل ، وسينصر الله الإسلام على القوم اللئام ، وفى ٢٤ منه هاجت ريح شديدة بعد صلاة الظهر حتى أظلم النهار وأظلمت الأرض واغبرت وان الإنسان إذا أخرج يده لم يكد يراها ، فسبحان مالك الملك العظيم فانظر يا أخى إلى قدرة الملك الجليل أن من المساكر المقتولين من هو من الروم ومنهم الأكراد ومنهم من الدينكه ومنهم الأنواب[1] فجمعهم فى صعيد واحد ، وأخذ أرواحهم فى محل ما خلقوا منه جلّ من له القدرة والعظمة ، وأنزل الله فى تلك السنة مطراً فى غير أوانه وسقى الأودية ، ونبت الزرع فأرسل الله الجراد على صنفين وأوانين ، أما الصنف الأول فهو صغار يسمى قَبورَه فأكل الزرع فى ابتداء نبته ، والصنف الثانى كبار أحمر أكل ما استوى منه وفى غرة شهر جماد الآخر منها توفى الولى الصالح الحبيب الأديب السيد الشريف محمود سليمان وهو شهيد غريب ذو عفة وديانة ومعرفة ومكاشفة اللهم اغفر لنا وله وعُمّنا ببركاته وأدخلنا فى شفاعة جده عليه السلام ، وفى يوم الجمعة المباركة ٧ ج سنة ١٢٥٣[2] أقيمت صلاة الجمعه بالجامع الشريف بعد عمارته وإنشائه بعد أن أمر الباشا بتوسعته فى بنائه الأول الذى هو فى سنة ١٢٤٥[3] وفى ١٣ رجب خسف القمر وأظلم وطـــال ثم انجلى وفى ذلك العام توجه المشار إليه نحو واد مدنى وتتابعت عليه المساكر صحبة مصطفى كاشف ، ثم فى شهر شعبان توجه بالشرق إلى نحو ولد بكر ، وتوجه مصطفى بيك إلى نحو الرصيرص وفى الثانى والعشرين من شهر شعبان المذكور خرجنا من الخرطوم إلى محلتنا بجوار السلمية[4] وقد مر علينا بعض الإخوان الأحباب فوجد الدار لا أحد بها وكاتبنا بهذه الأبيات :

(١) الأنواب : النوبة .

(٢) ج١٢٥٣ سنة ١٢٥٣ هـ = ١٨٣٧م

(٣) ١٢٤٥ هـ = ١٨٢٩/١٨٣٠م .

(٤) السلمية بين الحصيحيصا وولد مدنى .

أَتَيْتُ غَداةَ الْبَيْنِ يَوْمًا لِحَيِّكُمْ … فَذَكَّرَنِي لَيْلَى صَحِيحَةَ خَاطِرِي
وَمَا كُنْتُ نَاسِيهَا وَلَوْ طَالَ هَجْرُهَا … وَلَسْتُ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ بِصَابِرِ
سَأَذْكُرُهَا يَوْمًا وَحُسْنَ حَدِيثِهَا … وَأُسْبِلُ دَمْعَ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَاجِرِي
وَأَنْشُرُ سِرًّا طَالَ عَنْهَا اكْتِتَامُهُ … فَفِي نَشْرِهِ يَاقَوْمِ لَسْتُ بِجَائِرِ
سَلَامٌ عَلَى الْخِلِّ الْمُهَذَّبِ رَأْيُهُ … كَرِيمِ السَّجَايَا مُسْتَنِيرِ السَّرَائِرِ
فَمَا سَرَّنِي لَا وَالَّذِي فَطَرَ السَّمَا … غِيَابُكَ عَنْ تِلْكَ الدِّيَارِ الْعَوَامِرِ
وَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ الْبَعِيدَ مَكَانُهُ … حَبِيبٌ لِقَلْبِي يَا أَنِيسَ الْمُسَامِرِ
ضَرَبْتَ خَلِيلِي فِي سُوَيْدَاي خَيْمَةً … وَبِتَّ مُقِيمًا فِي خُدُودٍ نَوَاضِرِ
وَهَذَا مُرَادُ اللهِ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا … فَمَا حِيلَتِي فِي دَفْعِ مَقْدُورِ قَادِرِ
وَلَسْتُ مَلُومًا فِي اشْتِكَائِي هَجْرَكُمْ … وَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ إِلَيَّ لَسْتَ بِمَاذِرِ
بِذَلِكَ أَهْلُ الْحُبِّ عَادَتُهُمْ جَرَتْ … وَإِنْ كَانَ وَجْهُ الْحُبِّ بَيْنَ النَّوَاظِرِ
شَذَا الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ يُذْرِيكَ حَالُهُمْ … يَشُمُّ لِذَاتِ الْبُعْدِ لَا لِلْخَوَاصِرِ
سَأَلْتُكَ (أَحْمَدَ) أَنْ تُحْيُوا قَتِيلَكُمْ … بِوَصْلٍ عَسَى أَنْ تُطْفِ نَارَ الضَّمَائِرِ
فَرُؤْيَاكُمُ بِالْعَيْنِ يَشْفِي لِعِلَّتِي … وَيَطْرُدُ عَنْ عَيْنِي الدُّمُوعَ الْقَوَاطِرِ[1]

وفى ١١ ن من السنة المذكورة نزل المظفر المنان حكمدار بلاد السودان خورشيد باشا نصره الله بالقلابات وغزت عساكره المنصورة إلى نحو دار الأحابيش[2] فقتلوا وأسروا من التكارير[3] وغيرهم ، وقذف الله فى قلوبهم هيبة الإسلام والباشا وأقام هو هناك فى عز وكاتبهم وراسلهم ، وهو منتظر قدومهم أعنى الحبشة فلم يأت منهم أحد وأقام مدة أربع شهور ، ثم رجع من القلابات سالماً مؤيداً بالنصر والعز ، ووقع فيها إسلام محمد نور الدين أفندى وذلك فى وقت اجتماعهم بالقلابات بعد أن حاوله ولى النعم إلى الإسلام وخوّفه من بطش الله وعذابه ، فمال قلبه

(١) هكذا الأصل .
(٢) بلاد الحبش : اثيوبيا .
(٣) مفردها تكرور وهم اهل المنطقة الواقعه غرب دارفور .

لهذا الدين ، وكان دخوله الجزيرة سنة أربعين ، فأسلم هو وولده وحسن إسلامهما وانتبه للديانة ، فنرجوا من المنان أن يكثر الخير فى أمة ولد عدنان وأن يختم لنا ولهم بخاتمة الإيمان أنه جواد كريم وآمين ، وفيها فى أواخر شهر القعدة الحرام قدم سر عساكر بلاد السودان أحمد باشا من المحروسه وصحبته عساكر الجهادية وفى سنة ١٢٥٤[1] فى شهر ربيع أول جاء أمر شريف من صاحب السعادة بحضور خورشيد باشا حكمدار الممالك السودانية بالمحروسة فجهز نفسه للسفر ونزل وتولى الأمر فخر الأمراء الكرام أحمد باشا الموى إليه حكمداراً كان الله فى عون الجميع آمين .

انتهى ذلك والله أعلم

(١) عام ١٢٥٤ (ربيع الاول) مايو/يونيه سنة ١٨٣٨ م .

الملحق الأول

نقلا عن صفحتى ١ و ٢ مخطوطة باريس

[١ ـ ب] وقول المؤرخ إنه لم تشتهر فى تلك المدة مدرسة علم ولا قرآن [٢ ـ ا] إلى آخر ما ذكره حتى قدم محمود لعله بتلك الجهة التى هى جهة البحر الأبيض ، أما الجهة الشرقية فقد كان بها أولاد عون الله وهم سبعة رجال فى مدة الفنج [العنج] أى النوبة وكان أحـــدهم المسمى بالضرير قاضيا فى مدة الفنج [العنج] قبل مدة الفنج وقبـورهم بنواحى ولد أبى حليمة ظاهرة ، وإن الشيخ إدريس المشهور كانت ولادته فى سنة ثلاثة عشر بعد التسعماية ، وكان يقرأ القرآن عند ولد بندار قدام الحلفاية وقدوم محمود كان بعد ذلك ، وأيضا فى مدة خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد قدم إليه جماعة من بر السودان ، وهو ببغداد وطلبوا منه أن يرسل معهم علماء يعلمونهم أمور الديانة ، فأرسل معهم سبعة علماء من بنى العباس ووصلوا إلى دنقلة وأقاموا بها وتناسلت منهم ذرية كثيرة ، فكيف يقول المؤرخ إنه لم تشتهر قبل محمود مدرسة علم ولا قرآن مع أن أولاد عون الله كانوا قبل الفونج [الفنج] والشيخ إدريس وجدهم مدفونين ولم يدرك واحدا منهم والشيخ البندارى الذى يقرأ عليه القرآن أصله من الشام ، وكان من الصالحين ، حتى قال لوالد الشيخ إدريس ابنك هـــذا يظهر له شأن عظيم وقد حصل وكل هذا قبل قدوم محمود ، وكذلك الشيخ أحمد ولد زروق قدم من اليمن وهو شريف من أهالى حضرموت ، وكان فى مدة الشيخ البندارى شيخ الشيخ إدريس فى المكتب وبينهما مودة ومواخاة ، وكذلك الشيخ قرأ عليه وشهد له بجلالة القدر وإنما ذكرنا هذا لكون المؤرخ لم يطلع على تواريخ بلاد النوبة وما صار [٢ ـ ب] فيها من الصلح والحروب ...

الملحق الثانى

[دخول العرب إلى بلاد النوبه]

« نقلا عن مخطوطة باريس صفحات ٢ إلى ٤ »

.... ونحن نذكر بعضا منها فنقول : إن فى إمارة عمرو بن العاص رضى الله عنه سنة عشرين من الهجرة أو إحدى وعشرين بعد فتح مصر بعث عبد الله ابن أبى سرح فى عشرين ألفاً فمكث بها زماناً وصالحهم وقرر عليهم شيئاً معلوماً يسمى بالبقط وهو قطعة من المال ثم إن عمرو بن العاص كتب إلى عبد الله بن سعد ابن أبى سرح يأمره بالرجوع إليه فرجع ، ولما مات عمر رضى الله عنه نقض النوبه الصلح الذى جرَى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت سراياهم إلى صعيد مصر ، فأخربوا وأفسدوا ، فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد ابن أبى سرح وهو على إمارة مصر فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله عنه سنة إحدى وثلاثين وحاصرهم بمدينة دنقلة حصاراً شديداً ورماهم بالمنجنيق ، ولم تكن النوبة تعرفه فبهرهم ذلك وطلب ملكهم الصلح فأجابه عبد الله إلى ذلك وقرر معه الصلح على ثلاثمائة وستين رأسا من الرقيق كل سنة ، وكتب لهم كتاباً وقفت على بعضه ونسخته بعد البسملة [عهد من الأمير عبد الله بن سعد ابن أبى سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أسوان إلى حد أرض علوة ، أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة أنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا نحاربكم ولا ننصب حربا ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو بطرفه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين

حتى تردوه إلى أرض الإسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده وحاوره إلى أن ينصرف عنكم ، وعليكم حفظ المسجد الذى إبتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته] إلى آخر ماذكر فيه ، ولما رجع عبد الله بن سعد من النوبة بعد الصلح وجد على شاطئ النيل البجه فسأل عنهم عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون إليه ، فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صلح وكان أول من هادنهم عبيد الله بن الحبحاب السلولى ، ثم كثر المسلمون فى المعدن فخالطوهم وتزوجوا منهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب إسلاما ضعيفا ، وهم شوكة القوم ووجوههم وهم مما يلى مصر أول حدهم إلى العلاق وعيذاب ثم وجوههم كثرت أذيتهم على المسلمين ؛ وكانت ولاة أسوان من العراق فرفع أمرهم إلى أمير المؤمنين المأمون ، فأخرج لهم عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقائع ثم وادعهم أى صالحهم ، وكتب بينهم وبين رئيسهم كتابا طويلا ولطوله لم نذكره فأقام البجة على ذلك برهة ، ثم عادوا إلى غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضجيج منهم إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله فندب لحربهم محمد بن عبد الله القمى ، فسأله أن يختار من الرجال من أحب ولم يرغب إلى الكثرة لصعوبة المسالك فخرج إليهم من مصر فى عدة قليلة ورجال منتخبة وسارت المراكب فى البحر ، فاجتمع البجه لهم فى عدد كثير عظيم قد ركبوا الإبل فهال المسلمين ذلك فشغلهم بكتاب طويل ، فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم وفى أعناق الخيل الأجراس فنفرت الجمال بالبجة ولم تثبت لصلصلة الأجراس فركب المسلمون أقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن أخيه وبعث يطالب الهدنة فصالحهم على أن يطأ بساط أمير المؤمنين ؛ فسار إلى بغداد وقدم على المتوكل بسر من رأى فى سنة إحدى وأربعين ومائتين ، فصولح على أداء الأتاوة والبقط واشترط عليهم أن لا يمنعوا المسلمين من العمل فى المعدن ، وأقام القمى بأسوان مدة وترك فى خزائنهم ما معه من السلاح وآلة الحرب والغزو ، فلم تزل الولاة تأخذ منهم حتى

لم يبقوا منه شيئا فلما كثر المسلمون فى المعادن واختلطوا بالبجة قل شرهم ، وظهر التبر لكثرة طلابه وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان ، وقدم إليهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمرى بعد محاربته النوبة فى سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب ، فكثرت بهم العمارة فى البجة حتى صارت الرواحل التى تحمل الميرة إليهم من أسوان ستين ألفا ومالت البجة إلى ربيعة وتزوجوا إليهم ، ثم قتل العمرى واستولت ربيعة على الجزاير وأخرجوا من خالفهم من العرب وتصاهروا إلى رؤساء البجة وبذلك كف ضررهم على المسلمين والبجة الداخلة فى صحراء بلد غلوة مما يلى البحر المالح إلى أول الحبشة وبعضهم بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا ، وفى أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد ، وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجة إلى أن قوى الإسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاق وعيذاب ، وسكن فى تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد من عدنان فقويت ربيعة على من ناوأها وجاورها من محطات وغيرهم ممن سكن تلك الديار ، وصاحب المعدن إذ ذاك بشر بن مروان وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.
ثم فى ذى الحجة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جمعا من المسلمين فخرج إليهم محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أنوجور بن الأخشيدى فى المحرم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، فساروا فى البحر وبعثوا بعدة من النوبة أسروهم فضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة ، وسار الخازن حتى فتح مدينة إبريم ، وسبا أهلها وقدم إلى مصر فى نصف جمادى الأولى سنة خمس وأربعين بمائة وخمسين أسيراً وعدة رؤوس ، وقيل ان متحصل ثغر أسوان فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين ألف دينار . وقال الكمال الأدفوى وكان بأسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع ، وتحصل من أسوان فى سنة واحدة ثلاثون ألف إردب تمرا ، وكان بثغر أسوان بنو الكنز وهم من ربيعة أمراء ، ولما أرسل السلطان صلاح الدين بن يوسف جيشا إلى كنز الدولة

وأصحابه ترحلوا عن بلادهم ، فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصايد من مدحهم منها قصيدة ابن محمد الحسن قال فيها :

وُيُنجِدُهُ إن خانهُ الدَّهر أو سَطَا   أناسٌ إذا ما أنْجَدَ الذُّ أتْهَمُوا(١)

أجارُوا فما تَحْتَ الكواكبِ خائفٌ   وجادُوا فما فَوْقَ البَسِيطة مُعْدِمُ

وأنه أجازه عليها بألف دينار وكان بأسوان رجال من العسكر مستعدون بالأسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه فلما زالت الدولة الفاطمية ، أهمل ذلك فسار ملك النوبة فى عشرة آلاف ونزل تجاه أسوان فى جزيرة وأسر من فيها من المسلمين ، ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر واستولى عليه أولاد الكنز بعد سنة تسعين وسبعمائة ، فأفسدوا فساداً كبيرا وكانت لهم مع ولاة أسوان عدة حروب إلى أن كانت المحن سنة ست وثمانمائة ، وخرب إقليم الصعيد فارتفعت يد السلطان عن ثغر أسوان ولم يبق للسلطان فى مدينة أسوان وال ، وانضع حاله عدة سنين ، ثم زحفت هواره فى محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة إلى اسوان وحاربت أولاد الكنز وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ماهنالك من النساء والأولاد واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة أسوان ومضوا بالسبى وقدتركوها خراباً لا مسكن بها . والله أعلم .

هذا ما كان من خبر النوبة وإنما ذكرناه وإن كان صاحب هذا التاريخ لم يتعرض له لكونه قصر تاريخه على مدة ملوك الفونج ، وذكرناه نحن تتميما للفائده . ولنرجع إلى ماذكره صاحب التاريخ وماقصده بجمعه من ابتداء عمارة سنار وملوكها وسيرهم ، وما حصل فى أيام كل منهم ولكنه غير مرتب وفيه التقديم والتأخير والتبديل والتغيير كما ذكر هو ذلك فى أول كتابه لاسيما وكتابه بألفاظ العربية العرفية لاالعربية الأصلية وعلى حسب الإمكان نصلح ألفاظها إن شاء الله تعالى ونجريها على نمط يقبل فى الجملة فنقول ـ وبالله الإعانة ـ : أن أول ملوك الفونج

(١) فى الأصل (الذىوأنجدو ورد نجدا ، وأتهموا وردوا تهامة

عمارة دونقس وابتداء أمره فى أول الحال كان جماعة مجتمعين مقيمين بمحل يعرف بـ(لولو) أقاموا به مدة ، ولم يزالوا فى زيادة الجوع ثم انتقلوا إلى جبل موية المعروف ، وأقاموا به مدة ، وبلغهم خبر أن جارية تسمى سنار مقيمة على شاطىء بحر النيل ، فانتقلوا إليها وزادت جموعهم واتفق عمارة المذكور مع عبد الله جماع القريناتى من عربان القواسمه وعبد الله المذكور هو ولد الشيخ عجيب الكافوته جد أولاد عجيب وتمت كلمتهم على محاربة النوبة وهم الفنج ملوك سوبة وملوك القرى ، فتوجه عمارة وعبد الله جماع المذكوران بما معهما من الجيش وحاربوا ملوك الفنج [المنج] وقتلوهم وأجلوهم من سوبة ، وتوجهوا إلى القرى فقتلوا ملكها ولما تم لهم النصر على النوبة ، واستولوا على محلاتهم اتفق رأى عمارة بأن يكون هو الملك عوضا عن ملك علوة التى هى سوبة كونه هو الكبير وأن عبد الله يكون فى مكان ملك القرى ، فعند ذلك توجه عمارة إلى سنار واختطها وذلك فى سنة عشر بعد التسعمائة وجعلها كرسى مملكته ، وأن عبد الله جماع كذلك إختط مدينة قرى التى عند جبل الرويان بالشرق وجعلها كرسى مملكته أيضا ، وكان عمارة وعبد الله كالأخوين إلا أن رتبة عمارة أعلى ورتبة عبد الله دونه إذا كانا حاضرين فيكون المقدم ، وإذا غاب عمارة يكون عبد الله هو المقدم على الجميع ويعامل بما يعامل به عمارة ولم تزل تلك العادة جارية بين ذراريهم إلى إنقضاء مملكتهم . وأما النوبة فمن بعد ما حصل بينهم من المحاربة والمقاتلة وصار الظفر للفونج تفرقوا شذر مذر منهم من فر إلى جبال الصعيد فازوغلى وغيرها ، ومنهم من فر بالغرب إلى جبال كردفال ، ولم يبق منهم إلا أنفار قليلة جدا دخلوا فى الإسلام وتفرقوا فى البلاد وسكنوا مع الناس وتناسلوا فيهم وهم إلى الآن أنفار قليلون جدا منهم بنواحى شندى ، ومنهم أنفار قليلون أيضا مقيمون بجرف قمر وغيرها ولا فى محلين أو ثلاثة وهم مسلمون من جملة أهالى البلد ، وقليل من الناس يعرف أن أصلهم من النوبة لأن لسانهم الآن عربى حكم لسان العرب لأن العرب كثير دخولهم إلى بر السودان وصاروا سكانها منهم من سكن الحضر ،

ومنهم من تبع الراعى وهم قبائل شتى من حمير وربيعة وبنو عامر وقحطان وكنانة والكواهلة وجهينه وبنو يشكر وبنو ذبيان وبنو عبس وهم الكبابيش وفزارة وقبائل بقارة بنو سليم وغيرهم والأحامدة من القبايل الموجودة ببلاد السودان » .

(كشاف مكوك الدولة السنارية)

(فى ترتيب تاريخى)

---

١ — المرحلة الأولى (جماعة من فَنَجَة تصل شرق إفريقية)

تختلط وتكون مجموعة تنتمى إلى البيت الأموى فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ / ٧٠٥ م) .

تاريخ تنقلاتها مجهول .

٢ — المرحلة الثانية

وصلت المجموعة إلى إقليم الأرتيريا . وفى نهاية الرحلة كان لها مركزها فى « لامو » أو « لمو » فى غربى أرتيريا فى ولاية السلطان عميرة (عمارة) بن عدلان دونقس وذكر السلطان العاشر فى البيت السنارى نسبه كالآتى :

المهاجر بن مرامة بن مدين بن صبيحة بن دهاشر بن حذيفة ابن مروان بن عبد الحكم بن معاوية بن اليزيد[1] .

ويحتمل أن يكون هنالك بعض أسماء قد سقطت من النسب الموضح بعاليه لسببين :

أولها : أنه ليس من المعقول أن يكون هنالك ثمانية من الأجداد لفترة من الزمن بلغت ثمانية قرون أى بمعدل مائة عام لكل جد .

ثانيا : المعروف أن والد السلطان عميرة دونقس هو عدلان كما جاء فى أكثر من مصدر .

وعلى أى حال فإن المرحلتين الأولى والثانية ما زالتا فى انتظار ما يعثر عليه من وثائق فى شرق إفريقية وفى أثيوبيا والأرتيريا .

---

(١) انظر صورة الخطاب المشار إليه فى كتاب معالم تاريخ سودان وادى النيل للناشر ص ٢٧٠/٢٧١ القاهرة ١٩٥٥ .

٣ — المرحلة الثالثة : السلطنة السنارية فى حوض النيل الأزرق

عدلان

(١) عمارة دونقس
صابر

(٢أو٣) عبد القادر
نايل (٣أو٢)
عبد العزيز

(٤) عمارة أبوسكيكين
(٥) دكين
(؟) دوره
عامر

عجيب

طبل
(؟) السلطان صابر المشهور بعجيب (*)
(؟) السلطان جره بن صابر (*)

أونسة
(١٠) بادى (محمد يازى عجيب)

عبد القادر الثانى
عدلان ولد آيه
(؟) رباط

(؟) بادى أبو دقن
ناصر

(؟) أونسه

(؟) بادى الأحمر

(؟) أونسه الثالث

نول سيد قوم الشمس

(؟) بادى أبو شلوخ

(؟) ناصر

(؟) إسماعيل

(؟) عدلان

(؟) أوكل مَلَّكَه ناصر بن محمود

(؟) طبل

(؟) بادى

(؟) رباط

(؟) بادى

(؟) حسب ربه

(؟) مجبان

(؟) نوار

(؟) رانق
بادى بن طبل (آخر السلطنة)

(*) لم يرد ذكرها فى المخطوطة ، ولا يعلم ترتيب الملوك الأوائل كما ذكر كاتب الشونة انظر ص (٤) .

تصويب لأهم الأخطاء

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٠	٣	النوية	النوبة
١١	٨	المهمة	الهمم
١٢	٤	بالجير	بالجبر
١٢	١٠	يحق	بحق
١٢	١٩	النشر	النسر
١٧	٩	قوم	نوم
١٨	٩	واجميا	جميا
٢٠	٢	فقنموه	فقنموا
٢٢	_	هامش ٢ فى ق بالفراسة	
٢٣	٦	الأخذ منها	خدمها
٢٣	٧	عول	غول
٢٣	١٣	عند	عدة
٢٥	١٨	الهوى	الهواء
٢٦	٣	بين الهمج	بيد الهمج
٢٦	١٤	تضاف (٧ ـ ب)	
٢٨	١٢	ماجد	يأخذ
٣٠	٢	الخيوط	الخطوط
٣٣	هامش ٥	الانكلزيه	الانكليزية
٣٥	١٦	أمس	رأس
٤٠	١١،	[و] الأمراء	الأمراء
٤٢	٣	[البيضة](٢)	البيضة
٤٣	٢	أرسله	راسله
٤٤	١٩	الماثورن	الأسورين
٤٥	١٥	ثاينا	ثانيا

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٦	٩	التحرير	الحرير
٤٧	٥	تضاف [١٣ ـ ب]	
٤٧	هامش ٣	لا تخف	[لا تحق]
٤٨	٨	القرندبت	الفرنديت
٤٨	١٩	وهو يتأخر	وهو لا يتأخر
٤٩	١٠	فتحيروا	فتجبروا
٥٠	٢٢/٢١	بخيله إلى الفاشر	بخيله ورجاله إلى الفاشر
٥١	٧	خوزته	خوذته
٥٢	١٣	ليس	لبس
٥٢	١٩	أبى الروشان	إلى الروشان
٥٥	٤	ريف	دين
٥٥	١٠	مرورها	مُوردُها
٥٥	٢١	أنى	أتى
٥٧	٢	وشيخ حسين عمه الشيخ	وشيخ عمه الشيخ حسين
٥٧	١١	وقفة	وقعة
٥٩	٢	الأزمات	الأزمان
٥٩	٤	أخذمن الملك خيلا	أخذمنه الملك خيلا
٦٢	١	أيد لهم	أيدلهم
٦٤	١	١٩ ـ ٨	١٩ ـ ١
٦٦	١٨	يضيءضوءا	يضيءهوضوءا
٦٦	١٩	يترك	ينزل

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٧٠	١	[برقيته]	[برفيقه]	٩٦	١		يضاف (٢٩ ـ ا)
٧١	١	وهامش (١)	تحذف رقم (١)	٩٦	١١	افتوا	اقفوا
			والهامش. انظر هامش ٢ ص٢٦	٩٧	٣	(٢٥ ـ ب)	(٢٩ ـ ب)
٧٤	١٩	الطالبيين	الطالبين	٩٧	١٥	يجمعونهم	يجمعونهم
٧٦	١١		تضاف (٢٣ ـ ا)	٩٧	١٢	الحلالات	بالحلالات
٧٨	٤	من حضر	ممن حضر	٩٨	١٣		تضاف (٣٠ ـ ا)
٧٨	٥	واقفا	واقما	٩٩	٧	عدت	غدت
٧٩	٥	رأس الحرية	رأس الحربة	٩٩	١٢		تضاف (٣٠ ـ ب)
٨٠	١٥		تضاف (٢٤ ـ ب)	٩٩	١٩	ففند	فمند
٨٢	١٨	الزاراية	الزارابة	١٠٢	٩	غيم	غَيْم
٨١	١٤	تضاف	(٢٥ ـ ا)	١٠٣	١٤		تضاف (٣٢ ـ ا)
٨٣	١٣	الخاص	الخالص	١٠٥	١٠		تضاف (٣٣ ـ ا)
٨٤	٣	رمضان الذى	رمضان هو الذى	١٠٩	٤	يسير	سر
٩٠	٩	ومات	أما	١١٩	١	توجيه	توجه
٩٠	٢٠	شقف	سقف	١١٩	١٣	الفضاف	القضاف
٩١	١٢	الخير	الخبر	١٢٠	١١	البنوت	النبوت؟
٩٣	٢١	جوخدا	جوخدار	١٢٠	١٦	العوج الدب	العوج الدرب؟
٩٥	١٧	الذيان	الديان	١٢٢	٥		تضاف (٣٩ ـ ب)

فهرس

الإدارة المصرية

الخرائط والمصورات
